



جوامع الجامع

تأليف

أَمِينُ الْأَمَلِ أَيْ عَلَى الْفَصْلِ نَبِيَّ الْحَسَنِ الطَّبْرَقِيِّ
ت ٥٤٨ هـ

مُحَقَّقٌ

جَوَادُ السَّيِّدِ كَاطِبُ الْحَكِيمَةِ

الجزء الثاني

سورة المائدة - سورة يونس

مراجعته واعتنى بشهره

قَسَمْتُ شَوْفَ الْخَطِّ الْإِسْلَامِيِّ الْإِسْلَامِيِّ

جَامِعُ الْجَامِعِ



جَوَامِعُ الْجَامِعِ

تأليف

أَمِينُ الْإِسْلَامِ أَبِي عَلِيٍّ
الْفَضْلُ بْنُ الْحُسَيْنِ الطَّبْرَسِيِّ

ت ٥٤٨ هـ

تحقيق

جَوَادُ السَّيِّدِ كَاطِمُ الْحَكِيمِ

المجلد الثاني

سورة المائدة - سورة يونس

مراجعته واعتنى بنشره

قِسْمُ شُرُوحِ النِّجَافِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ وَالْإِسْنَانِيَّةِ





العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

WWW.MK.IQ
E.mail: media@mk.iq

الموبايل: ٠٠٩٦٤٧٧١١١٧٣١٠٨

الطبرسي، الفضل بن الحسن بن الفضل، 468-548 هجري
جوامع الجامع / تأليف أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ؛ تحقيق جواد السيد
كاظم الحكيم- الطبعة الأولى- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف
الإسلامية والإنسانية، ١٤٣٩ هـ = ٢٠١٧.
٦ مجلد : صور طبق الاصل ؛ ٢٤٤ سم
يتضمن نبذة مختصرة عن حياة المؤلف.
يتضمن مصادر وكشافات.
١. القرآن-تفاسير الشيعة-القرن ٦ هـ. الف. الحكيم، جواد كاظم-محقق. ب. العنوان.

BP130.4 .T33 2017

مركز الفهرسة ونظم المعلومات

الكتاب: جوامع الجامع
تأليف: أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي
تحقيق: جواد السيد كاظم الحكيم
راجعاه واعتنى بشره: قسم شؤون المعارف الاسلامية والانسانية
الطبعة: الأولى
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع
سنة الطبع: ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٣٢١) لعام ٢٠١٧ م



سورة المائدة

مدينة، وهي مائة وعشرون آية كوفي، ثلاث وعشرون بصري، ﴿بِالْعُقُودِ﴾،
﴿وَيَغْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾، ﴿فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ بصري.

في حديث أبي: ((ومن قرأ (سورة المائدة) أعطي من الأجر بعدد كل يهودي
ونصراني يتنفس في دار الدنيا عشر حسنات، ومحى عنه عشر سيئات، ورفع له
عشر درجات))^(١)، أبو الجارود^(٢) عن الباقر عليه السلام: ((من قرأ (سورة المائدة) في كل
يوم خميس لم يلبس إيمانه بظلم ولا يشرك أبداً))^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ
الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾

(١) الكشف والبيان ج ٤: ٥.

(٢) أبو الجارود زياد بن المنذر الهمداني الأعمى، زيدي المذهب وإليه تنسب الزيدية الجارودية،
من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام، له كتاب التفسير. ينظر: معجم رجال الحديث
ج ٧: ٣٢٢.

(٣) ثواب الأعمال: ١٠٥ وفيه: لم يشرك.

وفي بعده وأوفى بمعنى، والعقد: العهد، بمعنى العقود، والعقود: عهود الله التي عقدها على عباده، وألزمها إيتاها من الإيثار به وتحليل حلاله وتحريم حرامه، وقيل: هي العقود التي يتعاقد بها الناس من المبايعة والمناكحة وغيرهما^(١).

ثم أخذ سبحانه في تفصيل العقود التي أمر بالوفاء بها فقال: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ والبهيمة: كل ذات أربع من دواب البر والبحر، وإضافتها إلى ﴿الْأَنْعَامِ﴾ للبيان كخاتم فضة، ومعناه: البهيمة من الأنعام.

﴿إِلَّا مَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ إلا محرم ما يتلى عليكم في القرآن من نحو قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ... الآية﴾^(٢)، أو إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه.

والأنعام: الأزواج الثمانية، وقيل: بهيمة الأنعام هي الطباء وبقر الوحش ونحوهما^(٣)، كأنهم أرادوا ما يماثل الأنعام ويدانيها من جنس البهائم، فأضيفت إلى الأنعام للملازمة الشبه.

﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ نصب على الحال من الضمير في ﴿لَكُمْ﴾ أي: أحلت لكم هذه الأشياء لا محلين الصيد، وقال الأخفش^(٤): انتصب عن قوله: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(٥).

﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ حال عن ﴿مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ كأنه قيل: أحل لكم بعض الأنعام

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ٦: ٣٣.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) معاني القرآن للفراء ج ١: ٢٩٨.

(٤) أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، كان مولى بني مجاشع من أهل بلخ، سكن البصرة، قرأ النحو على سيويه وكان أسن منه، ورد بغداد وأقام بها مدة، له تصانيف كثيرة، مات سنة ٢١٦ هـ، وقيل غير ذلك. ينظر: بغية الوعاة ج ١: ٥٩٠.

(٥) معاني القرآن للأخفش: ٢٧١.

في حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون لثلا يخرج عليكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَخْتَصُمُ مَا يُرِيدُ﴾ من الأحكام، وحُرْم: جمع حرام وهو المحرم.
يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعْيَرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا
الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِّنْ
رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن
صَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ
وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ

الشعائر: أعلام الحج وأعماله، جمع شعيرة وهي ما جعل شعاراً وعلماً للنسك
من المواقف والطواف والسعي وغيرها، و﴿الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ شهر الحج.
و﴿الْهَدْيَ﴾ ما أُهدي إلى البيت وتقرب به إلى الله من النساءك، وهو جمع
هدية كجدي في جمع جدية السرج.

و﴿الْقَلَائِدَ﴾ جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدى من نعل أو غيره. والآمون:
القاصدون، وآمو البيت الحرام هم الحجاج والعمار.

وإحلال هذه الأشياء: أن يتهاون بحرمتها وتضييع، وأن يحال بينها وبين
المتسكين، وأن يحدث في شهر الحج ما يصد الناس عن الحج، وأن يتعرض للهدى
بالغضب أو بالمنع من بلوغ محله. وفي إحلال القلائد وجهان:

أحدهما: أن يراد ذوات القلائد من البدن والبقر، وإنما عطف بها على الهدى
للاختصاص وزيادة التوصية بها كأنه قيل: والقلائد منها خصوصاً.

والثاني: أن ينهى عن التعرض لقلائد الهدى، مبالغة في النهي عن التعرض

للهدى، كأنه قيل: ولا تحلّوا قلائدها فضلاً عن أن تحلّوها، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾^(١) نهى عن إبداء الزينة فضلاً عن إبداء مواقعها.

﴿وَلَا آيَاتٍ﴾ أي: ولا تحلّوا قوماً قاصدين المسجد الحرام.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وهو الثواب ﴿وَرِضْوَاناً﴾ وأن يرضى عنهم، أي: لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيماً لهم.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ هو إباحة للاصطياد بعد الخطر، كأنه قيل: وإذا حللتكم فلا جناح عليكم أن تصطادوا.

وجرم مثل كسب في تعدّيه إلى مفعول واحد واثنين، تقول: جرم ذنباً وجرّمته ذنباً، وكسب شيئاً وكسبته إياه، وأول المفعولين في الآية ضمير المخاطبين، والثاني ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾.

﴿وَأَنْ صَدُّوكُمْ﴾ بفتح الهمزة متعلّق بالشأن وهو شدة البغض. وقرئ بسكون النون أيضاً. والمعنى: ولا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء، ولا يحملنكم عليه لأن صدوكم عن المسجد الحرام، وهو منع أهل مكة رسول الله ﷺ والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة. ومعنى الاعتداء: الانتقام منهم بإلحاق المكروه بهم.

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْتَّقْوَى﴾ أي: على العفو والإغضاء.

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ على الانتقام والتشقي، والأولى أن يكون محمولاً على العموم، فيتناول كل برّ وتقوى وكل إثم وظلم.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لغيرِ اللَّهِ بِهِ
وَالْمُنْخَفِقَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُرَدِّيَةُ وَالنَّطِيجَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا

مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَٰلِكُمْ
فِسْقٌ ۖ ٱلْيَوْمَ يَبْسُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ
ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
ٱلْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾

كانوا يأكلون هذه المحرمات: البهيمة التي تموت حتف أنفها، والدم يجعلونه
في المباعر ويشوونه ويقولون: (لم يحرم من فزده) ^(١) أي: فصد له.
﴿وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ﴾ أي: رفع الصوت به لغير الله، وهو قولهم: باسم
اللات والعزى عند ذبحه.

﴿وَالْمُنْحِفَةُ﴾ التي خنفت حتى ماتت، أو انخنفت هي بسبب.
﴿وَالْمَوْفُودَةُ﴾ التي ضربت حتى ماتت.
﴿وَالْمَرْدِيَّةُ﴾ التي تردت من جبل أو في بئر فماتت.
﴿وَالنَّطِيطَةُ﴾ التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح.
﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ بعضه ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي: أدرتكم ذكاته وهو يضطرب
اضطراب المذبوح أو تشخب أو داجه، عن الصادق عليه السلام: ((أدنى ما يدرك به الزكاة
أن تدركه يتحرك أذنه أو ذنبه أو تطرف عينه)) ^(٢).

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يعبدونها
وهي الأوثان، ويذبحون لها وينضحون الدم على ما أقبل منها إلى البيت، ويشرحون

(١) مجمع الأمثال ج ٣: ١١٣.

(٢) الاستبصار ج ٤: ٧٣.

اللحم عليها يعظمونها بذلك، قال الأعشى:

وَذَا التُّصْبِ الْمُنْصُوبِ لَا تَسْكَنُهُ وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهِ فَاعْبُدَا^(١)

وجعه الأنصاب، وقيل: النصب جمع والواحد نصاب.

﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾ أي: وحرم عليكم الاستقسام بالقداح، وهي سهام كانت لهم مكتوب على بعضها: أمرني ربّي، وعلى بعضها: نهاني ربّي، وبعضها: غفل. فمعنى الاستقسام بالأزلام: طلب معرفة ما يقسم له مما لم يقسم له بالأزلام. وقيل: هو الميسر، وقسمتهم الجزور على القداح العشرة، فالقدّ له سهم، والتوأم له سهمان، والمسبل له ثلاثة أسهم، والنافس له أربعة أسهم، والجلس له خمسة أسهم، والرقيب له ستة أسهم، والمعلّى له سبعة أسهم، والسفيح والمنبح والوغد لأنصباء لها، وكانوا يدفعون القداح إلى رجل يجيئها، وكان ثمن الجزور على من يخرج له هذه الثلاثة التي لا أنصباء لها، وهو القمار الذي حرّمه الله عزّ وجل^(٢). وقيل: هو الشطرنج والنرد^(٣).

﴿ذَلِكُمْ فَسَقُ﴾ الإشارة إلى الاستقسام أو إلى تناول ما حرّم عليهم.

﴿الْيَوْمَ﴾ لم يرد يوماً بعينه ومعناه الآن.

﴿يَسَّسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ أن يبطلوه وأن ترجعوا محلّلين لهذه المحرّمات، وقيل: يشسوا من دينكم أن يغلبوه، لأنّ الله تعالى وفي بعهدته من إظهاره على الدين كله.

(١) ديوان الأعشى: ١٠٣ وفيه: الأوثان بدل الشيطان.

(٢) الخصال: ٤٢٠.

(٣) عن سفيان بن وكيع. الكشف والبيان ج ٤: ١٥.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ بعد إظهار الدين وزوال الخوف منهم إذ انقلبوا مغلوبين بعد أن كانوا غالبين ﴿وَأَخْشَوْنِي﴾ وأخلصوا لي الخشية.

﴿أَيُّومَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وما تحتاجون إليه في تكليفكم من الحلال والحرام والفرائض والأحكام.

﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، روي عن الباقر والصادق عليه السلام: ((أنه إنما نزلت بعد أن نصب النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام علماً للأئمة يوم غدیر خم عند منصرفه من حجة الوداع، وهو آخر فريضة أنزلها الله تعالى ثم لم ينزل بعدها فريضة))^(١).

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أي: اخترته لك من بين الأديان، وأذنتكم بأنه الدين المرضي عندي.

واتصل قوله: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ﴾ بذكر المحرمات، وقوله: ﴿ذَلِكَ لَكُمْ فَسَقٌ﴾ وما بعده اعتراض أكد به معنى التحريم، لأنَّ تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والإسلام المرضي، والمعنى: فمن اضطر إلى الميتة أو غيرها في مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ أي: غير منحرف، نحو قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾^(٢).

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لا يؤاخذ به ذلك.

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَسْكَنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَقْنُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١﴾

(١) تفسير العياشي ج ١: ٢٩٣، وينظر: كتاب الغدير ج ١: ٢٣٠ - ٢٣٧.

(٢) البقرة: ١٧٣.

﴿مَاذَا﴾ مبتدأ، و﴿أَحَلَّ لَهُمْ﴾ خبره، أي: أي شيء أحلّ لهم من المطاعم؟ كأنّهم حين نلي عليهم المأكّل المحرّمة سألوها عما أحلّ لهم منها، ولم يقل: ماذا أحلّ لنا حكاية لما قالوه، لأنّ ﴿يَسْتَلُونَكَ﴾ بلفظ الغيبة، وهذا كما تقول: أقسم زيد ليفعلن، ولو قيل: لأفعلن، وأحلّ لنا لجاز.

﴿قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ وهو كل ما لم يأت تحريمه في الكتاب والسنة.
﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ عطف على ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ أي: وصيد ما علّمتهم فحذف المضاف، أو يجعل (ما) شرطية وجوابها ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾.

والجوارح: هي الكواشب من الكلاب عند أئمة الهدى عليهم السلام، الصادق عليه السلام قال: ((لا تأكل إلا ما ذكيت إلا الكلاب، وكل شيء من السباع تمسك الصيد على نفسها إلا الكلاب المعلّمة فإنّها تمسك على صاحبها، وقال: إذا أرسلت الكلب المعلّم فاذكر اسم الله عليه فهو ذكاته))^(١) وهو أن يقول: بسم الله والله أكبر.

﴿مُكَلِّينَ﴾ حال من ﴿عَلَّمْتُمْ﴾ والمكلب: مؤدّب الكلاب ومضريها بالصيد لصاحبها.

و﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال ثانية أو استئناف.

﴿بِمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ من علم التكليل، لأنّه إلهام من الله ومكتسب بالعقل، وقيل: مما عرّفكم الله أن تعلّموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه وانزجاره بزجره، وإمساك الصيد عليه وأن لا يأكل منه^(٢).

﴿وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند الإرسال، أو إذا أدركتم ذكاته.

(١) تفسير القمي ج ١: ١٦٢.

(٢) عن السدي. تفسير الطبري ج ٦: ٥٨.

﴿وَأَقُوا اللَّهَ﴾ فلا تقربوا ما نهاكم عنه.

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ
وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ
مُسَفِحِينَ وَلَا مَخْذِيٍّ أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ
عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴿٥﴾

﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ تقع على كل مستطاب من الأطعمة إلا ما دلّ الدليل على

تحريمه.

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ قيل: هو ذبائهم^(١)، وقال الصادق عليه السلام:

((هو مختص بالحبوب وما لا يحتاج فيه إلى التذكية))^(٢).

﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ فلا جناح عليكم أن تطعموهم.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ الحرائر والعفاف، [وإنما خصهن بعثاً للمؤمنين على أن

يتخيروا لنطفهم، وإلا فغير العفاف]^(٣) يصح نكاحهن، وكذلك الإماء المسلمات.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ قال أصحابنا: هن اللواتي

أسلمن منهن^(٤)، وذلك أنّ قوماً كانوا يتحرّجون من العقد على من أسلمت

عن كفر، فلذلك أفردن بالذكر، واحتجوا بقوله سبحانه: ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٦: ٦٦.

(٢) ينظر: الوسائل ج ١٦ باب ٥١ من أبواب الأطعمة والأشربة.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) التبيان ج ٣: ٤٤٦.

الْكُوفِرِ^(١) وقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾^(٢).

[﴿إِذَا أَتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهن]^(٣) ﴿مُحْصِنِينَ﴾ أعفاء ﴿غَيْرِ مُسْكِنِينَ﴾ غير زانين ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ صداق، والخذن يقع على الذكر والأنثى.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ ومن لم يؤمن من أهل الكتاب ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾. وفي هذا دلالة على أنَّ حبوط العمل لا يترتب على ثبوت الثواب، فإنَّ الكافر ليس له عمل عليه ثواب.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى
الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ
جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا
صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ
نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾

﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ مثل قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾^(٤)

في أنَّ المراد: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، فعبر عن إرادة الفعل بالفعل، لأنَّ الفعل يوجد بالقصد والإرادة، ولأنَّ من قام إلى الشيء كان قاصداً له لا محالة، فعبر عن

(١) الممتحنة: ١٠.

(٢) البقرة: ٢٢١.

(٣) ساقطة من أ، ب، ط.

(٤) النحل: ٩٨.

القصد له بالقيام إليه.

﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ وحدّ الوجه من قصاص شعر الرأس إلى محادر شعر الذقن طولاً وما دخل بين الوسطى والإبهام عرضاً.

﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ والمرفق: ما يرتفق به من اليد أي: يتكأ عليه. لادليل في الآية على دخول المرافق في الغسل، إلا أنّ أكثر الفقهاء ذهبوا إلى وجوب غسل المرافق في الوضوء، وهو مذهب أهل البيت (عليه السلام)،^(١) وأجمعت الأمة على أنّ من بدأ في غسل اليدين من المرفقين صح وضوؤه، وأصحابنا يوجبونه^(٢).

﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ المراد إصااق المسح بالرأس، وأصحابنا يوجبون أقل ما يقع عليه اسم المسح^(٣)، وهذا مذهب الشافعي^(٤).

﴿وَأَرْجُلُكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ قرئ: بالجر والنصب، فالجر للعطف على اللفظ، والنصب للعطف على محلّ الجار والمجرور.

وقال جار الله: لما كانت الأرجل مظنة للإسراف المذموم في صب الماء عليها، فعطفت على المسوح لا لتمسح، لكن ليتبّه على وجوب الاقتصاد في صبّ الماء عليها. وقيل: ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ فجاء بالغاية إمالة لظن طان يحسبها ممسوحة، لأنّ المسح لم يضرب له غاية في الشريعة^(٥).

وهذا كلام فاسد، لأنّ حقيقة العطف تقتضي أن يكون المعطوف في حكم

(١) ينظر: الوسائل ج ١ باب ١٥ من أبواب الوضوء.

(٢) المذهب ج ١: ٤٣، وينظر: الناصريات: ١١٨.

(٣) الخلاف ج ١: ٨٣، المذهب ج ١: ٤٤.

(٤) كتاب الأم ج ١: ٢٢.

(٥) الكشف ج ١: ٦١١.

المعطوف عليه، وكيف يكون المسح في معنى الغسل؟! وفائدة اللفظين مختلفة، ولفظ التنزيل قد فرق بين الأعضاء المغسولة والأعضاء الممسوحة. وأما قوله: (لم يضرب للمسح غاية) فمما لا يخفى فساد، لأنَّ ضرب الغاية لا يدلُّ على الغسل، فلو صرح فقيل: (وامسحوا بأرجلكم إلى الكعبين) لم يكن منكراً ولم يشك أحد في أنه كان يجب المسح إلى الكعبين، فكذلك إذا جعل في حكم الممسوح بالعطف عليه، وقد بسطنا الكلام فيه في كتاب مجمع البيان^(١)، ولا يحتل هذا الكتاب أكثر مما ذكرناه. والكعبان عندنا هما العظامان الناتان في القدمين عند معقد الشراك^(٢)، وإليه ذهب محمد بن الحسن^(٣).

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ أي: تطهروا بالاغتسال.

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم.

﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ بالتراب إذا أعوزكم التطهير بالماء.

﴿وَلِيُسِّرَ﴾ برخصته إنعامه ﴿عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمته عليكم.

وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِثْلَهُ الَّذِي وَاتَّقُوا اللَّهَ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ

(١) مجمع البيان ج ٣-٤: ١٦٤-١٦٧.

(٢) الانتصار: ١١٥.

(٣) المبسوط للرخسي ج ١: ٩، وهو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء، ولد بواسط سنة ١٣١ هـ ونشأ بالكوفة، فسمع من أبي حنيفة وغلب عليه مذهبه وعرف به، توفي بالري سنة ١٨٩ هـ. ينظر وفیات الأعيان ج ٣: ٣٢٤.

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ
 أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
 ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
 وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ
 أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ وهي نعمة الإسلام.

﴿رَمِيزُهُ الَّذِي وَاتَّقُوا اللَّهَ بِهِ﴾ أي: عاقدكم به عقداً وثيقاً، وهو الميثاق
 الذي أخذه عليكم رسول الله ﷺ حين بايعهم على السمع والطاعة في حال اليسر
 والعسر فقبلوا وقالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، وقيل: هو ما بين لهم في حجة الوداع
 من تحريم المحرمات وفرض الولاية وغير ذلك عن الباقر عليه السلام^(١).

وعدي ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ بـ ﴿عَلَىٰ﴾ لأنه في معنى: ولا يحملنكم بغضكم
 للمشركين ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ أي: تركوا العدل فتعدوا عليهم بأن تنتصروا
 منهم، وتشفوا ما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثله أو قتل
 أولاد أو نساء أو غير ذلك.

﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ نهاهم أولاً عن ترك العدل، ثم صرح لهم
 بالأمر بالعدل تأكيداً، ثم ذكر لهم وجه الأمر بالعدل بقوله: ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾
 أي: أقرب إلى التقوى لكونه لطفاً فيها. وإذا كان العدل إلى الكفار بهذه الصفة من
 القوة، فكيف يكون مع المؤمنين!

﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله، كأنه قدم

لهم وعداً ف قيل: أي شيء هو؟ فقال: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾.

وأجرى ﴿وَعَدَ﴾ مجرى (قال) لأنه ضرب من القول.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ
قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

روي: أن رسول الله ﷺ أتى بني النضير مع جماعة من أصحابه يستقرضهم
دية رجلين أصحابهما رجل من أصحابه وهما في أمان منه فلزمه ديتهما، أو يستعينهم
على ذلك، فقالوا: نعم، اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما تسأل، وهما بالفتك به،
فأخبره جبرئيل فخرج، وكان إحدى معجزاته ﷺ (١).

يقال: بسط إليه كفه إذا بطش به، ومعنى بسط اليد: مدها إلى المبطوش به،
والكف: المنع.

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ
اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ
الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ
وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ
بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾

أمر الله بني إسرائيل بعد هلاك فرعون بمصر بأن يسيروا إلى أريحا من أرض
الشام - وكان يسكنها الجبابرة - وقال: إِنِّي كَتَبْتُهَا لَكُمْ قَرَارًا، وأمر موسى بأن يأخذ

من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به من الخروج إلى الجبارة والجهاد وقائداً ورئيساً لهم، فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل، وتكفل لهم به النقباء وسار بهم، فلما دنا من أرضهم بعث النقباء يتجسسون، فرأوا أجراماً عظيمة وقوة، فرجعوا فأخبروا موسى ﷺ بذلك، فأمرهم أن يكتموا ذلك، فحدّثوا بذلك قومهم إلا كالب بن يوفنا من سبط يهودا، ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وكانا من النقباء، وقيل: كتم خمسة وأظهر الباقيون. والنقيب: الذي ينقّب عن أحوال القوم، أي: يفتش عنها، كما قيل: عريف لأنّه يتعرفها.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي: ناصركم ومعينكم.

﴿وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم ومنعتموهم من أيدي العدو، ومنه التعزيز وهو التثبيت والمنع من معاودة الفساد.

وقيل: معناه: ولقد أخذنا ميثاقهم بالإيمان والعدل وبعثنا منهم اثني عشر ملكاً يقيمون فيهم العدل.

واللام في ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمْ﴾ موثقة للقسم، وفي ﴿لَأُكْفِّرَنَّ﴾ جواب القسم ساذ مسدّ جواب القسم والشرط جميعاً.

﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ أي: بعد أخذ الميثاق وبعث النقباء.

﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ أي: أخطأ ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ وزال عن قصد الطريق

الواضح، لأنّ النعمة كلما عظمت وزادت كثرت المذمة في كفرانها وتمادت.

فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا

إِنَّا نَصْرِيْكَ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ،
فَأَعَزَّتْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ
يُنِيبُهُمُ اللَّهُ يَمَّا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١﴾

﴿لَعَنَهُمُ﴾ أي: أبعدناهم من رحمتنا وطردها.

﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ خذلناهم ومنعناهم الألفاف حتى قست
قلوبهم، والقسوة: خلاف اللين والرفقة، وقرئ: قَسِيَّةً، أي: رديّة مغشوشة.
﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ بيان لقسوة قلوبهم، فإنّ تغيير كلام الله والكذب
عليه من القسوة.

﴿وَنَسُوا حَظًّا﴾ وتركوا نصيباً وافياً ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ في التوراة، يعني:
إنّ إعراضهم عن التوراة إغفال حظ عظيم، أو يكون المعنى: فسدت قلوبهم
فحرفوا التوراة وذهبت أشياء منها عن حفظهم. وعن ابن مسعود: (قد ينسى المرء
بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية) (١).

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ أي: خيانة منهم، أو على نفس أو فرقة
خائنة منهم.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم الذين آمنوا منهم، وقيل: إلا قليلاً داموا على عهدهم.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ ماداموا على عهدك ولم يخونوك.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيْكَ﴾ سمّوا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة

الله، وهم الذين قالوا لعيسى عليه السلام: نحن أنصار الله، ثم اختلفوا بعده نسطورية (٢)

(١) سنن الدارمي ج ١: ١٠٥ بالمعنى.

(٢) النسطورية: هم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون وتصرف في الأناجيل بحكم
رأيه. ينظر: أقوالهم في الملل والنحل ج ٢: ٤٤.

ويعقوبية^(١) وملكانية^(٢) فصاروا أنصاراً للشيطان.

﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ فألصقنا وألزمنا من غري بالشيء: إذا لزمه ولصق به وأغراه

غيره.

﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين فرق النصارى المختلفين، وقيل: بينهم وبين اليهود^(٣)،

ونحوه: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾^(٤).

يَتَاهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ
كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُوا
عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ
السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾

خاطب اليهود والنصارى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﷺ.

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ﴾ من أمر الرجم وأشياء

حرّفتوها ﴿وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ مما تخفونه لا يبينه، وعن الحسن: (ويعفو

عن كثير منكم لا يؤاخذه)^(٥).

(١) اليعقوبية: هم أصحاب يعقوب قالوا بالاقانيم الثلاثة، وقالوا انقلبت الكلمة لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح. ينظر: أقوالهم في الملل والنحل ج ٢: ٤٨.

(٢) الملكانية: هم أصحاب ملكا الذي ظهر بالروم واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية وهم الذين قالوا بالتثليث. ينظر: أقوالهم في الملل والنحل ج ٢: ٣٩.

(٣) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ٦: ١٠٢.

(٤) الأنعام: ٦٥.

(٥) الكشف ج ١: ٦١٧.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ وهو محمد ﷺ يهتدي به الخلق كما يهتدي بالنور، وقيل: هو القرآن لكشفه ظلمات الشك والشرك^(١).

﴿وَكُتِبَ مُبِينٌ﴾ يبين ما كان خافياً على الناس من الحق، أو مبين ظاهر الإعجاز.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ يريد من آمن منهم.
﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ أي: طرق النجاة من عذاب الله، أو سبل الله وهي شرائع الإسلام.

﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الْكُفْرِ﴾ إلى الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي: بلطفه ويرشدهم إلى طريق الحق أو طريق الجنة.

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

كفرهم الله تعالى بهذا القول، قيل: كان في النصارى قوم يبتون القول بأن الله هو المسيح، وقيل: كأن مذهبهم يؤدي إلى ذلك وإن لم يصرحوا به من حيث

اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر أمر العالم.

﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: فمن يمنع من قدرته ومشيته شيئاً.
 ﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يَهْلِكَ﴾ من دعوه إلهاً من المسيح وأمه. وعطف ﴿مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ على ﴿الْمَسِيحِ﴾ ﴿وَأُمِّهِ﴾ ليدلّ على أنها من جنسهم لا تفاوت في البشرية بينهما وبينهم.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من ذكر وأنثى، وما يشاء من أنثى من غير ذكر كما خلق عيسى، وما يشاء من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم.
 ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ﴾ أي: أشباع ابني الله عزير والمسيح، كما يقول أقرباء الملك: نحن الملوك.

﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ﴾ أي: فإن صح أنكم أبناء الله وأحبّاءه، فلم تذبّون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون؟!، ولو كنتم أبناء الله لكنتم من جنس الأب لا تعصون الله، ولو كنتم أحبّاءه لما عاقبكم.

﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ من جملة من ﴿خَلَقَ﴾ من البشر.

يَتَأَهَّلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ
 أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ
 وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

المعنى: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ الدين والشرع، أو يبين لكم ما كنتم تخفونه، أو يبذل لكم البيان على الإطلاق. ومحلّه النصب أي: مبيّناً لكم.

﴿عَلَى فَتْرَةٍ﴾ متعلّق بـ ﴿جَاءَكُمْ﴾ أي: جاءكم على حين فترة من إرسال الرسل وانقطاع من الوحي.

﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ كراهة أن تقولوا ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ﴾ بالشواب ﴿وَلَا نَذِيرٍ﴾ بالعقاب.

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ متعلق بمحذوف، أي: لا تعتذروا فقد جاءكم.

قالوا: كان بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما خمسمائة وستون سنة^(١)، وقيل: ستمائة سنة^(٢)، وعن الكلبي^(٣): كان بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة وألف نبى، وبين عيسى ومحمد أربعة أنبياء: ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب وهو خالد بن سنان العبسي^(٤).

ومعنى الآية: الامتنان عليهم بإرسال الرسول إليهم بعد اندراس آثار الوحي أحوج ما يكونون إليه ليعدّوه أعظم نعمة من الله.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَنْقُورِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَنَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾

(١) عن قتادة برواية معمر. تفسير الطبري ج ٦: ١٠٧.

(٢) عن أبي عثمان النهاوندي. معالم التنزيل ج ١: ٢٧٧.

(٣) أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي، صاحب التفسير وعلم النسب، كان إماماً في هذين العلمين، توفي سنة ١٤٦ هـ بالكوفة. ينظر: وفيات الأعيان ج ٣: ٤٣٦، معجم رجال الحديث ج ١٧: ١١٤.

(٤) الكشف ج ١: ٦١٩.

لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء، وذلك من نعم الله تعالى عليهم وآلائه لديهم.

﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ لأن الله سبحانه ملكهم ملك فرعون وملك الجبابة، وقيل: إنهم كانوا مملوكين في أيدي القبط، فسمّى الله سبحانه إنقاذهم منهم ملكاً^(١).
﴿وَأَنْتُمْ مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ من فلق البحر وتظليل الغمام وغير ذلك من الأمور العظام، وقيل: أراد عالمي زمانهم^(٢).

﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ أرض بيت المقدس، وقيل: فلسطين ودمشق وبعض الأردن^(٣)، وقيل: الشام^(٤). وكان بيت المقدس مستقر الأنبياء ومسكن المؤمنين.
﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: قسمها لكم، أو خطّها في اللوح المحفوظ أنّها لكم.

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ ولا تنكصوا على أعقابكم مدبرين من خوف الجبابة جبناً، أو لا ترتدوا على أدباركم في دينكم بعصيانكم نبيكم ومخالفتكم أمر ربكم، فترجعوا ﴿خَسِرِينَ﴾ ثواب الدنيا والآخرة.

والجبار فقال من جبره على الأمر بمعنى أجبره، وهو الذي يجبر الناس على ما يريد.

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا

(١) عن السدي. تفسير الطبري ج ٦: ١٠٩.

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٦: ١٠٩.

(٣) عن الكلبي. معالم التنزيل ج ١: ٢٧٧.

(٤) عن قتادة. تفسير الطبري ج ٦: ١١٠.

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا
دَامُوا فِيهَا فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعُودُونَ
﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافَرَّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾

الرجلان: كالب ويوشع.

أي: ﴿يَخَافُونَ﴾ الله ويخشونه كأنه قال: رجلان من المتقين، وقيل: الواو
لبنى إسرائيل أي: ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ يخافونهم وهم الجبارون، وكانا منهم على دين
موسى لما بلغها خبر موسى أتياه فاتبعاه^(١).

﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالإيمان، وكان سعيد بن جبير يقرأ: يُخَافُونَ - بضم الياء،
قالا لهم: إِنَّ الْعَمَالَةَ أَجْسَامٌ لَا قُلُوبَ فِيهَا، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَازْهَبُوا إِلَيْهِمْ فَإِنَّكُمْ غَالِبُوهُمْ،
ويجوز أن يكون ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ في محل رفع وصفاً لـ ﴿رَجُلَيْنِ﴾، ويجوز أن يكون
اعتراضاً لا محل له من الإعراب.

﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ يعني باب قريتهم.

قالوا ﴿لَنْ نَدْخُلَهَا﴾ نفياً لدخولهم في المستقبل على سبيل التأكيد، و﴿أَبَدًا﴾
تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاوّل، و﴿مَا دَامُوا فِيهَا﴾ بيان للأبد.

﴿فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا﴾ هذه استهانة منهم بالله ورسوله وقلة
مبالاة.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ﴾ لنصرة دينك ﴿إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ هذه شكاية منه

إلى الله تعالى بحزن ورقة قلب.

وذكر في إعراب ﴿وَأَخِي﴾ وجوه: أن يكون منصوباً معطوفاً على ﴿نَفْسِي﴾، وعلى الضمير في ﴿إِنِّي﴾ بمعنى: وإن أخي لا يملك إلا نفسه؛ وأن يكون مرفوعاً عطفاً على محلّ (إن) واسمها، كأنه قيل: أنا لا أملك إلا نفسي وهارون كذلك لا يملك إلا نفسه، وعلى الضمير في ﴿لَا أَمْلِكُ﴾ وجاز للفصل؛ وأن يكون مجروراً عطفاً على الضمير في ﴿نَفْسِي﴾ وهو ضعيف.

﴿فَأَفَرَّقْ﴾ أي: فافصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحقّ وتحكم عليهم بما يستحقّون، وهو في معنى الدعاء عليهم.

﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: فإن الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ لا يدخلونها ولا يملكونه ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾. فقد روي: أنّ موسى سار بمن بقي من بني إسرائيل - وكان يوشع على مقدّمته - ففتح أريحا وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض، وقيل: مات موسى في التيه، ومات هارون قبله بسنة، وسار يوشع بهم إلى أريحا، وقيل: لم يدخل الأرض المقدسة أحد من قال: ﴿إِنَّا لَنَدْخُلُهَا﴾ وهلكوا في التيه، ونشأت ذرارهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها، فيكون التقدير: كتب الله لكم الأرض المقدسة بشرط أن تجاهدوا أهلها، فلما أبوا الجهاد قيل: فإنّها محرّمة عليهم، فالعامل في الظرف ﴿بَيْنَهُمْ﴾.

﴿بَيْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يسرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقاً، والته: المفازة التي يتاه فيها. فروي: أنّهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسرون كل يوم جادين حتى إذا أمسوا كانوا بحيث ارتحلوا عنه، وكان الغمام يظلمهم من حر الشمس، ويطلع لهم بالليل عمود من نور يضيء لهم، وينزل عليهم المن والسلوى، ولا تطول شعورهم، وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر،

يطول بطوله.

واختلف في موسى وهارون هل كانا معهم في التيه؟ فقيل: لم يكونا معهم لقوله: ﴿فَأَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾، وقيل: كانا معهم إلا أنه كان ذلك روحاً لهما وسلاماً لا عقوبة كالنار لإبراهيم^(١).

﴿فَلَا تَأْسَ﴾ فلا تحزن عليهم فإنهم أحقّاء بالعذاب، لأنه ندم على الدعاء عليهم.

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾

ابنا آدم هما: هابيل وقايل.

أوحى الله تعالى إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر، وكانت توأمة قاييل أجمل، فحسد عليها أخاه وأبى ذلك، فقال لهما آدم: قربا قرباناً فمن أيكما قبل زوجها، فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته، فازداد قاييل حسداً وسخطاً وتوعده بالقتل.

أي: اتل نأهما تلاوة ملتبسة بالحق والصدق موافقاً لما في كتب الأولين، أو اتل عليهم وأنت محق صادق ﴿إِذْ قَرَّبَا﴾ نصب بالنبا أي: قصتهما في ذلك الوقت،

(١) ينظر: الأقوال والقصة في تاريخ الطبري ج ١: ٢٢٢ - ٢٢٧.

ويجوز أن يكون بدلاً من ﴿نَبَأًا﴾ أي: نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف.
والقربان: اسم ما يتقرب به إلى الله تعالى، يقال: قرب نسكاً وتقرب به.
﴿قَالَ لَا قَتْلُكَ﴾ أي: قال الذي لم يتقبل قربانه منها للذي يتقبل قربانه:
لأقتلك.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ كأنه قال له: لم تقتلني؟ قال: لأنه يتقبل منك ولم يتقبل مني، فقال: إنما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخك من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني؟ وفيه دليل على أن الله تعالى إنما يقبل الطاعة ممن هو زاكي القلب متق.

﴿مَا أَنَا بِبَاسٍ بِإِدَى إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ لأن إرادة القتل قبيحة، وإنما يحسن من المظلوم قتل الظالم على وجه المدافعة له طلباً للتخلص من غير أن يقصد إلى قتله، فكأنه قال: لئن ظلمتني لم أظلمك.

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ﴾ معناه: أن تحتل إثم قتلي لك وإثم قتلك لي، والمراد بمثل إثمي على الاتساع، فكأنه قال: أريد أن تبوء بمثل إثمي لو بسطت إليك يدي، وقيل: إن المعنى: إني أريد أن تبوء بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ أي: فوسعته له ويسرته، من طاع له المرتع: إذا اتسع، أي: زينت له وشجعت عليه.

﴿فَقَتَلَهُ﴾ وقيل: إنه كان أول قتيل في الناس.

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ خسر الدنيا والآخرة وذهب عنه خيرهما.

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ، كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ
أَخِيهِ قَالَ يَتَوَلَّى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ
سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾

روي: أنه لما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به، فقصد السباع فحمله في
جراب على ظهره حتى أروح، وعكفت عليه الطير والسباع ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ﴾ غرابين
فاقتلا فقتل أحدهما صاحبه، ثم حفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة، فقال
﴿يَتَوَلَّى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾^(١).

﴿لِيُرِيَهُ﴾ الله أو ليريه الغراب أي: ليعلمه، ولما كان سبب تعليمه فكأنه
قصد تعليمه، والسوءة: ما لا يجوز أن ينكشف من الجسد، وأصلها الفضيحة
فكني بها عن العورة.

﴿فَأُورِيَ﴾ جواب الاستفهام.

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على قتله، لما تعب فيه من حمله على ظهره وتخيّره
في أمره وسخط أبيه ولم يندم ندم التائبين. وروي أنه لما قتله اسودّ جسده وكان
أبيض، فسأله آدم عن أخيه، فقال: ما كنت عليه وكيلاً، فقال: بل قتلته، ولذلك
اسودّ جلدك.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا
يَعْبُدِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ
جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ
جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
فِي الْأَرْضِ لَمُسرِفُونَ ﴿٣٢﴾

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ أي: بسبب ذلك وبعثته، وأصله من أجل عليهم شراً، أي: جناه، فإذا قلت: من أجلك فعلت [كذا، فكأنك أردت من أن جنيت فعله وأوجبتك فعلت]^(١)، ويدل عليه قولهم: من جراك.

و﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى القتل المذكور، و﴿مِنْ﴾ لابتداء الغاية، أي: من ابتداء ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ من أجل ذلك، وقرئ: من أجل ذلك. بكسر الهمزة. ثم خففت الهمزة وكسرت النون بإلقاء كسرة الهمزة عليها.

﴿أَنَّهُ، مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: بغير قتل نفس بمعنى بغير قود. ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [أو بغير فساد في الأرض]^(٢) وهو الحرب لله ورسوله وإخافة السبل.

﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي: فكأنه قصد لقتلهم جميعاً إذ قتل أخاهم، وصار الناس كلهم خصماءه في قتل تلك النفس.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ بأن استنقذها من غرق أو حرق أو هدم ونحوها، أو أخرجها من ضلال إلى هدى.

﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ يأجره الله على ذلك أجر من أحياهم بأسرهم، لأنه في إسدائه المعروف إليهم بإحيائه أخاهم المؤمن بمنزلة من أحيا كل واحد منهم.

﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعد ما كتبنا عليهم ﴿فِي الْأَرْضِ لِمُسْرِفُونَ﴾ في القتل لا يبالون به.

(١) ساقطة من ج.

(٢) ساقطة من ج.

إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾

لفظة ﴿إِنَّمَا﴾ تفيد إن المعنى: ما جزاؤهم إلا هذا.

﴿يُحَارِبُونَ اللَّهَ﴾ أي: أولياء الله كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾^(١).

﴿وَرَسُولُهُ﴾ أي: ومحاربون رسوله، ومحاربة المسلمين في حكم محاربته.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي: مفسدين، أو لأن سعيهم في الأرض لما كائن على طريق الفساد، نزل منزلة أن يقال: ويفسدون في الأرض فساداً، ويجوز أن يكون مفعولاً له أي: للفساد. وروي عن أئمتنا^(٢): ((إنَّ المحارب كل من شهر السلاح وأخاف الطريق، وجزاؤه على قدر استحقاقه: فإن جمع بين القتل وأخذ المال فجزاؤه أن يقتل ويصلب، وإن أفرد القتل فجزاؤه أن يقتل، وإن أفرد أخذ المال فجزاؤه أن تقطع يده لأخذ المال ورجله لإخافة السبيل، ومن أفرد الإخافة نفى من الأرض))^(٣).

وقوله: ﴿مِنْ خَلْفٍ﴾ معناه اليد اليمنى والرجل اليسرى. والنفي هو أن

ينفى من بلد إلى بلد إلى أن يتوب ويرجع.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكرناه.

(١) الأحزاب: ٥٧.

(٢) ينظر: الوسائل ج ١٨ باب ١ من أبواب حد المحارب.

﴿لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: فضيحة وهوان.
 وقوله: ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يدل على أَنَّ الحدود لا تكفر
 المعاصي، لأنه بين أَنَّهُمْ يستحقُّون العذاب العظيم مع إقامة الحدود عليهم.
 ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ استثناء من المعاقبين، فأما حكم القتل والجرح وأخذ
 المال فإلى الأولياء.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ
 وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ
 لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ
 مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ ﴿٣٧﴾

﴿الْوَسِيلَةَ﴾ كل ما يتوسل به إليه من الطاعات وترك المقبحات. وعن
 النبي ﷺ: ((سلوا الله لي الوسيلة، فإنها درجة في الجنة لا ينالها إلا عبد واحد أرجو
 أن أكون أنا هو))^(١)، وروى الأصمغ بن نباتة^(٢) عن علي عليه السلام: ((في الجنة لؤلؤتان
 إلى بطنان العرش: إحداهما بيضاء والأخرى صفراء، في كل واحدة منهما سبعون
 ألف غرفة، فالبيضاء: الوسيلة لمحمد ﷺ وأهل بيته، والصفراء: لإبراهيم وأهل
 بيته))^(٣).

(١) صحيح مسلم ج ٢: ٤.

(٢) الأصمغ بن نباتة المجاشعي، كان من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وعمر بعده. معجم رجال
 الحديث ج ٣: ٢١٣.

(٣) الكشف والبيان ج ٤: ٥٩.

﴿لِيَقْتَدُوا بِهِ﴾ ليجعلوه فدية لأنفسهم، وهذا تمثيل لنزول العذاب بهم، وأنه لا سبيل لهم إلى الخلاص منه بوجه، و﴿لَوْ﴾ مع ما في حيزه خبر ﴿إِنْ﴾، ووحد الضمير في ﴿بِهِ﴾ مع أن المذكور شيان، لأنه أجري مجرى اسم الإشارة، أي: ليفتدوا بذلك، أو يكون نحو قوله:

فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَعَرِيبٌ^(١)

ويروى أن نافع بن الأزرق^(٢) قال لابن عباس: (ترعم أن قوماً يخرجون من النار وقال الله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا﴾؟! فقال: ويحك اقرأ ما فوقها، هذا للكفار)^(٣).

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ
فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن
يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾

هما مرفوعان على الابتداء والخبر محذوف، كأنه قيل: وفيما فرض عليكم: ﴿وَالسَّارِقَةُ﴾ أي: حكمهما، ويجوز أن يكون الخبر ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾، ودخلت الفاء لأنها قد تضمننا معنى الشرط، فإن المعنى: والذي سرق والتي

(١) البيت لضابغ بن حارث البرجي. الاصحبيات: ١٨٤، وصدرة: ومن يك امسى بالمدينة رحله.

(٢) نافع بن الأزرق الحنفي، كان من زعماء الخوارج وكان مسجوناً في سجن ابن زياد ثم أطلقه، وغلب على الأمواز، قتل يوم دولاب سنة ٦٥ هـ. ينظر: أنساب الأشراف ج ٧: ١٤٣.

(٣) تفسير الطبري ج ٦: ١٤٧.

سُرقت فاقطعوا أيديها أي: يديها، ونحوه: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾^(١)، اكتفى بثنية المضاف إليه عن ثنية المضاف. والمراد باليدين اليمينان، بدليل قراءة عبد الله بن مسعود: والسارقون والسارقات فاقطعوا أيانهم.

والمقدار الذي يجب به القطع ربع دينار إذا سرق من الحرز، وإليه ذهب الشافعي^(٢) ومالك^(٣)، إلا أنَّ المقطع عندهم هو الرسغ، وعندنا: أصول الأصابع ويترك الإبهام والكف، وفي المرة الثانية تقطع رجله اليسرى من أصل الساق ويترك عقبه يعتمد عليها في الصلاة، فإن سرق بعد ذلك خُلد في السجن، هذا هو المشهور من مذهب علي عليه السلام^(٤).

وقوله: ﴿جَزَاءٌ﴾ مفعول له وكذا قوله: ﴿تَكْلَأُ﴾.

﴿فَمَنْ تَابَ﴾ من السراق.

﴿مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ أي: سرقة.

﴿وَأَصْلَحَ﴾ أمره بالتفصي عن التبعات.

﴿فَأَبَ لََّ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ ويسقط عنه عقاب الآخرة.

يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ
مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ
الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ

(١) التحريم: ٤.

(٢) كتاب الأم ج ٦: ١٣٤.

(٣) موطأ مالك ج ٢: ١٧٣.

(٤) ينظر: الوسائل ج ١٨ باب ٥ من أبواب حد السرقة.

ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ
إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ
فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ
يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

وقري: لا يُحْزِنُكَ - بضم الياء - أي: لا يهتَمُّكَ مسارعة المنافقين.

﴿الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي﴾ إظهار ﴿الْكُفْرِ﴾ بما يلوح من حالهم من آثار
الكيد للإسلام.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: ومن اليهود قوم ﴿سَتَعُوتُ﴾، فيكون
منقطعاً عما قبله، ويجوز أن يكون عطفاً على قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا﴾ وارتفع
﴿سَتَعُوتُ﴾ على (هم سماعون)، والضمير للمنافقين واليهود، أو لليهود.
ومعنى ﴿سَتَعُوتُ لِلْكَذِبِ﴾: قابلون لما يفتريه الأخبار من الكذب
على الله وتحريف التوراة، ونحوه: سمع الله لمن حمده.

﴿سَتَعُوتُ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ يعني: اليهود الذين لم يصلوا إلى
مجلس رسول الله ﷺ لشدة عداوتهم إيّاه، أي: قابلون من الأخبار ومن أولئك
المفرطين في العداوة. وقيل: معناه: سماعون إليك ليكذبوا عليك، بأن يزيدوا
فيما سمعوا منك وينقصوا ويغيروا، سماعون منك لأجل قوم آخرين من اليهود
وجهوهم عيوناً ليلغوهما ما سمعوا منك^(١).

﴿يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ﴾ يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيهملونه

بغير مواضع [بعد أن كان ذا مواضع.

﴿يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيَتْهُمْ هَذَا﴾ المحرّف المزال عن مواضعه^(١).

﴿فَحَذُّوهُ﴾ واعملوا به.

﴿وإن لَّمْ تُوْتُوهُ﴾ أي: إن أفتاكم محمد بخلافه ﴿فَأَحْذَرُوا﴾ فهو الباطل.

وروي: إن شريفاً من خير زنى بشريفة وهما محصنان، وحدهما الرجم في التوراة، فكرهوا رجمها لشرفها، فبعثوا نفرأ منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، وقالوا: إن أمركم بالجلد فاقبلوا، وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا، وأرسلوا الزانين معهم. فأمرهم بالرجم، فأبوا أن يأخذوا به، فقال له جبرئيل: اجعل بينك وبينهم ابن سوريا، فقال: هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور يسكن فلك يقال له: ابن سوريا؟ قالوا: نعم، وهو أعلم يهودي على وجه الأرض، ورضوا به حكماً، فقال له رسول الله: أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر ورفع فوقكم الطور وأنزل عليكم كتابه، هل تجدون فيه الرجم على من أحصن؟ قال: نعم. فوثبت عليه سفلة اليهود، فقال: خفت إن كذبت أن ينزل علينا العذاب، ثم سأل رسول الله عن أشياء كان يعرفها من أعلامه وأسلم، وقال: أشهد أنك رسول الله النبي المبشر به. وأمر رسول الله بالزانين فرجما عند باب مسجده^(٢).

﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ أي: تركه مفتوناً وخذلانه.

﴿فَلَنْ تَمْلِكَ﴾ أي: فلن تستطيع ﴿لَهُ﴾ من لطف ﴿اللَّهُ شَيْئًا أَوْ لَيْتِكَ﴾

الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَمْنَحْهُمْ مِنْ الْطَّافَةِ مَا يُطَهِّرُ به ﴿قُلُوبَهُمْ﴾ لأنهم ليسوا من أهلها لعلمه أنها لا تنجع فيهم.

(١) ساقطة من ج.

(٢) الكشف والبيان ج ٤: ٦٣.

سَمِعُوا لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَخْكُمَ
بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا
وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَخْكُمَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾
وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ
يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾
إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ
أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا
مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ
وَأَخْشَوِ اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾

السحت: كل ما لا يحل كسبه، وهو من سحته: إذا استأصله، لأنه مسحوت
البركة، كما قال: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَّاءَ﴾^(١)، وقرئ: السحت مخففاً ومثقلاً. وفي
الحديث: ((كل لحم نبت على السحت فالنار أولى به))^(٢).

وكان رسول الله ﷺ إذا تحاكم إليه أهل الكتاب مخيراً بين أن يحكم بينهم
وبين أن لا يحكم. وهذا التخيير عندنا ثابت للأئمة في الشرع^(٣).

﴿وَإِنْ تُعْرِضْ﴾ عن الحكم بينهم.

﴿فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ أي: لا يقدرُونَ على إضرار بك في دين أو دنيا.

﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل كما حكم ﷺ بالرجم.

(١) البقرة: ٢٧٦.

(٢) معجم الطبراني الأوسط ج ٤: ٣٧٨.

(٣) التبيان ج ٣: ٥٢٤.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه، مع أن الحكم منصوب عليه في كتابهم.

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ [ذَلِكَ]﴾ وهو إشارة إلى حكم الله في التوراة، ويتركون الحكم به، وقيل: ثم يتولون من بعد^(١) تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به.

﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بكتابهم كما يدعون.
﴿فِيهَا هُدًى﴾ يهدي للحق والعدل ﴿وَنُورٌ﴾ يبين ما استبهم من الأحكام.
﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ صفة للنبين على سبيل المدح، وفيه تعريض باليهود وأتهم بعداء عن الإسلام الذي هو دين الأنبياء كلهم قديماً وحديثاً، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ يدل على ذلك.

﴿وَالرَّبَّنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ أي: والزهاد والعلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبين وجانبوا دين اليهود.

﴿بِمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ بما سألهم أنبياءهم حفظه من التوراة، أي: بسبب إيصائهم إياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل. و(من) في ﴿مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ للنبين.

﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ أي: رقباء لثلا يغيروا. والمعنى ﴿يَحْكُمُ﴾ بأحكام [التوراة] ﴿الَّذِينَ﴾ بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف نبي ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ يحملونهم على أحكام^(٢) التوراة، لا يتركونهم أن يعدلوا عنها كما فعله

(١) ساقطة من ج.

(٢) ساقطة من أ.

رسول الله ﷺ من حملهم على حكم الرجم، وكذلك حكم ﴿الرَّيْبِيُونَ وَالْأَخْبَارُ﴾^(١) المسلمون بسبب ما استحفظهم أنبياءهم ﴿مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ وبسبب كونهم ﴿عَلَيْهِ شُهَدَاءُ﴾.

﴿فَلَا تَخْشَوْا الْكَاسَ﴾ نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وادّهانهم فيها.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ أي: لا تستبدلوا ولا تستعوضوا بآيات الله وأحكامه.

﴿ثُمَّنًا وَلَيْلًا﴾ وهو الرشوة وابتغاء الجاه وطلب الرياسة، كما فعله اليهود.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ مستهيناً به ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ والظالمون والفاسقون.

وصف لهم بالعتوّ في كفرهم وظلمهم بآيات الله بالاستهانة بها، وتمردهم في فسقهم بأن حكموا بغيرها. وعن ابن عباس: (من جحد حكم الله كفر، ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق)^(١). وعن حذيفة: (أنتم أشبه الأمم سمناً ببني إسرائيل، لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، غير أنني لا أدري أتعبدون العجل أم لا)^(٢).

وَكُنِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ
وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ
فِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ، فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ لَّمْ
يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٥﴾

(١) تفسير الطبري ج ٦: ١٦٦.

(٢) الكشف ج ١: ٦٣٨.

المعطوفات كلها قرئت بالنصب والرفع، وقرئت بالنصب إلا والجروح قصاص فإنه بالرفع، والرفع للعطف على محل ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾، لأن المعنى: ﴿وَكَبَّنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ النفس بالنفس: إما لإجراء ﴿كَبَّنَا﴾ مجرى (قلنا)، وإما لأن معنى الجملة التي هي قوله: ﴿النَّفْسُ بِالنَّفْسِ﴾ مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول: كتبت (الحمد لله) وقرأت (سورة أنزلناها)، ولذلك قال الزجاج: (لو قرئ: إِنَّ النفس - بالكسر - لكان صحيحاً)^(١).

والمعنى: فرضنا عليهم فيها ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾ مأخوذة ﴿بِالنَّفْسِ﴾ مقتولة بها إذا قتلها بغير حق، ﴿وَالْعَيْنَ﴾ مفقوءة ﴿بِالْعَيْنِ﴾، ﴿وَالْأَنفَ﴾ مجدوع ﴿بِالْأَنفِ﴾، ﴿وَالْأَذُنَ﴾ مصلومة ﴿بِالْأَذُنِ﴾، ﴿وَاللِّسَنَ﴾ مقلوعة ﴿بِاللِّسَنِ﴾، ﴿وَالْجُرُوحَ﴾ ذات قصاص، وهو المقاصة فيما يمكن فيه القصاص.

﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ﴾ من أصحاب الحقوق بالقصاص وعفا عنه.

﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ يكفر به من سيئاته بقدر ما تصدق.

وَقَفَيْنَا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ يَعْنِي ابْنَ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ
وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ
وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ
فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٧﴾

فقاه بفلان: عقبه به، تعدى إلى المفعول الثاني بالباء، والمفعول الأول في الآية

محذوف سد مسدّه الظرف الذي هو ﴿عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ﴾ لأنه إذا فقأ به على أثره فقد فقأ به إياه، والضمير في ﴿ءَاثَرِهِمْ﴾ للنبيين في قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِمَا النَّبِيُّونَ﴾.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ نصب على الحال عطف على محل ﴿فِيهِ هُدًى﴾.

﴿وَهَدَىٰ وَمَوْعِظَةً﴾ يجوز أن ينتصبا على الحال، وعلى المفعول له لقوله:
 ﴿وَلِيَحْكُمَ﴾. وقرئ: وليحكم على الأمر، بمعنى وقلنا: ليحكم، ﴿بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ
 فِيهِ﴾ أي: في الإنجيل.

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ
 الْكِتَابِ وَمُهِمِّينًا عَلَيْهِ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا
 تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً
 وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ
 فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٨﴾ وَأِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ
 كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ
 مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي: القرآن، والتعريف فيه للعهد، وفي ﴿الْكِتَابَ﴾
 بعده للجنس، لأن المعنى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ﴾ التوراة والإنجيل وكل
 كتاب أنزل من السماء سواه.

﴿وَمُهِمِّينًا عَلَيْهِ﴾ أي: رقيباً على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصحة.
 ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ضمن معناه معنى لا تنحرف ولذلك عدي به (عن)
 كانه قيل: ولا تنحرف ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ متبعا أهواءهم.
 ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿شِرْعَةً﴾ أي: شريعة.
 ﴿وَمِنْهَا جَا﴾ طريقاً واضحاً في الدين تحزون عليه. وفيه دليل على إنا غير

متعبدين بشرائع من كان قبلنا من الأنبياء.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: جماعة على شريعة واحدة، أو

ذوي أمة واحدة، أي: دين واحد لا اختلاف فيه.

﴿وَلَكِنْ﴾ أراد ﴿لَيَبْلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَيْنَاكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة، هل

تعملون بها معتقدين أنها مصالح لكم قد اختلفت بحسب اختلاف الأحوال، أو تتبعون الشبه وتفرضون في العمل.

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ فابتدروها.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات.

﴿فَيُنَبِّئُكُمْ﴾ فيخبركم بما اختلفتم فيه من أمر دينكم، ويفصل بين محققكم

ومبطلكم، ويجازيكم على حسب استحقاقكم.

﴿وَأَن أُخْطِئَ بَيْنَهُمْ﴾ معطوف على ﴿أَلِكُتِّبَ﴾، أي: وأنزلنا إليك أن احكم،

وصلت (أن) بالأمر. ويجوز أن يكون معطوفاً على ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: أنزلناه بالحق

وبأن احكم.

﴿وَأَحْذَرُهُمْ أَن يَقْتُلُوكَ﴾ أن يضلوك ويستزلوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ

إِلَيْكَ﴾ بأن يطمعوك منهم في الإجابة إلى الإسلام ويقولوا: إنا إن اتبعناك اتبعنا

اليهود كلهم، وإن بيننا وبين قومنا خصومة، فاحكم لنا عليهم ونحن نؤمن بك

ونصدقك، فأبى رسول الله ذلك.

﴿رُبُّهُدَى اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ﴾ بذنب التولي عن حكم الله، فوضع ﴿يَبْعِضُ ذُنُوبَهُمْ﴾

موضع ذلك، والمراد: إن لهم ذنوباً جمة، هذا الذنب بعضها.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ هذا تعيير لليهود بأنهم أهل كتاب، وهم يبغيون

حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع إلى وحي. وقرئ: تَبْغُونَ - بالتاء - على معنى قل لهم.

واللام في قوله: ﴿لَقَوْمٍ يُؤَفِّكُونَ﴾ للبيان كاللام في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾^(١) أي: هذا الاستفهام لقوم يوقنون، فإنهم هم الذين يتبينون أن لا عدل ولا أحسن حكماً من الله تعالى.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِيَةً ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾

نهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذهم أولياء ينصرونهم ويستنصرونهم ويوالونهم، ثم علل النهي بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي: إننا يوالي بعضهم بعضاً لاجتماعهم في الكفر.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ﴾ من جملتهم وحكمه حكمهم، وهذا تشديد من الله في وجوب مجانبة المخالف في الدين، كما جاء في الحديث: ((لا تراءى ناراهما))^(٢). ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكافرين يمنعهم ألطافه ويخذلهم.

(١) يوسف: ٢٣.

(٢) المجازات النبوية: ٢٦٥، معجم الطبراني الكبير ج ٢: ٣٠٣.

﴿فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ شك ونفاق ﴿يَسْتَرْعُونَ﴾ [فِيهِمْ] في مواليتهم ويرغبون^(١) فيها، ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم ﴿دَائِرَةٌ﴾ من دوائر الزمان، أي: صرف من صروفه فيحتاجوا إليهم وإلى معونتهم.

﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ لرسول الله على أعدائه.

﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ بقتل اليهود وإجلائهم من ديارهم فيصبح المنافقون ﴿تَدْمِيمٍ﴾ على ما أسروه ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من النفاق، وقيل: أو أمر من عنده وهو أن يؤمر النبي بإظهار أسرار المنافقين فيندموا^(٢).

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قرئ بالنصب عطفاً على ﴿أَن يَأْتِيَ﴾، أو على ﴿بِالْفَتْحِ﴾ أي: وبأن يقول؛ وبالرفع على أنه كلام مبتدأ، أي: ويقول الذين آمنوا في ذلك الحال. وقرئ: يقول - بغير واو..

﴿أَهْتَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا﴾ أي: حلفوا ﴿بِاللَّهِ﴾ أغلظ الأيمان ﴿إِنَّهُمْ﴾ أولياؤكم.

﴿حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ من جملة كلام المؤمنين، أي: بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في مرأى الناس.

﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ خسروا الدنيا والآخرة.

يَكُنَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ

(١) ساقطة من ج.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ١: ١٨١.

اللَّهُ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ
وَسِعُ عِلْمُهُ ﴿٥٦﴾

قارئ: من يرتدد ومن يرتد. وهو من الكائنات التي أخبر عنها في القرآن قبل كونها، وهو أنّ قوماً يرتدون بعد وفاة رسول الله ﷺ، وأنه سبحانه ينصر دينه بقوم لهم هذه الصفات المذكورة، قيل: هم أهل اليمن، ولما نزلت أشار رسول الله ﷺ إلى أبي موسى الأشعري^(١) فقال: ((هم قوم هذا))^(٢)، وقال: ((الإيمان يمان والحكمة يمانية))^(٣)، وقيل: هم الفرس، وأن رسول الله ﷺ ضرب بيده على عاتق سلمان فقال: ((هذا وذووه))^(٤)، وقال: ((لو كان الدين معلقاً بالثريا لناله رجال من أبناء فارس))^(٥). وعن أئمة الهدى^(٦) وعمار وحذيفة: إنهم علي^(٧) وأصحابه حين قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين^(٨)، ويؤيده الحديث: ((لتنتهن يا معشر قريش أو ليعثن الله عليكم رجلاً يضربكم على تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله، ثم قال من بعد: إنه خاصف النعل في الحجرة)) وكان علي^(٩) يخاصف نعل رسول الله ﷺ^(١٠).

(١) أبو موسى عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري، أسلم ورجع إلى بلاد قومه ثم قدم المدينة بعد فتح خيبر، كان أحد الحكمين بصفين والقصة مشهورة، مات سنة ٤٢ هـ على قول. ينظر: الإصابة ج ٢: ٣٥٩، معجم رجال الحديث ج ١٠: ٢٩٩.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ج ٧: ٥٢٥.

(٣) مسند أحمد ج ٢: ٢٧٧.

(٤) الكشف والبيان ج ٤: ٧٩.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ج ٧: ٥٦٣.

(٦) التبيان ج ٣: ٥٤٦.

(٧) مصنف ابن أبي شيبة ج ٧: ٤٩٨.

﴿أَذَلَّةٌ﴾ جمع ذليل، أي: عاطفين على المؤمنين على وجه التذلل والتواضع أشداء ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

واللومة المرة من اللوم، وفيه أنهم لا يخافون شيئاً قط من لوم أحد من اللوام.
﴿ذَلِكَ﴾ أي: محبتهم ولين جانبهم على المؤمنين وشدتهم على الكافرين
﴿فَضْلٌ﴾ من ﴿اللَّهِ﴾ ومَنَّة ولطف من جهته يعطيه ﴿مَنْ﴾ يعلم أنه أهل له.
﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ كثير الفواضل والألطف ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو من أهلها.

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ
هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾

نزلت في علي عليه السلام حين سألته وهو راكع في صلاته، فأوماً بخنصره
اليمنى إليه، فأخذ السائل الخاتم من خنصره، ورواه الثعلبي^(١) في تفسيره^(٢)،
والحديث طويل روينا في الكتاب الكبير^(٣)، وفيه: إن رسول الله ﷺ قال: ((اللهم
اشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أخي اشد به
ظهري))، قال أبو ذر^(٤): فوالله ما استتم الكلمة حتى نزل جبرئيل فقال: يا محمد
اقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ... الآية﴾.

(١) أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي صاحب التفسير المشهور، توفي سنة ٤٢٧ هـ. طبقات المفسرين ج ١: ٦٥.

(٢) الكشف والبيان ج ٤: ٨٠.

(٣) مجمع البيان ج ٣-٤: ٢١٠.

(٤) أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، الصحابي الجليل، أحد السابقين إلى الإسلام، توفي بالربذة سنة ٣١ هـ أو ٣٢ هـ، وقصته مشهورة. ينظر: الإصابة ج ٤: ٦٢، معجم رجال الحديث ج ٤: ١٦٧.

والمعنى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ أي: الذي يتولى تدبيركم ويلى أموركم ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ﴾ هذه صفاتهم.

﴿وَهُمْ رَكَعُونَ﴾ حال من ﴿يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي: يؤتونها في حال ركوعهم.

قال جار الله: وإنما جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً، ليرغب الناس في مثل فعله، ولينته على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان^(١).

وأقول: قد اشتهر في اللغة العبارة عن الواحد بلفظ الجمع على سبيل التعظيم، فلا يحتاج إلى الاستدلال عليه. وإذا ثبت أنه المعنى في الآية على ما ذكرناه صحت إمامته بالنص الصريح.

﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر، أي: فإنهم هم الغالبون.

يَتَأْتِي الَّذِينَ آمَنُوا لَا لَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾

وقرى: ﴿وَالْكَفَّارَ﴾ بالجر ويعضده قراءة أبي: ومن الكفار، وفي القراءة بالنصب يكون الهزء من أهل الكتاب خاصة، وفصل بين المستهزئين منهم والكفار. وإن كانوا أيضاً كفاراً. إطلاقاً للكفار على المشركين خاصة.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في موالاة الكفار ﴿إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً.

﴿اتَّخَذُوهَا﴾ الضمير للصلاة، أو للمناداة، وكانوا إذا أذن المؤذن للصلاة تضحكوا فيما بينهم.

﴿لَا يَقُولُونَ﴾ لأن هزأهم ولعبهم من أفعال السفهاء فكأنه لا عقل لهم.

قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا

أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾

أي: ما تعيبون منا وتنكرون ﴿إِلَّا﴾ الإيمان ﴿بِاللّٰهِ﴾ والكتب المنزل كلها.

﴿وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ﴾ فيه وجوه: أن يكون عطفاً على ﴿أَنْ ءَامَنَّا﴾ أي:

ما تنقمون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في الإيمان وأنتم خارجون منه، ويجوز أن يكون عطفاً على المجرور أي: إلا الإيمان بالله وبأن أكثركم فاسقون، ويجوز أن يكون تعليلاً معطوفاً على تعليل محذوف أي: ما تنقمون منا إلا الإيمان لقلة إنصافكم ولأنكم فاسقون.

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مُتُوْبَةً عِنْدَ اللّٰهِ مَن لَّعَنَهُ اللّٰهُ وَعَظِىْبَ عَلَيْهِ
وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ

عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى المنقوم، ولا بد من حذف مضاف، والتقدير: هل أنبئكم

بشرٍّ من أهل ذلك، أو بشرٍّ من ذلك دين من لعنه الله، وضعت المثوبة موضع العقوبة، ومنه قوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١).

وكان اليهود يزعمون أن المسلمين مستوجبون للعقاب، ف قيل لهم: من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة من أهل الإسلام في زعمكم. و﴿مَن لَّعَنَهُ اللّٰهُ﴾ في موضع

الرفع أي: هو من لعنه الله، أو في محل الجر على البدل من ﴿مَسْرٍ﴾.

و﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ عطف على صلة ﴿مَنْ﴾ أي: ومن عبد الطاغوت، وقرئ: وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ - بضم الباء والإضافة - أي: وجعل منهم عبد الطاغوت، وهو للمبالغة في العبودية نحو حذر ويقظ، والمعنى فيه إنه خذلهم حتى عبدوها. والطاغوت: الشيطان. وقيل: إن من جعل منهم القردة هم أصحاب السبت، والخنازير: كفار أهل مائدة عيسى^(١)، وقيل: إنها معاً أصحاب السبت مسخ شبانهم قردة وشيوخهم خنازير^(٢).

﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ جعلت الشرارة للمكان وهي لأهله للمبالغة، وهو داخل في باب الكناية.

وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿١١﴾ وَرَأَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْتَسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ
الرَّبِّبِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْتَسَ مَا
كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٣﴾

نزلت في ناس من اليهود كانوا يظهرون الإيثار نفاقاً.

﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ﴾ أي: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين، والتقدير ملتبسين بالكفر. فقوله: ﴿بِالْكَفْرِ﴾ و﴿بِهِ﴾ حالان وكذلك قوله: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا﴾ و﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا﴾ ولذلك دخلت (قد) تقريباً للماضي من الحال أي: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ وهذه حالهم.

(١) الكشف والبيان ج ٤: ٨٥.

(٢) عن ابن عباس. معالم التنزيل ج ١: ٢٩١.

﴿الْإِثْمِ﴾ الكذب بدليل قوله: ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾.

﴿وَالْعُدُوْنَ﴾: الظلم، [وقيل: الإثم: كلمة الشرك نحو قولهم: ﴿عَزَّيْرُ ابْنِ

الله﴾^(١)، وقيل: الإثم: ما يختص بهم، والعدوان ما يتعداهم إلى غيرهم.

﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي الكبائر، لأن كل

عامل لا يسمى صانعاً [ولا كل عمل يسمى صناعة]^(٢) حتى يتمكن فيه ويمهر.

وعن ابن عباس: (هي أشد آية في القرآن)^(٤).

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ
مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ
رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَاتُ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ
كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ

لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

غُلَّ اليد مستعار للبخل، وبسط اليد للجود، ومن تكلم به لا يقصد إثبات

يد، ولا يريد حقيقة غل ولا بسط، وإنما هما عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود،

وقد استعملوا اليد حيث لا يصح اليد نحو قول الشاعر:

جَادَ الْحِمَى بَسَطَ الْيَدَيْنِ بَوَابِلَ شَكَرَتْ نَدَاهُ تِلَاعُهُ وَوَهَادُهُ^(٥)

وقول لبيد:

(١) التوبة: ٣٠.

(٢) ساقطة من ط.

(٣) ساقطة من أ، ب، ط.

(٤) تفسير الطبري ج ٦: ١٩٣.

(٥) لم أعثر على قائله في المصادر المتوفرة.

قَدْ أَصْبَحْتَ بَيْدَ الشَّهَالِ زَمَامُهَا^(١)

﴿عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يجوز أن يكون دعاء عليهم بالبخل والنكد، ولذلك كانوا أبخل خلق الله، ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي حقيقة، يغفلون في الدنيا أسارى، وفي الآخرة بالأغلال في النار، ويجوز أن يكون إخباراً بأنهم ألزموا البخل وجعلوا بخلاء.

﴿وَلَعَلَّوْا يَأْمُرُ قَالُوا﴾ أي: أبعدوا عن رحمة الله وعذبوا.

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ثبیت اليد هنا ليكون الإنكار لقولهم أبلغ، وعلى إثبات غاية السخاء أدل، وذلك أنَّ غاية ما يبذله السخي أن يعطي باليدين جميعاً. وقوله: ﴿يَنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ تأكيد أيضاً للوصف بالسخاء، ودلالة على أنه لا ينفق إلا ما تقتضيه الحكمة والصلاح.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا﴾ أي: يزدادون عند إنزال القرآن تمادياً في الجحود وحسداً ﴿وَكُفْرًا﴾ بآيات الله.

﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ﴾ فكلما تم مختلفه وقلوبهم شتى فلا تقع بينهم موافقة. ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ﴾ أي: كلما أرادوا محاربة النبي ﷺ غلبوا ولم يكن لهم ظفر قط، وقد أتاهاهم الإسلام وهم في ملك المجوس. وفي هذا دلالة على صحة نبوة نبيتنا، لأن اليهود كانوا في أشد بأس وأمنع دار حتى أنَّ قريشاً كانت تعتصد بهم، وكان الأوس والخزرج تتكثر بمظاهرتهم، فذلّوا وقهروا، وقتل النبي ﷺ بني قريظة، وأجلّ بني النضير، وغلب على خيبر وفدك، فاستأصل الله شأفتهم حتى أنَّ اليوم تجدد اليهود في كل بلدة من أذل الناس.

(١) ديوان لبدي بن ربيعة العامري: ١٧٦، وفيه: وغداة ريح قد وزعت وقرة إذ ...

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بمخالفة أمر الله والاجتهاد في محو ذكر الرسول

من كتبهم.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَا دَخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ
مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٥٦﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا﴾ بمحمد ﷺ .

﴿وَاتَّقَوْا﴾ وقرنوا إيمانهم بالتقوى.

﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ﴾ تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها.

﴿وَلَا دَخَلْنَاهُمْ﴾ مع المسلمين ﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا﴾ أحكام ﴿التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ وحدودهما وما فيها من

نعت رسول الله ﷺ .

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ﴾ سائر كتب الله، لأنهم كلفوا الإيمان بجميعها فكأنها

نزلت إليهم، وقيل: هو القرآن^(١).

﴿لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ المعنى: لو سَع الله عليهم الرزق

وكانوا قد قحطوا، والمراد: لأفضنا عليهم بركات السماء وبركات الأرض، أو

لأكثرنا ثمرات أشجارهم وغللات زروعهم، ولرزقناهم الجنان اليانعة الثمار

يحتنون ثمار أشجارها ويلتقطون ما سقط منها على الأرض.

﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ﴾ أي: طائفة ﴿مُقْتَصِدَةٌ﴾ مسلمة آمنت بالنبى ﷺ .

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ فيه معنى التعجب، أي: ما أسوأ عملهم! وهم الذين أقاموا على الكفر والجحود بالنبي ﷺ.

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾

روى الكلبي عن أبي صالح^(١) عن ابن عباس وجابر بن عبد الله: (إِنَّ اللَّهَ تعالى أمر نبيه أن ينصب علياً للناس ويخبرهم بولايته، فتخوف ﷺ أن يقولوا حابي ابن عمه، وأن يشق ذلك على جماعة من أصحابه، فنزلت هذه الآية، فأخذ بيده يوم غدیر خم وقال: ((من كنت مولاه فعليّ مولاه))^(٢).

وقرئ: فما بلغت رسالته، أي: إن لم تبلغ هذه الرسالة ﴿فَمَا بَلَغْتَ﴾ إذا ما كلفت به من الرسالات، وكنت كأنك لم تؤد منها شيئاً قط، لأنك إذا لم تؤدها فكأنك أغفلت أداءها جميعاً.

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ هذا وعد من الله بالحفظ والكلاءة، ومعناه: والله يضمن لك العصمة من أن ينالوك بسوء فما عذرک في مراقبتهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ يريد أن لا يمكنهم من إنزال مكروه بك. وعن أنس: (كان رسول الله ﷺ يحرس حتى نزلت الآية، فأخرج رأسه من قبة آدم فقال: ((انصرفوا فقد عصمني الله من الناس))^(٣).

(١) أبو صالح السمان ذكوان المدني، مولى جويرية الغطفانية، كان يجلب الزيت والسمن إلى الكوفة، شهد الدار وحصار عثمان، توفي سنة ١٠١ هـ. تذكرة الحفاظ ج ١: ٨٩.

(٢) شواهد التنزيل ج ١: ١٩٢.

(٣) الكشف والبيان ج ٤: ٩١.

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾

عن ابن عباس: (نزلت في جماعة من اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألسنت تقر بأن التوراة من عند الله؟ قال: بلى، قالوا: فإننا نؤمن بها ولا نؤمن بها عداها)^(١).

والمعنى: ﴿لَسْتُمْ عَلَى﴾ دين يعتد به حتى يسمى شيئاً لفساده وبطلانه، كما يقال: هذا ليس بشيء، يراد به التحقير.

﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ بالتصديق لما فيهما من البشارة بمحمد والعمل بما فيهما ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وهو القرآن.

﴿فَلَا تَأْسَ﴾ أي: فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم، فأن ضرر ذلك يرجع إليهم لا إليك.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالصَّالِحُونَ
ءَامَرُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾

﴿وَالصَّابِقُونَ﴾ رفع على الابتداء وخبره محذوف، والنية به التأخير عما في حيز ﴿إِنَّ﴾ أي: والصابئون كذلك، واستشهد لذلك سيبويه^(٢) بقول الشاعر:

وَلَا فَاعْلَمُوا أَنَّا وَأَنْتُمْ بُعَاةٌ مَا بَقِينَا فِي شِقَاقٍ^(٣)

(١) لباب النقول: ١١٩ باختلاف.

(٢) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر النحوي المشهور بـ(سيبويه)، إمام البصريين، أصله من البيضاء ونشأ بالبصرة، صاحب الكتاب في النحو، مات سنة ١٨٠ هـ على قول. بغية الوعاة ج ٢: ٢٢٩.

(٣) البيت لبشر بن أبي خازم الأسدي ديوانه: ١٦٥، وفيه: ما حيننا بدل ما بقينا. الكتاب ج ٢: ١٥٦.

أي: فاعلموا أننا بغاة وأنتم كذلك، وقول الآخر:

فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَعْرِبٌ^(١)

وإنما سموا صابئين لأنهم صباؤا عن الأديان كلها أي: خرجوا.

و﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ والتقدير: من آمن منهم، والجملة كما هي خبر ﴿إِنَّ﴾. ويجوز أن يكون ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منصوباً على البدل من اسم ﴿إِنَّ﴾ وما عطف عليه، أو من المعطوف عليه.

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا
جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا
يَقْتُلُونَ ﴿٧﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ
تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

أي: ﴿أَخَذْنَا﴾ ميثاقهم بالتوحيد والبشارة بمحمد ﷺ.

﴿وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا﴾ ليقفوه على الأوامر والنواهي.

﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ جملة شرطية، وجواب الشرط محذوف يدل عليه قوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ لأنَّ التقدير: كلما جاءهم رسول من تلك الرسل ناصبوه وخالفوه، وقوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا﴾ كأنه جواب سائل يسأل عنهم: كيف فعلوا برسلمهم؟ و﴿يَقْتُلُونَ﴾ حكاية حال ماضية استحضاراً لتلك الحال الشنيعة ليتعجب بها.

وقرى: ﴿أَلَّا تَكُونَ﴾ بالنصب والرفع، والرفع على تقدير: وحسبوا أنه

(١) البيت لضابي بن حارث البرجي. الأصمعيات: ١٨٤، وصدرة: ومن يك امسى بالمدينة رحله.

لا تكون فتنة، فخففت (أن) وحذف ضمير الشأن، وجعل الحسبان بمنزلة العلم حيث أدخل على ﴿أن﴾ التي هي للتحقيق لقوته في صدورهم. والمعنى: وحسب بنو إسرائيل أنهم لا تصيبهم من الله ﴿فِتْنَةٌ﴾ أي: بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة. ﴿فَعَمَّوْا﴾ عن الدين ﴿وَصَمَّوْا﴾ عن الحق ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما تابوا.

﴿ثُمَّ عَمَّوْا وَصَمَّوْا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ هو بدل من واو الضمير، أو هو على قولهم: أكلوني البراغيث، أو هو على أولئك كثير منهم، والمعنى: إن كثيراً منهم عادوا كما كانوا، وقيل: يعني بالكثير منهم من كان في عصر نبينا ﷺ.

﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: عالم بأعمالهم. وفيه وعيد لهم. لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهٌُ وَحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾

احتج سبحانه على النصارى بقول عيسى ﷺ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ إذ لم يفرّق بينه وبينهم في أنه عبد مربوب مثلهم.

﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ في عبادته أو فيها يختص به من صفاته أو أفعاله.

﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ التي هي دار الموحدين، أي: حرّمه دخولها

ومنه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يخلصونهم من عذاب الله، وظلمهم أنهم عدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى.

و﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ﴾ للاستغراق والعموم، وهي المقدرة مع (لا) التي لنفي الجنس في قولك: لا إله إلا الله. والتقدير: وما من إله قط في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له في القدم، وهو الله وحده لا شريك له.

﴿لَيَمَسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ (من) للتبيين فكأنه قال: ليمسّتهم، ولكن أقام الظاهر موقع المضمّر، لتكرّر شهادته عليهم بالكفر. ويجوز أن يكون (من) للتبعض أيضاً على معنى: ليمسّ الذين بقوا على الكفر منهم.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾ بعد هذا الوعيد الشديد مما هم عليه. وفيه تعجيب من إصرارهم على الكفر.

﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يستر الذنوب على العباد ويرحمهم.

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِالْطَّعَامِ أَنْظَرُ كَيْفَ
سُبِّتَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرُ أَتَى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ
أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَتَأَهَّلِ الْكِتَابُ لَا تَعْلَمُوا فِي
دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ
قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

أي: ﴿مَا هُوَ﴾ ﴿إِلَّا رَسُولٌ﴾ من جنس الرسل الذين خلوا قبله، أتى بمعجزات باهرة من فعل الله تعالى كما أتوا بأمثالها.

﴿وَأَمَّهُ، صِدِّيقَةٌ﴾ صدقت بكلمات ربها وكتبه، وما هي إلا كبعض النساء المصدقات.

﴿كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ هذا تصريح ببعدهما عما نسب إليهما، لأن من احتاج إلى الغذاء وما يتبعه من الهضم والنفص لم يكن إلا جسماً مؤلفاً محدثاً. وقيل: إنه كناية عن قضاء الحاجة، فكأنه ذكر الأكل وقصد بذلك الإخبار عن عاقبته^(١).

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ بُنِيتُ لَهُمُ﴾ الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم. ﴿ثُمَّ أَنْظِرْ أَنْ يُؤَفَّكُوتَ﴾ أي: كيف يصرفون عن استماع الحق وتدبره!. والمعنى في قوله: ﴿ثُمَّ أَنْظِرْ﴾ تراخي ما بين العجيبين، بمعنى: إنه نبين لهم الآيات بياناً عجيباً، ثم إن إعراضهم عنها أعجب منه.

والمراد بقوله: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ﴾ عيسى عليه السلام، أي: شيئاً لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم الله به من البلاء والنقص من الأموال والأنفس، ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من الصحة والسعة والخصب، وصفة المعبود أن يكون قادراً على كل شيء.

﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقولون ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يعتقدون.

﴿لَا تَقَلُّوا فِي دِينِكُمْ﴾ أي: لا تتجاوزوا الحد الذي حدّه الله لكم إلى الازدياد.

﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ صفة للمصدر، أي: لا تغلوا غلواً غير الحق، أي: غلواً

باطلاً وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه.

﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ هم أئمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي ﷺ.

﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ ممن تابعهم على التثليث.

﴿وَضَلُّوا﴾ لما بعث رسول الله ﷺ ﴿عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ حين كذبوه وبغوا عليه.

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ
وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ
(٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا
كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ (٨٠)

لعنوا ﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ لما اعتدوا في سبهم، فقال: اللهم ألبسهم اللعنة مثل الرداء. فمسخهم الله قردة، وعلى لسان ﴿عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ لما كفروا بعد نزول المائدة، فقال عيسى: اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذاباً لا تعذبه أحداً من العالمين، والعنهم كما لعنت أصحاب السبت، فصاروا خنازير، وكانوا خمسة آلاف رجل.

﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ أي: ذلك اللعن الشنيع بمعصيتهم واعتدائهم. ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أي: لا ينهى بعضهم بعضاً ﴿عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾، ثم قال: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ للتعجب من سوء فعلهم مؤكداً لذلك بالقسم. ويجوز أن يكون المعنى: كانوا لا

يتناهون أي لا يتناهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه، بل يصرون عليه ويدأومون على فعله.

﴿ تَكْرِي كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: يوالون المشركين ويصادقونهم.

﴿ لَيْسَ مَا قَدَمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ أي: لبس زادهم إلى الآخرة.

﴿ أَنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: سخط الله عليهم وهو المخصوص بالذم. والمعني بذلك كعب بن الأشرف وأصحابه حين استجاشوا^(١) المشركين على رسول الله وقالوا: ﴿ هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾^(٢).

وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾
لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَلِكَ يَأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ وَرَهْبَانًا وَأَنْتُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾

﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ ﴾ إيماناً حقيقياً ما اتخذوا المشركين ﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾ كما لم يوالهم المسلمون.

(١) استجاشوا: طلبوا منهم جيشاً. (الصحاح: مادة جيش)

(٢) النساء: ٥١.

﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ متمردون في كفرهم.

ثم ذكر شدة عداوة اليهود للمؤمنين، ولين عريكة النصارى وميلهم إلى الإسلام، وقرن اليهود بالمشركين في العداوة، وتنبه على تقدّم قدمهم فيها بتقديم ذكرهم، وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَزُهَّابًا﴾ أي: علماء وعباداً ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ قوم فيهم تواضع وإخبات ولا كبر فيهم، واليهود على خلاف ذلك. وفيه دلالة على أنّ العلم يهدي إلى الخير وينفع في أبواب البر، وكذلك التأله والتفكر في أمر الآخرة والبراءة من الكبر.

ثم وصفهم بركة القلوب والبكاء عند استماع القرآن، وذلك نحو ما حكى عن النجاشي أنّه قال لجعفر بن أبي طالب - حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة وعمرو بن العاص مع من معه من المشركين وهم يغرونه عليهم -: هل في كتابكم ذكر مريم؟ فقال جعفر: فيه سورة تنسب إليها، وقرأها إلى قوله: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(١)، وقرأ سورة طه إلى قوله: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾^(٢) فبكى النجاشي، وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله ﷺ وهم سبعون رجلاً حين قرأ عليهم رسول الله سورة (يس) فبكوا^(٣).

واللام في ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يتعلّق بـ﴿عَدَاوَةٌ﴾ و﴿مَوَدَّةٌ﴾. ووصف اليهود بالعداوة، والنصارى بالمودة، ووصف العداوة بالأشدّ والمودة بالأقرب؛ يؤذن بتفاوت ما بين الفريقين.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا﴾ المراد به إنشاء الإيمان والدخول فيه.

(١) مريم: ٣٤.

(٢) طه: ٩.

(٣) تفسير الطبري ج ٧: ٣ باختلاف.

﴿فَأَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ مع أمة محمد ﷺ الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(١). وإِنَّمَا قالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ﴾ إنكار واستبعاد لانتفاء الإيذان مع ثبوت موجهه، وهو الطمع في أن ينعم الله عليهم بصحبة الصالحين. ومحلّ ﴿لَا نُؤْمِنُ﴾ النصب على الحال بمعنى: غير مؤمنين، والواو في ﴿وَنَطْمَعُ﴾ واو الحال، والعامل في الأولى معنى الفعل في اللام. والمعنى: وأي شيء حصل لنا غير مؤمنين، وفي الثانية معنى هذا الفعل مقيداً بالحال الأولى، لأنك لو قلت: مالنا ونطمع لم يكن كلاماً. ويجوز أن يكون ﴿وَنَطْمَعُ﴾ حالاً من ﴿لَا نُؤْمِنُ﴾.

فَأَنْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾

﴿بِمَا قَالُوا﴾ أي: بما تكلموا به عن اعتقاد وإخلاص، من قولك: هذا قول فلان أي: مذهبه واعتقاده. وذكر مجرد القول هنا، لأنه قد سبق وصفهم بما يدل على معرفتهم وإخلاصهم، وهو قوله: ﴿بِمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾. والقول إذا اقترن به المعرفة فذلك الإيذان الحقيقي.

يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا طَيِّبَتْ مَا أَعْلَىٰ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا
تَسْتَدْوُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ
حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

روي: أَنَّ رسول الله ﷺ ذَكَرَ أَصْحَابَهُ يَوْمًا وَوَصَفَ الْقِيَامَةَ لَهُمْ فَبَالَغَ فِي

الإنذار، فرّقوا واجتمع عشرة في بيت عثمان بن مظعون^(١) واتفقوا على أن يصوموا النهار، ويقوموا الليل، ولا يناموا على الفرش، ولا يأكلوا اللحم ولا الودك، ولا يقربوا النساء، ويلبسوا المسوح^(٢)، ويرفضوا الدنيا، ويسيحوا في الأرض، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: ((إني لم أؤمر بذلك، إنّ لأنفسكم عليكم حقاً، فصوموا وأفطروا، وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنا، وأصوم وأفطر، وآكل اللحم والدسم، وآتي النساء، ومن رغب عن سنتي فليس مني)) ونزلت الآية^(٣).

﴿لَا تَحْزَمُوا﴾ أي: لا تمنعوا أنفسكم ما طاب ولذ من الحلال، ولا تقولوا: حرّمنا الحلال على أنفسنا ترهّداً ومبالغة منكم في العزم على تركه.

﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: لا تتعدوا حدود ما أحلّ لكم إلى ما حرّم عليكم؛ أو جعل تحريم الطيبات اعتداءً فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها؛ أو أراد: ولا تسرفوا في تناول الطيبات.

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: من الوجوه الطيبة التي تسمّى رزقاً، وقوله: ﴿حَلَلًا﴾ حال من ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ تأكيد للوصية بما أمر به، وقوله: ﴿أَتَشْرِبُهُ مُؤْمِنُونَ﴾ استدعاء إلى التقوى بالطف الوجوه.

وتدلّ الآيتان على كراهية التفرد، والخروج مما عليه الناس في التأهل وطلب الولد وعمارة الأرض.

(١) عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي، من السابقين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين، توفي بعد شهوده بدرأ وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقع منهم. ينظر: الإصابة ج ٢: ٤٦٤.

(٢) المسوح: جمع مسح وهو الكساء من الشعر. (لسان العرب: مادة مسح)

(٣) أسباب النزول: ١٤١.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ
الْأَيْمَانَ فَكَفَّרَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ
أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ
أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

اللغو في اليمين: هو الساقط الذي لا يتعلق به حكم ويقع من غير قصد،
مثل قول القائل: (لا والله) و(بلى والله).

﴿بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ أي: بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها بالقصد والنية،
وقرى: عَقَّدْتُمْ [بالتخفيف. وَعَاقَدْتُمْ. والمعنى: ولكن يؤاخذكم بنكت ما عقدتم
فحذف المضاف، أو بها^(١)] عقدتم إذا حنثتم، فحذف وقت المؤاخذه لكونه معلوماً.
﴿فَكَفَّرَتُهَا﴾ أي: فكفارة حنثه ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾ يعطى كل واحد
منهم مدين أو مُدّاً، والمدّ: رطلان ورابع.

﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ أي: من أقصده، لأنّ من الناس من
يسرف في إطعام أهله ومنهم من يقتّر، وأفضله الخبز واللحم، وأدونه الخبز
والمالح، وعن الصادق عليه السلام أنّه قرأ: أَهَالِيكُمْ - يسكون الباء - وهو اسم جمع لأهل
كالليالي والأراضي. وأما تسكين الباء في حال النصب فالتخفيف كما قالوا: رأيت
معدي كرب تشبيهاً للباء بالألف.

﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ عطف على ﴿إِطْعَامُ﴾ والكسوة عندنا ثوبان: مئزر
وقميص، وعند الضرورة قميص^(٢).

(١) ساقطة من ج.

(٢) تهذيب الأحكام ج ٨: ٢٩٦.

﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ عبد أو أمة، وهذه الثلاثة واجبة على التخيير.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ إحداها ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ متابعات، وكذلك هو في قراءة أبي وابن مسعود.

﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّارَةٌ لِّمَنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحشتم. ترك ذكر الحنث لحصول العلم بأن الكفارة إنما تجب بالحنث لا بنفس الحلف.

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ فبروا فيها ولا تحنثوا، وقيل: احفظوها بأن تكفروها، وقيل: احفظوا كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك البيان.

﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ﴾ أي: أحكام شريعته.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمته فيما يعلمكم ويبينه لكم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ
الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ
بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ
الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ ﴿١١﴾

أكد سبحانه تحريم الخمر والميسر بوجوه من التأكيد:

منها: أنه قرنهما بعبادة الأنصاب التي هي الأصنام، ومنه قوله ﷺ: ((شارب الخمر كعابد الوثن))^(١).

ومنها: أنه جعلهما رجساً كما قال: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾^(٢).

(١) علل الشرائع: ٤٧٦.

(٢) الحج: ٣٠.

ومنها: أنه جعلهما من عمل الشيطان.

ومنها: أنه أمر بالاجتناب.

ومنها: أنه جعل الاجتناب من الفلاح. والهاء في ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ تعود إلى ﴿عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، أو إلى مضاف محذوف كأنه قيل: إننا شأن الخمر والميسر، أو تعاطي الخمر والميسر ونحو ذلك.

ومنها: أنه ذكر نتائجها من المفسد التي هي وقوع التعادي والتباغض بين أصحاب الخمر والقمار، وما يؤديان إليه من الصد ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ التي هي عماد الدين.

وقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ نهي بليغ، أي: فهل أنتم مع ما تلي عليكم من هذه الصوارف منتهون؟.

وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى
رَسُولِنَا الْبَلَّغِ الْمُبِينِ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا
وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾

﴿وَأَحْذَرُوا﴾ أي: كونوا حذرين خائفين، أو واحذروا ما عليكم في ترك طاعة الله والرسول.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ ولم تعملوا بما أمرتكم به ﴿فَأَعْلَمُوا﴾ أنكم لن تضروا الرسول بتوليكم عما آداه إليكم، لأن الرسول لم يكلف إلا ﴿الْبَلَّغَ الْمُبِينَ﴾ وإنما أضرتكم أنفسكم. وهذا وعيد.

﴿لَيْسَ عَلَى﴾ المؤمنين الصالحين ﴿جُنَاحٌ﴾ في أي شيء طعموه من المطاعم

المستلذة ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ ما حرّم عليهم منها، وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح وازدادوه.

﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ أي: ثم ثبتوا على التقوى والإيمان.

﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ أي: ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم، وأحسنوا إلى الناس يواسونهم بما رزقهم الله من الطيبات. وقيل: إنّ الاتقاء الأول هو اتقاء المعاصي العقلية التي تختص المكلف ولا تتعداه، والاتقاء الثاني هو اتقاء المعاصي السمعية، والاتقاء الثالث اتقاء مظالم العباد وما يتعدى إلى الغير من الظلم والفساد.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ
وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾

نزلت عام الحديبية، ابتلاههم الله بالصيد وهم محرمون، وكان قد كثر عندهم حتى أنّه كان يغشاهم في رحالهم، فيتمكّنون من صيده أخذاً بأيديهم وطعناً برماحهم^(١).

﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾ أي: بتحريم بعض الصيد، لأنّه عنى صيد البر خاصة، وأنهم ابتلوا بذلك كما ابتلي أمة موسى ﷺ بصيد البحر وهو السمك.

﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي: ليمتيز من يخاف عقاب الآخرة وهو غائب منتظر فيتقي الصيد من لا يخافه فيقدم عليه.

﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ﴾ فصاد ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الابتلاء فالوعيد لاحق به.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا
فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ
الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ
أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَنْ سَلْفٍ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو
انْتِقَامٍ ﴿١٥﴾ أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتْنَعًا لَكُمْ وَلِلنَّاسِ يَوْمَ
وَحْرَمٍ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿١٦﴾

﴿الصَّيْدُ﴾ ما يصاد من الوحش، أكل أم لم يؤكل.

﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ أي: محرمون بحج أو عمره، جمع حرام.

﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ وهو أن يقتله وهو ذاكراً لإحرامه، أو عالم بأن ما
يقتله مما يحرم عليه قتله، وعن الزهري^(١): (نزل الكتاب بالعمد وجرت السنة في
الخطأ)^(٢).

﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾ برفع ﴿جَزَاءٌ﴾ و﴿مِثْلُ﴾، معناه: فالواجب عليه جزاء
بإثل ما قتل من الصيد. وقرئ: فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ عَلَى الإضافة، والأصل فيه:
فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل، ومعناه: فعليه أن يجزي مثل ما قتل، ثم أضيف
المصدر إلى المفعول به.

﴿مِنَ النَّعَمِ﴾ وهي الإبل والبقر والغنم، ويقال للإبل أيضاً: نَعَم وإن انفرد.
وهذه المماثلة عند أئمة الهدى^(٣) إنما تعتبر في الخلقة، ففي النعامة بدنة، وفي حمار

(١) محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري الفقيه المدني التابعي المعروف، توفي سنة ١٢٤ هـ على قول.
ينظر: وفيات الأعيان ج ٣: ٣١٧، معجم رجال الحديث ج ١٧: ٢٨٦.

(٢) تفسير الطبري ج ٧: ٢٨.

الوحش وبقر الوحش بقرة، وفي الطيبي والأرنب ونحوهما شاة^(١).

﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ أي: بمثل ما قتل.

﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ أي: حكمان عدلان من الفقهاء ينظران إلى أشبه الأشياء به من النعم فيحكمان به، وقراءة السيدين الباقر والصادق عليهما السلام: ذُو عَدْلٍ مِّنْكُمْ، المراد به الإمام.

﴿هَدِيًّا﴾ حال من ﴿جَزَاءً﴾ لأنه تخصص بالصفة فأشبه المعرفة، أو حال من الضمير في ﴿بِهِ﴾، أو بدل من محلّ ﴿مِثْلٍ﴾ إذا جررته.

و﴿بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾ وصف له، أي: هدياً يبلغ الكعبة، ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم. وقال أصحابنا: إذا كان محرماً بالعمرة ذبح أو نحر بمكة، وإن كان محرماً بالحج فبمنى^(٢).

﴿أَوْ كَفَّارَةً﴾ معناه: أو الواجب عليه كفارة، وقرئ: أَوْ كَفَّارَةُ طَعَامٍ مَسَاكِينَ. على الإضافة. وتقديره: أو كفارة من طعام مساكين، كقولك: خاتم فضة. والمعنى: خاتم من فضة. وهو أن يقوم الجزاء ويفض ثمنه على الخنطة ويتصدق به على كل مسكين نصف صاع.

﴿أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ وعدل الشيء ما عادله من غير جنسه، وصياماً تمييز للعدل.

و﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الطعام وهو أن يصام عن كل نصف صاع يوماً.

والخيار في هذه الكفارات الثلاث إلى قاتل الصيد، وقيل: هي مرتبة، وكلا

(١) ينظر: الوسائل ج ٩ باب ١ من أبواب كفارات الصيد.

(٢) الانتصار: ٢٥٢، الخلاف ج ٢: ٤٠٢.

القولين رواه أصحابنا^(١).

﴿لِيَذُوقَ﴾ متعلق بـ ﴿جَزَاءً﴾، والمعنى: فالواجب عليه أن يجازى ويكفر ليدوق سوء عاقبة فعله.

﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ لكم من الصيد في حال الإحرام يعني الدفعة الأولى.
﴿وَمَنْ عَادَ﴾ ثانية إلى قتل الصيد محرماً ﴿فَيَسْنِقُمْ اللَّهُ مِنْهُ﴾ تقديره: فهو ينتقم الله منه ويعاقبه بها صنع ولا كفارة عليه.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ أي: مصيدهاته ﴿وَطَعَامُهُ﴾ وما يطعم من صيده، والمعنى: أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر، وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده.

﴿مَتَعَلَّامُ لَكُمْ﴾ مفعول له، أي: تمتعاً لكم، والمعنى: وأحل لكم طعام البحر تمتعاً لتنائكم^(٢) تأكلونه طرياً، ولسيارتكم يتزودونه قديداً. ص^(٣): وطعامه حل لكم وللسيارة.

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتَّى الْحَرَامَ فِيمَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ
وَالْقُلُوبَ ذَلِكَ لِيَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ
الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِ أُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠﴾

(١) تفسير العياشي ج ١: ٣٤٥.

(٢) تنأ بالبلد: قطن به وتوطئه فهو تاني وهم تناء. (الصحاح: مادة تنأ)

(٣) كذا في جميع النسخ.

﴿أَلْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ عطف بيان لـ ﴿الْكَعْبَةَ﴾.

﴿فِيَمَّا لِلنَّاسِ﴾ أي: لمعايش الناس ومكاسبهم يستقيم به أمور دينهم ودنياهم، لما يتم به من أمر حجّهم وعمرتهم وتجارّتهم وأنواع منافعهم. وجاء في الأثر: (أنّه لو ترك عاماً واحداً لم يحجّ إليه لم ينظروا ولم يؤخروا)^(١)، ومعناه: يهلكوا.

﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ أي: والشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة، وقيل: عني به جنس الأشهر الحرم الأربعة، واحد فرد وثلاثة سرد^(٢). وهو عطف على ﴿الْكَعْبَةَ﴾ كما تقول: ظننت زيدا منطلقاً وعمرأ. ﴿وَالْهَدْيَ وَالْفَلَيْدَ﴾ أي: [والمقلّد من الهدى]^(٣) خصوصاً، لأنّ الثواب فيه أكثر.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى جعل الكعبة قياماً للناس.

﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ كل شيء فيعلم ما يصلحكم مما أمركم به. ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ﴾ فيه تهديد وإيذان بأنّ الرسول قد بلغ ما وجب عليه تبليغه، وقامت عليكم الحجة فلا عذر لكم في التقصير.

أي: لا يستوي الحلال والحرام، والصالح والطالح، والصحيح من المذهب والفساد، فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثره لكثرتة على الطيب القليل. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ واختاروا الطيب وإن قلّ على الخبيث وإن كثّر.

(١) عن ابن عباس. الدر المنثور ج ٢: ٥٦ بالمعنى.

(٢) عن الحسن. التبيان ج ٤: ٣٣.

(٣) ساقطة من ج.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ قَسْوَكُمْ
وَلَإِن قَسَّيْتُمْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ بُدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ
غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا
كُفْرِينَ ﴿١٠٢﴾

أي: لا تكثرُوا مسألة رسول الله ﷺ حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم،
إن أفناكم بها وكلفكم إيّاها وجبت، وربّما غمّكم ذلك وشقّ عليكم. وذلك نحو
ما روي: أنّ سراقه بن مالك^(١) أو عكاشة بن محصن^(٢) قال: يا رسول الله أفي كل
عام كتب الحج علينا؟ فأعرض عنه حتى أعاد المسألة ثلاثاً، فقال: ((ويحك وما
يؤمّنك أن أقول: نعم! والله لو قلت: نعم لو جبت، ولو وجبت ما استطعتم، ولو
تركتم لكفرتم، فاتركوني ما تركتكم، فإنّما هلك من هلك قبلكم بكثرة سؤالهم
واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن
شيء فاجتنبوه))^(٣).

﴿وَلَا تَسْأَلُوا﴾ عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي ﴿تُبَدَّ لَكُمْ﴾ تلك
التكاليف التي ﴿قَسْوَكُمْ﴾ وتؤمروا بتحملها. وقيل: إنّ رجلاً يقال له: عبد الله سأل
رسول الله ﷺ فقال: من أي؟ وكان يطعن في نسبه، فقال له ﷺ: حدّافة. فنزلت^(٤).

(١) سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني، أسلم يوم الفتح، قيل إنه توفي سنة ٢٤ هـ. ينظر:
الإصابة ج ٢: ١٩.

(٢) عكاشة بن محصن بن حراثان الأسدي، شهد بدرًا وسائر المشاهد، قتله طليحة بن خويلد الأسدي
في الرّدة. الاستيعاب ج ٣: ١٥٥.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ج ٧: ٥٣.

(٤) تفسير الطبري ج ٧: ٥٢.

﴿عَفَا اللَّهُ﴾ عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا إلى مثلها.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لا يعاجلكم بعقوبته.

﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ أي: قد سأل هذه المسألة قوم من الأولين.

﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا﴾ أي: بمرجوعها أو بسببها ﴿كَفَرِيكَ﴾ وذلك أن بني

إسرائيل كانوا يسألون أنبياءهم عن أشياء، فإذا أمروا بها تركوها فهلکوا.

مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَذَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ

لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا

عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَأَوَّلًا كَانِ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾

البحيرة: الناقة إذا نتجت خمسة أبطن، فإن كان آخرها ذكراً بحروا أذنبا أي:

شقوها وحزموها ركبها، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى، ولو لقيها المعبي لم يركبها.

والسائبة: ما كانوا يسيبونه، كان الرجل يقول: إذا قدمت من سفري أو

برئت من مرضي فناقتي سائبة، فكانت كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها. وكان

الرجل إذا أعتق عبداً قال: هو سائبة ولا عقل بينها ولا ميراث، وكانوا يسيبونها

لطواغيتهم ولسدنة الأصنام.

والوصيلة في الغنم: كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم، وإذا ولدت ذكراً

ذبحوه لأهلتهم، فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر

لأجلها.

والحامي: هو الفحل إذا نتجت من صلبه عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره،

فلا يركب ولا يحمل عليه، ولا يمنع من ماء ولا مرعى.

ومعنى ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ﴾: ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير ولا بالتسيب ولا غير ذلك، ولكنهم بتحريمهم ما حرّموا ﴿يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ يدعون أنّ الله حرّمها.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أنّ ذلك افتراء وكذب، يعني الاتباع للذين يقلّدون في تحريمها رؤساءهم.

والواو في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ﴾ واو الحال دخل عليه همزة الاستفهام التي للإنكار، والتقدير: أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ والافتداء إنّها يصح بالعالم المهتدي، ولا يعرف ذلك إلا بالدليل.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلٍّ إِذَا
أَهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرَجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

﴿عَلَيْكُمْ﴾ من أسماء الأفعال ومعناه: إلزموا صلاح أنفسكم، وقوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ جواب الأمر وهو مجزوم، وإنّما ضمت الراء إبتاعاً لضمّة الضاد، والأصل: لا يضرركم، وقرئ: لا يضرركم - بكسر الضاد وضمها - من ضاره يضره ويضوره. ويجوز أن يكون خبراً مرفوعاً.

والمعنى: لا يضرركم ضلال ﴿مَّنْ ضَلَّ﴾ عن دينكم ﴿إِذَا﴾ كنتم مهتدين، وهو مثل قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾^(١). وكان المؤمنون يتأسفون حسرة على أهل العناد من الكفار، يتمنون دخولهم في الإسلام فخطوبوا بذلك. وعن ابن مسعود أنّها قرئت عنده فقال: (إنّ هذا ليس بزمانها، إنّها اليوم مقبولة،

ولكن يوشك أن يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم، فحينئذ عليكم أنفسكم^(١). فهو على هذا تسلية لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فلا يقبل منه، وبسط لعذره.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرِيَّتُمْ فِي الْأَرْضِ فَاصْبِرْتُمْ مُصِيبَةَ الْمَوْتِ تَحْسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٦﴾

﴿شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ﴾ مبتدأ، و﴿اثْنَانِ﴾ خبره، والتقدير: شهادة [بينكم شهادة]^(٢) اثنين. وأضيف المصدر الذي هو ﴿شَهَادَةُ﴾ إلى (بين) فجعل الظرف اسماً اتساعاً. و﴿إِذَا حَضَرَ﴾ ظرف للشهادة و﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾ بدل منه، وفي إبداله منه دلالة على وجوب الوصية عند حضور الموت وظهور إماراته، لأنَّ زمان حضور أسباب الموت جعل زمان الوصية.

﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرِيَّتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: إن وقع الموت في السفر ولم يكن معكم رجلان عدلان.

﴿مِّنْكُمْ﴾ أي: من المسلمين فاستشهدوا على الوصية آخرين.

﴿مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي: من أهل الذمة.

وروي: إن ثلاثة نفر خرجوا تجاراً من المدينة إلى الشام: تميم بن أوس وعدي بن زيد - وهما نصرانيان - وابن أبي مارية مولى عمرو بن العاص، فمرض ابن أبي مارية وكتب كتاب وصية فيه ما معه من المتاع ودس كتابه في متاعه ولم يخبر به

(١) تفسير الطبري ج ٧: ٦٢.

(٢) ساقطة من ج.

صاحبيه، وأمرهما أن يدفعا متاعه إلى أهله ومات، ففتشا متاعه وأخذوا إناء من فضة، ثم رجعا بالمال إلى الورثة، فوجدوا الكتاب فطالبا لهما بالإناء فجحدا، فرفعوا أمرهم إلى النبي ﷺ فنزلت^(١).

قوله: ﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾ معناه: تقفونهما ليحلفا.

﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ أي: من بعد صلاة العصر وقت اجتماع الناس، وقيل: أو الظهر^(٢)، وقيل: من بعد صلاة أهل دينهما يعني: الذميين^(٣).

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ في شهادتهما وشككنم واتهمتموهما، فقوله: ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ اعتراض بين القسم والمقسم عليه وهو قوله: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ أي: لا نستبدل بتحريف شهادتنا ذا ثمن، فحذف المضاف في الموضعين، لأن من المعلوم أن المبيع يشتري دون ثمنه. وقيل: إن الضمير في ﴿بِهِ﴾ للقسم، يعني: لا نستبدل بالقسم بالله عرضاً من الدنيا، أي: لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ الضمير في ﴿كَانَ﴾ للمقسم له، أي: ولو كان من نقسم له قريباً منا، ولا نحابي في شهادتنا أحداً.

﴿وَلَا تَكُنْتُمْ شُهَدَاءَ اللَّهِ﴾ التي أمرنا الله بحفظها وألزمنا أداءها. ورووا عن علي عليه السلام والشعبي الوقف على ﴿شُهَدَاءَ﴾ (الله) بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه، وروي أيضاً بغير مد، وذلك على ما ذكره سيبويه: أن منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول:

(١) أسباب النزول: ١٤٦.

(٢) عن الحسن. معالم التنزيل ج ١: ٣٠٤.

(٣) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ٧: ٧٢.

الله لقد كان كذا^(١).

﴿إِنَّا إِذَا﴾ أي: إن فعلنا ذلك ﴿لَمِنَ الْأَثَمِينَ﴾.

فَإِنَّ عُرَىٰ عَنْهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِينَ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا وَمَا أَعْتَدْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ وَأَنْتَقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

أي: ﴿فَإِنَّ﴾ اطلع ﴿عَنْهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أي: فعلا ما يوجب إثما واستوجبا أن يقال: إثمها من ﴿الْأَثَمِينَ﴾ بخيانتها.

﴿فَآخَرَانِ﴾ أي: فشاهدان آخران ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ الإثم، والمعنى: من الذين جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته، وفي الحديث: أنه لما عثر على خيانة الرجلين، ووجد الإناء بمكة بعد أن استحلَفهما رسول الله ﷺ عند المنبر، حلف رجلان من ورثته أنه إناء صاحبهما، وأنها خانا وكذبا فدفَع الإناء إليهما^(٢).

و﴿الْأَوَّلِينَ﴾ الأحقَّان بالشهادة لقرابتهما، وارتفاعهما على أنهما بدل من ﴿آخَرَانِ﴾، أو من الضمير في ﴿يَقُومَانِ﴾، أو على (هما الأوليان) كأنه قيل: ومن هما؟ فقيل: ﴿الْأَوَّلِينَ﴾. وقرئ: الأولين على أنه وصف لـ ﴿الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ على البناء للفاعل، ومعناه: من الورثة الذين استحقَّ عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوها عن القيام بالشهادة، ويظهروا بها كذب الكاذبين.

(١) ينظر: الكتاب ج ٣: ٤٩٩.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ج ٤: ١٢٠.

﴿فَيَقْسِمَانِ﴾ أي: يحلفان ﴿يَاللَّهِ لَشَهِدُنَا﴾ وقولنا في وصية صاحبنا ﴿أَحَقُّ﴾ بالقبول ﴿مِنْ شَهِدَيْهِمَا﴾ وقولهما ﴿وَمَا أَعْتَدَيْنَا﴾ وما جاوزنا الحق فيما طلبناه من حقنا.

﴿ذَلِكَ﴾ الذي تقدم من بيان الحكم.

﴿أَدْنَى﴾ أي: أقرب إلى أن يأتي الشهاداء على نحو تلك الحادثة ﴿بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾.

﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: أو أقرب إلى أن يخافوا أن تكثر أيمان شهود آخرين ﴿بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في هذه القصة، فربما لا يحلفون كاذبين ويتحفظون في الشهادة مخافة رد اليمين إلى المستحق عليهم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تحونوا وتحلفوا كاذبين.

﴿وَأَسْمِعُوا﴾ سمع إجابة وقبول.

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ
عَلَمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ
وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ
وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا
بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي
وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٢٠﴾

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ﴾ ظرف لقوله: ﴿لَا يَهْدِي﴾ أي: لا يهديهم طريق الجنة يومئذ

كما يهدي غيرهم، أو يوم يجمع الله الرسل يكون كذا وكذا، أو نصب به (اذكر).
﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ أي: أي إجابة أُجِبْتُمْ؟ وهذا السؤال توبيخ لقومهم،
ولذلك ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ وكلوا الأمر إلى علمه بسوء إجابتهم، ولجأوا إليه في
الانتقام منهم، وقيل: معناه: أنت أعلم بحالهم منا، فعلمنا مغمور بعلمك وساقط
معه لأنك ﴿عَلَّمُوا الْغُيُوبَ﴾، وقيل: معناه: لا علم لنا بما كان منهم بعدنا^(١).

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ﴾ والمعنى: إنه يوتخ الكافرين يومئذ
بسؤال الرسل عن إجابتهم، وبتقرير ما أظهر على أيديهم من الآيات والمعجزات
فكذبوهم أو اتخذوهم آلهة.

﴿أَيَّدْتُنَا﴾ قوتك ﴿يَرْجُحُ الْقُدُسُ﴾ بجبرئيل عليه السلام، وقيل: بالكلام الذي
يحيا به الدين.

﴿تَكَلَّمَ النَّاسُ﴾ طفلاً ﴿وَكَهَلًا﴾، و﴿فِي أَلْمَهْدِ﴾ في موضع الحال،
والمعنى: تكلمهم في هاتين الحالتين من غير أن يتفاوت كلامك في حين الطفولة
وحين الكهولة الذي هو وقت بلوغ الأشد، والحد الذي يستنبأ فيه الأنبياء.

﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾ أي: الكتابة ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ الكلام المحكم، وقيل:
المراد بهما جنس الكتاب والحكمة، وخص ﴿وَالْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ مما تناولاها.
﴿وَإِذْ تَخْلُقُ﴾ أي: تصوّر وتقدّر.

﴿مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ أي: هيئة مثل هيئة الطير الذي تريد.

﴿بِإِذْنِي﴾ بأمري وتسهيلي.

﴿فَتَنْفُخُ﴾ الضمير للكاف، لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ

فيها، ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه ونفخه في شيء، وكذلك الضمير في ﴿فَتَكُونُ﴾.

وإذ تبرئ ﴿الْأَكْثَمَةَ وَالْأَبْرَصَ﴾ نسب ذلك إليه لما كان بدعائه وسؤاله.

﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من القبور حتى يشاهدكم الناس أحياء.

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ﴾ يعني: اليهود حين هموا بقتله.

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِرِيسُولِي قَالُوا آمَنَّا

وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ يَعْيسَى ابْنُ

مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ

قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ

مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ

الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ﴾ أي: ألهمتهم، وقيل: ألقيت إليهم بالآيات

التي أريتهم إياها^(١)، وقيل: أمرتهم على السنة الرسل^(٢).

﴿مُسْلِمُونَ﴾ أي: مخلصون، من أسلم وجهه لله.

﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ﴾ معناه: هل يفعل ذلك ربك بمسألتك إياه

ليكون علماً على صدقك؟ وقيل: معناه: هل يقدر ربك^(٣)، وإنما قالوه قبل أن

تستحكم معرفتهم بالله وصفاته، ولذلك قال عيسى عليه السلام لهم: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولا

تشكّوا في اقتداره واستطاعته، ولا تقترحوا عليه ما تشتهون من الآيات فتهلكوا

(١) معاني القرآن وإعراجه ج ٢: ٢١٩.

(٢) الكشف ج ١: ٦٩٢.

(٣) معاني القرآن وإعراجه ج ٢: ٢٢٠.

إذا عصيته بعده. وقرأ الصادق عليه السلام: هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبِّكَ، أي: هل تستطيع سؤال ربك. والمائدة: الخوان يكون عليه الطعام، وهي من ماله أي: أعطاه.

﴿وَتَكُونُ عَلَيْهِمَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ تشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني إسرائيل، أو من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها، ﴿وَتَكُونُ عَلَيْهِمَا﴾ في موضع الحال.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ
الْرَازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ
فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾

ثم سأل عيسى عليه السلام وأجيب إلى ذلك ليلزموا الحجة ويرسل عليهم العذاب إذا خالفوا.

﴿اللَّهُمَّ﴾ أصله يا الله، ﴿رَبَّنَا﴾ نداء ثان.

﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ [أي: يكون يوم نزولها عيداً^(١)] وهو يوم الأحد ومن ثم اتخذ النصراني عيداً، وقيل: العيد: السرور العائد ولذلك يقال: يوم عيد، أي: تكون لنا سروراً وفرحاً.

﴿لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ بدل من ﴿لَنَا﴾ بتكرير العامل، أي: لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي بعدنا، وقيل: معناه: يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم^(٢)، وقيل: للمتقدمين منا والأتباع.

﴿وَآيَةً مِنْكَ﴾ أي: ودلالة منك عظيمة الشأن تدل على توحيدك وصحة

(١) ساقطة من ط.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ٧: ٨٦.

نبوة نبيك.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنكُم﴾ أي: بعد إنزالها عليكم.

﴿فَأَنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا﴾ أي: تعذيباً.

﴿لَا أَعَذِّبُهُ﴾ الضمير للمصدر، ولو أريد ما يعذب به لم يكن بد من الباء.

وروي: أن عيسى عليه السلام لبس صوفاً وقال: اللهم أنزل علينا مائدة، فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون إليها، فبكى عيسى عليه السلام وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين، وكشف المنديل وقال: بسم الله خير الرازقين، فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك وعند رأسها ملح وعند ذنبها خلّ وحولها من ألوان البقول ما عدا الكراث^(١)، وقيل: نزلت الملائكة بها، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم^(٢). وعن الحسن: (إن المائدة ما نزلت، ولو نزلت لكان عيداً إلى يوم القيامة لقوله: ﴿وَأَخْرَجْنَا﴾)^(٣).

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأُنْحَى إِلَهُتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي
نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٣١﴾ مَا
قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ

(١) الدر المنثور ج ٢: ٣٤٦.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ٧: ٨٥.

(٣) تفسير الطبري ج ٧: ٨٧.

عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ
وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفِيرُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾

المعنى: ﴿إِذْ﴾ يقول ﴿اللَّهُ﴾ يوم القيامة: ﴿يَنْهَيْسِي﴾ وهو استفهام يراد به
التفريع لمن ادعى ذلك عليه من النصارى، واستعظام لذلك القول.

﴿سُبْحَنَكَ﴾ من أن يكون لك شريك.

﴿مَا يَكُونُ لِي﴾ ما ينبغي لي ﴿أَنْ أَقُولَ﴾ قولاً لا يحق لي أن أقوله وأنا عبد
مثلهم، وإنما تحقّ العبادة لك وحدك.

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ أي: في قلبي، والمعنى: تعلم معلومي ولا أعلم
معلومك، وإنما قال: ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ سلوكاً بالكلام طريق المشاكلة.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ تقرير للجملتين معاً، لأنّ ما انطوت عليه النفوس
من جملة الغيوب، ولا ينتهي علم أحد إلى ما يعلمه سبحانه.

﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ هي (أن) المفسرة، ومعناه: ما أمرتهم إلا بما أمرتني به.

﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ أي: رقيباً كالشاهد على المشهود عليه أمنعهم من أن
يقولوا ذلك ويعتقدوه.

﴿فَلَمَّا تَوَقَّيْتِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ تمنعهم من القول به بما نصبت لهم
من الأدلة، وأرسلت إليهم من الرسل.

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الذين عرفتهم عاصين مكذّبين لرسلك منكرين
ببيناتك.

﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفِيرُ﴾ القادر على العقاب والثواب.

﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعلها إلا عن حكمة وصواب. والمعنى: إن غفرت

لهم مع كفرهم بالمغفرة حسنة في العقل لكل مجرم، وكلما كان الجرم أعظم فالعفو عنه أحسن.

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّالِحِينَ صَدَقَهُمْ لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

﴿هَذَا يَوْمٌ﴾ بالرفع والإضافة، وبالنصب: إما على أنه ظرف لـ ﴿قَالَ﴾ وإما على أن ﴿هَذَا﴾ مبتدأ والظرف خبر. والمعنى: هذا الذي ذكرناه من كلام عيسى واقع يوم ﴿يَنْفَعُ﴾، ولا يجوز أن يكون فتحاً كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ﴾^(١) لأنه مضاف إلى متمكن. والمعنى: ﴿يَنْفَعُ الصَّالِحِينَ﴾ ما صدقوا فيه في دار التكليف، وقيل: تصديقهم لأنبياء الله وكتبه^(٢)، وقيل: صدقهم في الشهادة لأنبيائهم بالبلاغ^(٣).

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ نزه سبحانه نفسه عن قول النصارى، وإنما قال: ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾ ولم يقل: (ومن فيهن) تغليبا للعقلاء، لأن (ما) يتناول الأجناس كلها تناولاً عاماً، فلو أبصرت شخصاً من بعيد قلت: ما هو؟ قبل أن تعرف أمِنَ العقلاء هو أو من غيرهم، فكان لفظة (ما) بإرادة العموم أولى.

(١) الانفطار: ١٩.

(٢) تفسير الماوردي ج ٢: ٩٠.

(٣) تفسير الماوردي ج ٢: ٩٠.

سورة الأنعام

مكية غير آيات ست، وهي مائة وخمس وستون آية كوفي، ست بصري، ﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ كوفي، ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ و﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ غيرهم. وفي حديث أبي: ((أنزلت عليّ (الأنعام) جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد، فمن قرأها صلى عليه أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من الأنعام يوماً وليلة))^(١). وروى الحسين بن خالد^(٢) عن الرضا عليه السلام مثل ذلك، إلا أنه قال: ((سَبَّحُوا لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ
ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ
طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾

﴿جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ أي: أنشأهما وأحدثهما، والفرق بين الخلق والجعل:

(١) الكشف والبيان ج ٤: ١٣١.

(٢) الحسين بن خالد الصيرفي من أصحاب الرضا عليه السلام، وعده البرقي من أصحاب الامام الكاظم عليه السلام. ينظر: معجم رجال الحديث ج ٥: ٢٣٢.

(٣) تفسير القمي ج ١: ١٩٣.

أَنَّ الخلق فيه معنى التقدير، والجعل فيه معنى التصيير كإنشاء شيء من شيء، أو تصيير شيء شيئاً، أو نقله من مكان إلى مكان، ومن ذلك: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^(١)، ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾، و﴿جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾^(٢). والمعنى: إِنَّهُ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وما اشتملا عليه من أجناس المخلوقات، وأنشأ الليل والنهار وما لا يقدر عليه سواه، ثم إنهم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه. وهذا استبعاد لفعلهم.

وكذلك ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُوتُونَ﴾ استبعاد لأن يمتروا فيه بعد أن ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم.

وقوله: ﴿ثُمَّ قَفَّيْ أَجَلًا﴾ معناه: كتب وقدر أجلاً، يعني: أجل الموت، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ أجل القيامة. وقيل: الأجل الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت، والثاني ما بين الموت والبعث^(٣).

وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٢﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٣﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤﴾

﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ متعلق بمعنى اسم الله، كأنه قيل: وهو المعبود فيهما، ومثله قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾^(٤)، أو هو المعروف بالإلهية أو المتوحد بالإلهية فيها.

(١) الأعراف: ١٨٩.

(٢) فاطر: ١١.

(٣) عن الحسن. تفسير الطبري ج ٧: ٩٤.

(٤) الزخرف: ٨٤.

وعلى هذا فقله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ تقرير له، لأن من استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده.

ويجوز أن يكون ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن و﴿اللَّهُ... يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ مبتدأ وخبراً. و﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ يتعلّق ب﴿يَعْلَمُ﴾. ويجوز أن يكون ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ خبراً بعد خبر، على معنى أنه الله، وأنه في السماوات والأرض، بمعنى أنه عالم بما فيها لا يخفى عليه شيء منه، فكأن ذاته فيها؛ و﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾، خبر ثالث، أو كلام مبتدأ بمعنى: هو يعلم سركم وجهركم.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب.

و﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ مَاتَ﴾ للاستغراق، وفي ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ للتبعية، أي: وما يظهر لهم دليل من الدلائل التي يجب فيها النظر وبها يحصل الاعتبار ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ لا يلتفتون إليه ولا يستدلون به.

﴿فَقَدْ كَذَبُوا بِالْحَقِّ﴾ الذي أتاهم به محمد ﷺ وهو القرآن الذي تحدّوا به فعجزوا عنه.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ أخبار الشيء الذي استهزؤوا به وهو القرآن، أي: سيعلمون بأي شيء استهزؤوا في الآخرة أو في الدنيا.

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ
تُمْكِنْ لَهُمْ وَارْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾

مَكَّنَ له في الأرض: جعل له مكاناً، ومَكَّنَهُ في الأرض: أثبتة فيها، ومنه

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾^(١)، ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله: ﴿مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾.

والمعنى: ﴿أَلَمْ يَر كِفَارَ قُرَيْشٍ﴾ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ﴾ أمة، وكل أمة مقترنة في وقت قرن، أعطيناها من البسطة في الأجسام والسعة في الأموال ما لم نعطكم. عدل عن الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات.

﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾ يعني: المطر هنا ﴿عَلَيْهِمْ مَذَرَارًا﴾ مغزاراً، والمراد به: الغيث والبركة.

﴿وَأَنشَأْنَا﴾ وخلقنا من بعد هلاكهم أمة أخرى. وفيه دلالة على أنه سبحانه لا يتعاضمه أن يفتي عالماً وينشئ عالماً آخر كقوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾^(٢).

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيسُوتَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَسْنَهَيْئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾

﴿كِتَابًا﴾ أي: مكتوباً.

﴿فِي قِرْطَاسٍ﴾ في صحيفة.

﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ ولم تقتصر بهم على الرؤية والمعاينة لثلاثا يقولوا: سكرت أبصرنا، لقالوا: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ﴾ لعظم عنادهم وقسوة قلوبهم.

(١) الأحقاف: ٢٦.

(٢) الشمس: ١٥.

﴿لَوْلَا أَنْزَلْ﴾ أي: هلا أنزل على محمد ﴿مَلَكٌ﴾ شاهده فنصدقه.

﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا﴾ على ما اقترحوا ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: لقضي أمر إهلاكهم ﴿ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ بعد نزوله طرفه عين، لأنهم لا يؤمنون عند مشاهدة تلك الآية التي لا شيء أبين منها فتقتضي الحكمة استئصالهم.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا﴾ أي: ولو جعلنا الرسول ملكاً كما اقترحوه.

﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ لأرسلناه في صورة رجل، كما كان ينزل جبرئيل على رسول الله ﷺ في أحوال في صورة دحية الكلبي^(١).

﴿وَلَلْبَسْنَا﴾ ولخلطنا ﴿عَلَيْهِمْ مَاءً﴾ يخلطون على أنفسهم حينئذ، فإنهم يقولون إذا رأوا الملك في صورة رجل: هذا إنسان وليس بملك، وكذبوه كما كذبوا محمداً ﷺ، فإذا فعلوا ذلك خذلوا كما أنهم مخذولون اليوم، فهذا لبس الله عليهم. ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ﴾ تسلية للنبي ﷺ عما كان يلقاه من قومه.

﴿فَحَقَّ﴾ بهم فأحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل الاستهزاء به، وقيل: فأحاط بهم العذاب الذي يسخرون من وقوعه^(٢).

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنَّ
عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَيْعَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ

(١) دحية بن خليفة بن فروة الكلبي، كان من كبار الصحابة، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وهو رسول النبي ﷺ إلى قيصر، بقي إلى زمن معاوية. ينظر: الاستيعاب ج ١: ٤٧٢.

(٢) عن السدي. تفسير الطبري ج ٧: ٩٨.

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي
الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾

﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ سافروا فيها ﴿ثُمَّ أَنْظِرُوا﴾ بأبصاركم وتفكروا
بقلوبكم ﴿كَيْفَ كَانَتْ عِقَبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ المستهزئين بالرسل من الأمم السالفة.
﴿لَمَنْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ سؤال تبكيت.

و﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ تقرير لهم، أي: هو الله لا خلاف بيني وبينكم في ذلك، ولا
تقدرون أن تضيفوا شيئاً منه إلى غيره.

﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ أي: أوجبها على ذاته في هدايتكم إلى معرفته،
ونصب الأدلة لكم على توحيده بما أنتم تعترفون به من خلق السماوات والأرض،
وقيل: أوجب الرحمة على نفسه في إمهال عبادته ليتداركوا ما فرط منهم ويتوبوا^(١)،
وقيل: كتب الرحمة لأمة محمد ﷺ بأن لا يعذبهم في الدنيا بعذاب الاستئصال بل
يؤخرهم إلى يوم القيامة^(٢).

ثم فسر الرحمة بقوله: ﴿لِيَجْمَعَ كُفْرُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ على ما ذكرنا أن المراد
به إمهال العاصي ليتوب أو تأخير عذابهم، وقيل: إنه وعيد على كفرهم وتركهم
النظر، ومعناه: ليجمعن آخركم إلى أولكم قرناً بعد قرن ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾
فيجازيكم على شرككم.

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ قيل: هو بدل من الكاف والميم في ﴿لِيَجْمَعَ كُفْرُكُمْ﴾،
وعلى هذا فلا يجوز الوقف على ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. والصواب: الوقف والابتداء بـ
﴿الَّذِينَ خَسِرُوا﴾ وخبره ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. والمعنى: الذين خسروا أنفسهم

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ٢: ٢٣١.

(٢) تفسير ابن عباس ج ٢: ٦.

لاختيارهم الكفر فهم لا يصدّقون بالحق.

و﴿لَهُ﴾ عطف على ﴿لِلَّهِ﴾.

﴿مَاسَكْنَ﴾ وتمكّن ﴿فِي أَيْلٍ وَالنَّهَارِ﴾ ذكر في الأول السماوات والأرض، وذكر هنا الليل والنهار، فالأول يجمع المكان والثاني يجمع الزمان، وهما ظرفان لجميع الموجودات من الأجسام والأعراض. فالمراد بالسكون هنا الحلول والسكنى.

قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَمَّحُذُ وَلِيَا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصِرْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾

الإنكار في اتخاذ غير الله ولياً لا في اتخاذ الولي، فلذلك أولاه همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو ﴿أَمَّحُذُ﴾ ونحوه: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾^(١).

﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: منشئهما وخالقهما من غير احتذاء على مثال. ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ أي: وهو يرزق ولا يرزق. والمعنى: إنّ المنافع كلها من عنده، ولا يجوز عليه الانتفاع.

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ﴾ أي: أمرني ربّي ﴿أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لأنّ النبي

سابق أتمته في الإسلام، كقوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١).

﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ أي: وقيل لي: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك.

﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ﴾ العذاب ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْنَاهُ﴾ الله الرحمة العظمى وهي النجاة، كما تقول: من أطعمته من جوع فقد أحسنت إليه، تريد فقد أتممت الإحسان إليه. أو فقد أثابه وأدخله الجنة، لأن من لم يعذب فلا بد أن يثاب. وقرئ: من يصْرِفُ عنه - على البناء للفاعل .. والمعنى: من يصرف الله عنه في ذلك اليوم أي: من يدفع الله عنه ويحفظه، وترك ذكر المصروف وهو العذاب، لكونه معلوماً ومذكوراً قبله.

وَلِإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

﴿إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ من مرض أو فقر أو مكروه ﴿فَلَا﴾ قادر على كشفه ﴿إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ من صحة أو غنى ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقدر على إدامته وإزالته.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ هذا تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة، كقوله: ﴿وَأَنَا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾^(١) يريد أنهم تحت تسخيرهِ وتذليلهِ.

و﴿الْخَبِيرُ﴾ العالم بكل ما يصح أن يخبر به.

والشيء أعم العام لوقوعه على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه.

﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ﴾ أعظم ﴿شَهَدَةٍ﴾ وأصدق.

﴿قُلْ لِلَّهِ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يشهد لي بالنبوة وبتبليغ الرسالة إليكم وتكذيبكم

إيتاي.

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ حجة ودلالة على صدقي.

﴿لَا تُذِرْكُم بِهِ﴾ لا أخوفكم به من عذاب الله.

﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ أي: ولائذ به من بلغه إلى يوم القيامة. وروي عنهم ﷺ أن

المعنى: ((ومن بلغ أن يكون إماماً من آل محمد فهو ينذر - أيضاً - بالقرآن))^(٢).

﴿أَيُّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ استفهام إنكاري، أي: كيف تشهدون ﴿أَنْتَ مَعَ اللَّهِ

ءَالِهَةً أُخْرَى﴾ بعد قيام الحجة بوحداية الله تعالى؟! ﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾ بإثبات الشريك

له.

﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ به من الأوثان وغيرها. وهذه

شهادة بالوحداية، وبراءة من كل دين يؤدي إلى الشرك.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيَنَ

(١) الأعراف: ١٢٧.

(٢) تفسير العياشي ج ١: ٣٥٦.

شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْهُمْ إِلَّا أَنْ
قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ
وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾

وقرئ: ويوم يحشرهم، ثم يقول - بالياء - أي: يحشرهم الله.

﴿أَيُّ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنها تنفعكم، وأضيف الشركاء إليهم لأنهم
اخذوها لأنفسهم.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْهُمْ﴾ أي: كفرهم، أي: لم تكن عاقبة كفرهم وشركهم إلا
جحوده والتبرؤ منه، والحلف على الانتفاء منه. وقيل: معناه: لم تكن معذرتهم حين
وبخوا بشركهم، أو لم يكن جوابهم حين سئلوا واختبر ما عندهم بالسؤال إلا هذا
القول^(١). وقرئ: لم تكن - بالتاء - وفتنتهم - بالنصب ..

وإنما أنت ﴿أَنْ قَالُوا﴾ لوقوع الخبر مؤثراً كقولهم: من كانت أمك، وقرئ
بالياء ونصب الفتنة. وقرئ بالتاء ورفع الفتنة، وقرئ: ربنا - بالنصب - على الدعاء
والنداء.

﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: يفترون إلهيته وشفاعته، وإنما يصح وقوع
الكذب منهم مع اطلاعهم على حقائق الأمور ومعارفهم الضرورية، لما يلحقهم
من الدهش والحيرة من أهوال ذلك اليوم وشدائده، والمبتلى قد ينطق بها لا يتفقه
من غير روية وفكر في عاقبة.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي
ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُكَ يَجِدُلُونَكَ

يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ
وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

روي أنه اجتمع الوليد بن المغيرة وأبو جهل وأبو سفيان والنضر وعتبة وشيبة وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله ﷺ، فقالوا للنضر: يا أبا قتيلة ما يقول محمد؟ فقال: والذي جعلها بيته - يعني الكعبة - ما أدري ما يقول، إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم، وقال أبو سفيان: لا، أراه حقاً، فقال أبو جهل: كلا، فنزلت^(١).

والأكنة على القلوب والوقر في الأذان، مثل في نبو^(٢) قلوبهم وأسماعهم عن قبوله.

وأسند الفعل إلى نفسه في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ ليدل على أنه أمر ثابت مستقر فيهم كأنهم مجبولون عليه، أو هو حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم: ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقُرْ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾^(٣).

و﴿مُجَادِلُونَكَ﴾ في موضع الحال، و﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تفسير لجدهم. والمعنى: إنه بلغ تكذيبهم بالآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك، ويجعلون كلام الله الذي هو أصدق الحديث أكاذيب وخرافات، وهي الغاية في التكذيب. ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ الناس عن القرآن، أو عن الرسول واتباعه، ويشبطونهم عن التصديق به.

(١) أسباب النزول: ١٤٧ باختصار.

(٢) النبؤ: التجافي والتباعد. (الصحاح: مادة نبا)

(٣) فصلت: ٥.

﴿وَيَنْتَوِيحُونَ عَنْهُ﴾ بأنفسهم فيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ.

وما ﴿يَهْدِيكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ ولا يتعدى ضررهم إلى غيرهم وإن ظنوا أنهم يضرّون رسول الله ﷺ.

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْلِنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِكَايَتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخَفُّونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾

جواب ﴿لَوْ تَرَىٰ﴾ محذوف، والتقدير: لرأيت أمراً فظيعاً. والمعنى: ولو ترى إذ أُطلعوا على النار حتى يعاينوها، أو أدخلوها فعرفوا مقدار عذابها، من قولك: وقفته على كذا: إذا عرفته وفهمته، ﴿فَقَالُوا يَلَيْلِنَا نُرَدُّ﴾ تم هنا تمنّيهـم.

ثم ابتدأوا ﴿وَلَا نَكْذِبُ﴾ [أي: ونحن لا نكذب] ^(١) ﴿بِكَايَتِ رَبِّنَا﴾ ونؤمن. ويجوز أن يكون معطوفاً على ﴿نُرَدُّ﴾، أو حالاً على معنى: يا ليتنا نردّ غير مكذّبين وكائنين من المؤمنين، فيدخل تحت حكم التمتّي. وقرئ: ولا نكذب ونكون - بالنصب - بإضمار (أن) على جواب التمتّي، ومعناه: إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين.

﴿بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخَفُّونَ﴾ من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم، فلذلك تمنّوا ما تمّنوا ضجراً، لا أنّهم عازمون على أنّهم لو رددوا لآمنوا، بل ﴿لَوْ رُدُّوا﴾ إلى الدنيا ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من الكفر. ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما وعدوا من أنفسهم لا يوفون به.

وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ

وَقِفُّوا عَلَى رَبِّهِمْ^٢ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ^٣ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا

الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿وَقَالُوا﴾ عطف على قوله: ﴿لَعَادُوا﴾ أي: ولو ردّوا لكفروا وقالوا: ما ﴿هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ كما كانوا يقولونه قبل معاينة القيامة، أو عطف على قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَادِبُونَ﴾ [أي: وهم كاذبون]^(١) في كل شيء، وهم الذين قالوا ذلك. ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقِفُّوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه. وقيل: وقفوا على جزاء ربهم^(٢)، وقيل: عرفوه حق التعريف^(٣) كما يقال: وقفته على كلام فلان، أي: عرفته إيّاه.

﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ هذا تعبير من الله لهم على تكذيبهم بالبعث.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: بكفركم.

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ^٤ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ^٥ بَغْتَةً^٦ قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ^٧ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ^٨ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِيدُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ وَلَلْآخِرَةُ

خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُوتُ^٩ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾

﴿كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ ببلوغ الآخرة وما يتصل بها من الجزاء، و﴿حَتَّىٰ﴾ غاية لـ ﴿كَذَبُوا﴾ أي: دام تكذيبهم إلى حسرتهم وقت مجيء الساعة.

﴿بَغْتَةً﴾ أي: فجأة، وانتصابها على الحال بمعنى: باغته، أو على المصدر

(١) ساقطة من ط.

(٢) التبيان ج ٤: ١٢٠.

(٣) التبيان ج ٤: ١٢١.

بمعنى: بغنتهم بغتة.

﴿فَرَطْنَا فِيهَا﴾ الضمير للحياة الدنيا وإن لم يجر لها ذكر للعلم بها، أو للساعة على معنى: قصرنا في شأنها، نحو قوله: ﴿فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾^(١).

﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ هو مثل قوله: ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾^(٢)، لأن الأثقال تحمل على الظهر في العادة، كما أن الكسب يكون بالأيدي.

﴿سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ أي: بشئ سيئاً يزرون وزرهم، حذف المخصوص بالذم. وجعل سبحانه أعمال الدنيا لعباً وهواً، لأنها لا تجدي ولا تعقب نفعاً كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة، وقرئ: وَلَدَارُ الْآخِرَةِ، وتقديره: ولدار الساعة الآخرة، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه.

وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ يَنْتَقُونَ﴾ دليل على أن ما سوى أعمال المتقين لعب وهو.

قَدْ عَلِمَ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ
يَتَأْتِي اللَّهَ بِحَدُوثٍ ۖ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ
مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ
مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾

﴿قَدْ﴾ هاهنا بمنزلة (ربما) الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته، والهاء في ﴿إِنَّهُ﴾ ضمير الشأن.

و ﴿لِيَحْزُنَكَ﴾ قرئ بفتح الياء وضم الزاي، وبضم الياء وكسر الزاي.

و ﴿الَّذِي يَقُولُونَ﴾ هو قولهم: شاعر مجنون، وساحر كذاب.

(١) الزمر: ٥٦.

(٢) الشورى: ٣٠.

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف، من كذبه: إذا جعله كاذباً، وأكذبه: إذا وجده كاذباً، والمعنى: إثمهم لا يكذبونك في الحقيقة، وإنما يكذبون الله لأنك رسوله المصدق بالمعجزات، فتكذيبك راجع إليه وإلى جحود آياته، وهذا تسلية له ﷺ. وقيل: معناه: فإنهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يمحذون بالستهم^(١) كقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾^(٢).

﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أقام الظاهر مقام الضمير ليدل على أنهم ظلموا في جحودهم ﴿وَيَايَا آلَ اللَّهِ﴾، وعن علي ﷺ أنه قرئ عنده: ﴿لَا يُكْذِبُونَكَ﴾ فقال: ((بلى والله فقد كذبه، ولكن لا يكذبونك: لا يأتون بحق أحق من حقك))^(٣).
﴿وَلَقَدْ كَذَبْتَ﴾ تسلية أيضاً.

﴿فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا﴾ أي: على تكذيبهم وإيذائهم ﴿حَتَّى﴾ جاءهم ﴿فَصَبْرُوا﴾ إياهم على المكذبين.

﴿وَلَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي: لمواعيده من قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾^(٤).

﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من قومهم.

وإن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي
الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج ٧: ١١٥.

(٢) النمل: ١٤.

(٣) الكافي ج ٨: ٢٠٠ باختلاف.

(٤) الصفات: ١٧١، ١٧٢.

عَلَى الْهَدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ
يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا
نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾

كان يعظم على النبي ﷺ إعراض قومه عن الإيمان وقبول دينه فترلت^(١)،
ونحوه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾^(٢).

﴿فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ﴾ أي: إن قدرت وتنبأ لك ﴿أَنْ﴾ تطلب ﴿نَفَقَاتِي الْأَرْضِ﴾
أي: سرباً ومنفذاً تنفذ فيه إلى ما تحتها حتى تطلع لهم آية يؤمنون عندها.
﴿أَوْ سُلَّمَاتِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ﴾ منها ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ [فافعل، أي: إنك لا تستطيع
ذلك، وحذف جواب (إن)، وقيل: فتأتيهم بآية^(٣) أفضل مما آتيناهم به، يريد أنه
لا آية أفضل منه^(٤).

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدَىٰ﴾ بأن يأتيهم بآية ملجئة، ولكنه لا يفعل
لخروجه عن الحكمة.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ﴾ الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه.
﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ والذين تحرص على إيمانهم بمنزلة الموتى
الذين لا يسمعون، ثم وصف ﴿الْمَوْتَىٰ﴾ بأنه ﴿يَبْعَثُهُمُ﴾ من القبور يوم القيامة
ويحكم فيهم.

(١) الكشف والبيان ج ٤: ١٤٥ بالمعنى.

(٢) الكهف: ٦.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ٧: ١١٧.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ فحينئذ يسمعون، وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى إسماعهم.
 ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ تركوا الاعتداد بها نزل عليه من آيات الله
 والمعجزات مع كثرتها، كأنه لم ينزل عليه شيء من الآيات عناداً منهم.
 ﴿قُلْ إِنْ أَلَّهِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾ تضطربهم إلى الإيمان كنتق الجبل على بني
 إسرائيل ونحوه، أو آية إن جحدوها جاءهم العذاب.
 ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه سبحانه يقدر عليه، وأن صارفاً من
 الحكمة يصرف عنه.

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالُكُمْ مَا
 فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ
 يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾

جمع بهذين القولين جميع الحيوانات، لأنها لا تخلو من أن تكون مما يدب على
 الأرض أو مما يطير.

﴿إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالُكُمْ﴾ مكتوبة أرزاقها وآجالها وأعمالها، كما كتبت أرزاقكم
 وآجالكم وأعمالكم، وقيل: أشباهكم في أن الله أبدعها، وفي دلالتها على وحدانيته،
 وفي أنهم يموتون ويحشرون.
 ﴿مَا فَرَطْنَا﴾ ما تركنا.

﴿فِي الْكِتَابِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ.

﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب إثباته مما يختص به، وقيل:
 المراد بالكتاب القرآن، لأنه تعالى ذكر فيه جميع ما يحتاج إليه من أمور الدين والدنيا،

إما مجملاً وإما مفصلاً^(١).

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا رُجُوعُهُمْ يُحْشَرُونَ﴾ يعني الأمم كلها فيعوزها ويتنصف لبعضها من بعض، وفيه دلالة على عظم قدرته ولطف تدبيره في الخلاق المختلفة الأجناس وحفظه لما لها وعليها، وأن المكلفين لم يختصوا بذلك دون من سواهم.

ولما ذكر من خلائقه ما يشهد لربوبيته قال: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُغُرُوا﴾ أي: صم لا يسمعون كلام المنبه.

﴿وَبُئِيتُمْ﴾ لا ينطقون بالحق، خابطون في ظلمات الكفر، فهم غافلون عن تأمل ذلك.

﴿وَمَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ﴾ أي: يخذله ولا يلطف به، لأنه ليس من أهله.

﴿وَمَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: يلطف به لأنه من أهله.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَاكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ

تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠﴾ بَلْ إِلَٰهَهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ

إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿١١﴾

﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ معناه: أخبروني، و(كم) لا محل له من الإعراب، لأنك تقول:

أرايتك زيداً ما شأنه، فلو جعلت للكاف محلاً لكنت كأنك تقول: أرايت نفسك

زيداً ما شأنه، وذلك فاسد. والمعنى: أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ

أَتَاكُمْ﴾ القيامة من تدعون؟، ثم بكتهم بقوله: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ أي: أتخصون

آلهتكم بالدعوة كما هي عادتكم إذا أصابكم ضرر، أم تخصصون الله دونها؟.

﴿بَلْ إِلَٰهَهُ تَدْعُونَ﴾ بل تخصصون الله بالدعاء دون الآلهة.

﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ﴾ إلى كشفه ﴿إِنْ شَاءَ﴾ أن يتفضل عليكم بكشفه.
 ﴿وَتَسَوْنَ مَا تَدْعُونَ﴾ أي: وتتركون آهتكم ولا تذكرونها في ذلك الوقت.
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ
 يَضُرَّعُونَ ﴿١٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
 وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا
 ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا
 أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿١٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

البأساء من البأس أو البؤس، والضراء من الضر، وقيل: البأساء: من
 القحط والجوع، والضراء: المرض ونقصان الأنفس والأموال^(١). والمعنى: ﴿وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا﴾ إليهم الرسل فكذبوهم.

﴿فَآخَذْنَاهُمْ﴾ بالبليات في أنفسهم وأموالهم، لكي يتضرعوا ويخضعوا
 ويتذللوا ويتوبوا عن ذنوبهم.

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ معناه: نفي التضرع، كأنه قيل: فلم
 يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا، ولكنه جاء بـ ﴿لَوْلَا﴾ ليدل على أنه لم يكن لهم عذر في
 ترك التضرع إلا عنادهم وقسوة قلوبهم.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ من البأساء والضراء، أي: تركوا الاعتاظ به.
 ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الصحة والتوسعة في الرزق
 وأصناف النعم، كما يفعل الوالد البار بولده العاق يخاشنه تارة ويلطفه أخرى

طلباً لصلاحه.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ من الخير والنعم، ولم يزدوا إلا على البطر والأشر، وما تصدّوا للتوبة ولا اعتذار.

﴿أَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً﴾ أي: مفاجأة من حيث لا يشعرون.

﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من النجاة والرحمة، وقيل: متحيرون منقطعو الحجة^(١).

﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ﴾ أي: آخرهم لم يترك منهم أحد، واستؤصلت شأفتهم بالعذاب فلم يبق لهم عقب ولا نسل.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على إهلاك أعدائه وإعلاء كلمته. وهذا إيذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة، وآته من أجل النعم.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَنَّمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ
إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ
يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْكُمُ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً
هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا
مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ﴾ بأن يصمكم ويعميكم.

﴿وَخَنَّمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ بأن يغطي عليها ما يذهب عقلكم ويسلب تمييزكم.

﴿مَنْ إِنَّهُ عَزَّ اللَّهُ يَأْتِيَكُمْ﴾ بما أخذ منكم وختم عليه، أو أراد يأتيكم بذلك، فوضع الهاء موضع اسم الإشارة.

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرْتُ الْأَيَّاتِ﴾ أي: نوجهها في الجهات التي نظرها أتم الإظهار، مرة في جهة النعمة ومرة في جهة الشدة.

﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ أي: يعرضون عنها بعد ظهورها.

وإنما قابل البغته بالجهرة لما في البغته من معنى الخفية، وهو وقوع الأمر من غير أن يشعر به وتظهر إماراته، وعن الحسن: (ليلاً أو نهاراً)^(١).

﴿هَلْ يَهْلِكُ﴾ أي: ما يهلك هلاك تعذيب وسخط.

﴿إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ الذين ظلموا بكفرهم وفسادهم.

﴿إِلَّا الْمُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بهم وبما جاءوا به ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ من عصاهم وكذبهم.

﴿يَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ﴾ جعل العذاب ماساً، كأنه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام، ونحوه: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾^(٢).

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

أي: ﴿لَا﴾ أدعي ملك ﴿خَزَائِنُ﴾ رحمة ﴿اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ الذي يختص الله بعلمه، وإنها أعلم منه ما يعلمني الله ويخصني به.

(١) معالم التنزيل ج ١: ٣١٦.

(٢) الفرقان: ١٢.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ لأنني إنسان تعرفون نسبي، لا أقدر على ما يقدر عليه الملك.

﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي: ما أنبئكم بما كان فيما مضى وبما يكون فيما يستقبل إلا بالوحي.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ أي: الضال والمهتدي.

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ فلا تكونوا ضالين أشباه العميان وتنصفوا من أنفسكم.

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ الضمير يرجع إلى ﴿مَا يُوْحَىٰ﴾.

وَالَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ الذين يعترفون بالبعث والحشر. الصادق عليه السلام: ((أنذر بالقرآن الذين يرجون الوصول إلى ربهم، ترغّبهم فيما عنده، فإن القرآن شافع مشفع))^(١).

﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: من دون الله ﴿وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ فإن شفاعة الشافعين من الأنبياء والمؤمنين تكون بإذن الله فهي راجعة إليه سبحانه. على أن هذه الجملة في موضع الحال من ﴿يُحْشَرُوا﴾ والمعنى: يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعاً لهم، ولا بد من هذه الحال، لأن كل الناس محشور، فالمخوف إنّه هو

الحشر على هذه الحال.

ثم ذكر سبحانه المتقين وأمر بتقديمهم وتقريبهم، فقال: ﴿وَلَا تَقْرُؤُا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ ويعبدونه.

﴿بِالْغَدَوَةِ وَالْعَمِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ يطلبون ثوابه وبيتغون مرضاته. والوجه يعتر به عن ذات الشيء وحقيقته. روي: أَنَّ رَسُولَ قَرِيْشٍ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لو طردت هؤلاء الأعداء - يعنون فقراء المؤمنين - جلسنا إليك، فقال ﷺ: ما أنا بطارد المؤمنين، قالوا: فأقمهم عنا إذا جئنا، قال: نعم، طمعاً في إيمانهم^(١).

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ كقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾^(٢)، وذلك أَنَّهُم طعنوا في دينهم وإخلاصهم. والمعنى: ولو كان الأمر كما يقولون عند الله فما عليك إلا اعتبار الظاهر، وإن كان باطنهم غير مرضي فحسابهم عليهم لا يتعداهم إليك، كما أَنَّ حِسَابَكَ لَا يَتَعَدَّكَ إِلَيْهِمْ، كقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٣). وقيل: إِنَّ الضمير للمشركين^(٤). والمعنى: لا يؤاخذون بحسابك ولا أنت تؤاخذ بحسابهم حتى يهلك إيمانهم، ويجزئك الحرص عليه إلى أن تطرد المؤمنين.

وقوله: ﴿فَتَقَرَّبُوهُمْ﴾ جواب النفي، و﴿فَتَكُونُ﴾ جواب النهي، ويجوز أن يكون عطفاً على ﴿فَتَقَرَّبُوهُمْ﴾ على وجه التسيب، لأن كونه ظالماً مسبب عن طردهم. وقرئ: بالغدوة والعشي.

(١) أسباب النزول: ١٤٩.

(٢) الشعراء: ١١٣.

(٣) الأنعام: ١٦٤.

(٤) عن الحسن. تفسير الماوردي ج ٢: ١١٨.

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهْتُولَاءُ مَنِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ
 الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمْتُ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى
 نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا إِبْجَهَلَةً شُرَّ تَابٍ
 مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ
 لِقَوْمٍ لَيْسَ لَهُمْ سَبِيلٌ الْمُنْجَرِينَ ﴿٥٥﴾

أي: ومثل ذلك الفتن العظيم ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: ابتليناهم بهم،
 وذلك أن المشركين قالوا: ﴿أَهْتُولَاءُ﴾ يعنون المسلمين.

﴿مَنِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أي: أنعم الله عليهم بالتوفيق لإصابة الحق من
 دوننا ونحن الرؤساء والأشراف وهم العبيد والأنذال، إنكاراً لأن يكون أمثالهم
 على الحق، ونحوه: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾^(١). ومعنى فتناهم: خذلناهم
 فافتتنوا حتى كان افتتانهم سبباً لهذا القول، لأنه لا يقول مثل هذا القول إلا مفتون
 مخدول.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ أي: الله أعلم بمن يقع منه الإيثار والشكر
 فيوفقه للإيمان، ومن صمم على كفره بخذله ويمنعه التوفيق.

﴿فَقُلْ سَلَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ هو أمر بتبليغ سلام الله إليهم، أو أمر بأن يداهم
 بالسلام تبجيلاً لهم، وكذلك قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ من جملة
 ما يقول لهم ليسرّوا. وقرئ: إنه، وأنه بالكسر على الاستثناء كأنه تفسير للرحمة،
 وبالفتح على الإبدال من الرحمة.

﴿بِجَهْلَةٍ﴾ في موضع الحال، أي: عمله وهو جاهل، بمعنى: إنه عمل عمل الجاهلين، لأن من عمل ما يستوبل عاقبته علماً بذلك فهو من أهل الجهل، ويجوز أن يراد عمله جاهلاً بما يتبعه من الضرر والمكروه، ومن كان حكيماً لم يقدم على فعل شيء حتى يعلم حاله.

وقرى: ﴿وَلَتَسْتَبِينَ﴾ بالتاء والياء مع رفع ﴿سَبِيلُ﴾ لأنها تذكر وتؤنث، وبالتاء على خطاب النبي ﷺ ونصب السبيل، يقال: استبان الأمر وتبين واستبينته وتبينته. والمعنى: ومثل ذلك التفصيل البين ﴿نُفْصِلُ﴾ آيات القرآن في صفة أحوال من لا يرجى إسلامه، ومن يرى فيه أمارات القبول وتبشير الإيمان، ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلّا منهم بما يجب أن يعامل به؛ فضلنا ذلك التفصيل.

قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِيَهُ
أَهْوَاءُكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾
قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَبِيرٌ
الْفَصْلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾

﴿نُهَيْتُ﴾ عن عبادة ما تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

﴿قُلْ لَا آتِيَهُ أَهْوَاءُكُمْ﴾ أي: لا أجري على طريقتكم التي سلكتموها من اتباع الهوى دون اتباع الدليل.

﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا﴾ أي: إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال.

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ السالكون طريق الهدى، يعني: إنكم كذلك.

المفتاح: جمع مفتاح وهو المفتاح، وجعل سبحانه للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة، لأنّ بالمفتاح يتوصل إلى ما في المخازن المغلقة، أراد أنّه هو المتوصل إلى جميع المغيّبات بذاته وحده، لا يتوصل إليها سواه كما يتوصل إلى ما في المخازن من عنده مفاتيح أفقاله.

﴿وَلَا حَبْرَ﴾، ﴿وَلَا رَطْبَ وَلَا يَاسٍ﴾ عطف على ﴿وَرَقَةٍ﴾ وداخل في حكمها، أي: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ ولا شيء من هذه الأشياء إلا يعلمه، وقوله: ﴿وَلَا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ كالتكرير لقوله: ﴿وَلَا يَعْلَمُهَا﴾، لأنّ معنى ﴿وَلَا يَعْلَمُهَا﴾ و﴿وَلَا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ واحد. والكتاب المبين: علم الله، أو اللوح المحفوظ، أو القرآن.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ أي: يقبض أرواحكم عن التصرف بالنوم كما يقبضها بالموت.

﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾ أي: كسبتم من الأعمال ﴿وَالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ من القبور.

﴿فِيهِ﴾ أي: في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الأعمال بالنهار ومن أجله.

﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ وهو الأجل الذي سمّاه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ وهو المرجع إلى موقف الحساب.

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في ليلكم ونهاركم، وقيل: ثم يبعثكم من

نومكم^(١) أي: يتبهمكم في النهار لتستوفوا آجالكم. جعل سبحانه انتباههم من النوم بعثاً.

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿١١﴾

أي: ﴿وَهُوَ﴾ المقتدر المستعلي على عباده.

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ﴾ ملائكة ﴿حَفَظَةً﴾ يحفظون أعمالكم وهم الكرام الكاتبون. والفائدة في ذلك أنّ العباد إذا علموا أنّ الملائكة يحفظون أعمالهم في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد يوم القيامة كان ذلك أزر لهم عن القبيح. ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ استوفت روحه، وهم ملك الموت وأعوانه، و﴿حَتَّىٰ﴾ هذه التي للاستئناف وما بعدها جملة. وقرئ: توفاه - بالإمالة - . ويجوز أن يكون ماضياً، وأن يكون مضارعاً بمعنى تتوفاه.

﴿وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ أي: لا يتوانون ولا ينقصون مما أمروا به ولا يزدون فيه، والتفريط: التقصير والتأخير عن الحد، والإفراط: مجاوزة الحد.

ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَجْنَمْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُّشْكِرُونَ ﴿١٤﴾

﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى حكمه وجزائه.

﴿مَوْلَاهُمُ﴾ أي: مالهم الذي يلي عليهم أمورهم.

﴿الْحَقِّ﴾ العدل الذي لا يحكم إلا بالحق.

﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ يومئذ لا حكم فيه لغيره.

﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ لا يشغله حساب عن حساب.

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما، يقال

لليوم الشديد: يوم مظلّم ذو كواكب، أي اشتدت ظلمته حتى صار كالليل ﴿تَدْعُونَهُ﴾ متضرّعين بالسستكم ومسرّين في أنفسكم.

﴿لَئِنْ﴾ أنجيتنا على إرادة القول، أي قائلين: إن أنجيتنا من هذه الظلمة

والشدة. وقرئ: ينجيكم - بالتشديد والتخفيف - ولئن أنجانا، وخفية - بالضم والكسر..

﴿قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ﴾ يخلصكم من هذه الشدة ﴿وَمِنْ كُلِّ﴾ غم ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ

تُشْرِكُونَ﴾ بالله بعد قيام الحجة عليكم.

قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ

أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ شِعَا وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرْتُ

الْأَيُّنَ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾

أي: ﴿هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ﴾ يرسل ﴿عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ كما أمطر على

قوم لوط، وعلى أصحاب الفيل الحجارة، وعلى قوم نوح الطوفان ﴿أَوْ مِنْ

تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كما أغرق فرعون، وخسف بقارون، وقيل: ﴿مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ من

قبل أكابرهم وسلاطينكم الظلمة، و﴿مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ من قبل سفلتكم

وعبيدكم^(١)، وقيل: هو حبس المطر والنبات.

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ٧: ١٣٨.

﴿أَوَلَيْسَ كُمْ شَيْعًا﴾ أي: يخلطكم فرقاً مختلفي الأهواء، كل فرقة منكم مشايعة لإمامها، ومعنى خلطهم: أن يختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال.

﴿وَيَذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ أي: يقتل بعضكم بعضاً، ونحوه قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾^(١)، الصادق عليه السلام: ((هو سوء الجوار))^(٢). والمعنى في الآية: الوعيد بأحد أصناف العذاب المعدودة. وفي الحديث: ((إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة))^(٣).

وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيِنِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُبْسِتُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْتَفُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذُكِّرُوا لَعَلَّهُمْ يَنْقُورُونَ ﴿٦٩﴾

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ الضمير للعذاب.

﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ أي: لا بد أن ينزل بهم.

﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ بحفيظ، أي: وكل إلي أمركم أمنعكم من التكذيب إجباراً، إنما أنا منذر.

﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: لكل شيء ينبأ به ويخبر وقت استقرار وحصول لا بد

(١) الأنعام: ١٢٩.

(٢) تفسير القمي ج ١: ٢٠٤.

(٣) المستدرک علی الصحیحین ج ٤: ٤٤٩.

منه. وقيل: الضمير في ﴿بِهِ﴾ للقرآن^(١).

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي﴾ الاستهزاء بآياتنا والطعن فيها ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾
فلا تجالسهم وقم عنهم ﴿حَقًّا يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ فلا بأس أن تجالسهم حينئذ.
﴿وَلَمَّا يُنْسِيكَ الشَّيْطَانُ﴾ النهي عن مجالستهم ﴿فَلَا تَقْعُدْ﴾ معهم ﴿بَعْدَ
الذِّكْرِ﴾، ويجوز أن يراد: وإن أنساك الشيطان قبل النهي قبح مجالستهم، فلا
تقعد معهم بعد أن ذكرناك قبحها وتبهاك عليه.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُوتُ﴾ أي: وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما
يجاسبون عليه من ذنوبهم.

﴿وَلَكِنْ﴾ عليهم أن يذكروهم ﴿ذِكْرًا﴾ إذا سمعوههم يخوضون فيها
بأن يقوموا عنهم ويظهروا الكراهية لهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُ﴾ يجتنبون الخوض كراهية لمساءتهم أو حياء. ويجوز أن
يكون ﴿ذِكْرًا﴾ رفعاً على: ولكن عليهم ذكرى.

وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا
وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَهَا مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ وَإِنْ تَدُلَّ كُلُّ نَفْسٍ لَهَا يَوْمَئِذٍ بِمَا
كَسَبَتْ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ
كَافِرُونَ ﴿٧﴾

﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ الذي كلفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام.

﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ حيث سخروا به واستهزؤوا منه، ومعنى ذرهم: أعرض

عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم.

﴿وَذَكِّرْهُمْ﴾ أي: بالقرآن.

﴿أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: مخافة أن تسلم نفس إلى الهلاك والعذاب،

وترتهن بسوء كسبها.

﴿وَإِنْ تَعَدَّلْ كُلُّ عَدْلٍ﴾ أي: وإن تفد كل فداء ﴿لَا يُوْخَذَ مِنْهَا﴾.

﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَاطِلٍ﴾.

﴿الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾ أي: أسلموا إلى الهلاك ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ بكسبهم وعملهم.

قُلْ أَدْعُوْا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا

بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ

أَصْحَابٌ يَدْعُوْنَهُ إِلَى الْهُدَى اثْنًا قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُدىً هُوَ الْهُدَى

وَأَمْرُنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا

وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾

أي: أنعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾ إن عبدناه ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ إن تركنا

عبادته.

﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ راجعين عن ديننا الذي هو خير الأديان ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا

اللَّهُ لَهُ.

﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ﴾ كالذي ذهبت به مردة الجن

والغيلان في المهامة^(١). والاستهواء استفعال من هوى في الأرض: إذا ذهب، كأن

المعنى: طلبت هَوِيَّه، وموضع الكاف نصب على الحال من الضمير في ﴿نُرَدُّ﴾،

(١) المهامة جمع المهمة: المغازاة البعيدة الأطراف. (الصحاح: مادة ميه)

أي: أنكص مشبهين من ﴿أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾.

﴿حَيْرَانَ﴾ لا يهتدي إلى طريق، تائهاً ضالاً.

﴿لَهُ﴾ أي: لهذا المستهوى ﴿أَصْحَبٌ﴾ رفقة.

﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ أي: إلى الطريق المستوي، أو إلى أن يهده الطريق المستقيم، يقولون له: ﴿أَتَقْنَا﴾ وقد اعتسف التيه تابعاً للجن لا يجيبهم ولا يأتهم. وهذا مبني على ما تزعمه العرب أنّ الجن تستهوي الإنسان والغيلان كذلك، فشبه به الضال عن الإسلام الذي لا يلتفت إلى دعاء المسلمين إياه.

﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُدىً لَكُمْ﴾ وهو الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ وحده وما سواه ضلال ﴿وَأَمَرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: أمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا، بمعنى للإسلام ولإقامة الصلاة، ومعنى اللام التعليل للأمر، وتقديره: أمرنا، وقيل لنا: أسلموا لأجل أن نسلم.

﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازي كل عامل منكم بعمله.

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ
كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ مبتدأ و﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ خبره مقدماً عليه كما تقول: يوم الجمعة القتال، واليوم بمعنى الحين، أو يكون ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ مبتدأ وخبراً و﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ ظرفاً. والمعنى: وهو الذي خلق السماوات والأرض قائماً بالحق والحكمة، وحين يقول لشيء من الأشياء: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ذلك الشيء.

﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ والحكمة، أي: لا يكون شيئاً من السماوات والأرض وسائر المكونات إلا عن حكمة وصواب.

و﴿يَوْمَ يُنْفَخُ﴾ ظرف لقوله: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ كقوله: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾^(١). ويجوز أن يكون ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ فاعل ﴿يَكُونُ﴾ على معنى: وحين يقول لقوله الحق أي: لقضائه الحق: ﴿كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾، ويتصب ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ بمحذوف دلّ عليه ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾، كأنه قيل: ويوم يكون ويجدد الخلق يقوم بالحق، ووجب له الملك في اليوم الذي فيه ينفخ في الصور لا يبقى لأحد فيه ملك.

ويجوز أن يكون ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ بدلاً من ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾. والصور: قرن ينفخ فيه إسرافيل نفختين، فيفنى الخلق بالنفخة الأولى ويحيون بالثانية، وعن الحسن: (إنه جمع صورة)^(٢).

﴿عَلَيْكُمْ الْغَيْبِ وَالْشَّهَادَةِ﴾ رفع على المدح.
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَزَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧١﴾ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

وقرئ: آزر - بالضم - على النداء.

ولا خلاف بين النسابين أن اسم أبي إبراهيم تارخ، قال أصحابنا: إن آزر كان اسم جد إبراهيم لأمه، وروي أيضاً أنه كان عمه، وقالوا: إن آباء نبيّنا ﷺ إلى

(١) غافر: ١٦.

(٢) معالم التنزيل ج ١: ٣٢٠.

آدم كانوا موحدين^(١)، ورووا عنه ﷺ أنه قال: ((لم يزل ينقلني الله تعالى من صلب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، لم يدنسني بدنس الجاهلية))^(٢)، وقد قيل: إن آزر اسم صنم^(٣)، فيجوز أن ينز به للزومه عبادته.

والهمزة في ﴿أَتَتَّخِذُ﴾ للإنكار، وقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ من بعد عطف على ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ﴾ جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه. والمعنى: ومثل ذلك التعريف نعرف به إبراهيم ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: الربوبية والإلهية، ونوقفه لمعرفة معرفتها ونهديه لطريق النظر والاستدلال ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فعلنا ذلك.

و﴿نُرَى﴾ حكاية حال ماضية.

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ
الْأَفْلَاقَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ
لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ
بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُنْقِوْمُ إِنِّي بُرِّئُ
مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

كان القوم يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن ينتههم على خطئهم، ويرشدهم ويبصرهم طريق النظر والاستدلال، ليعرفوا أن شيئاً منها لا يصح أن يكون إلهاً، لوضوح دلالة الحدوث فيها.

(١) التبيان ج ٤: ١٨٩.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي ج ١: ١٨٦ و ج ٢: ١١٤، كتاب الشفاج ١: ١٦٧.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٧: ١٥٨.

﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه، ليكون ذلك أدعى إلى الحق وأرفع للشغب، ثم يبطله بعد بالحجة في قوله: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أي: لا أحب عبادة الأرباب المحتجبين بحجاب، المتغيرين من حال إلى حال، المتقلين من مكان إلى مكان، فإن ذلك من صفات الأجسام ودلائل الحدوث.

وقوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ تنبيه لقومه على أن من اتخذ القمر إلهاً - وهو آفل مثل الكواكب - يكون ضالاً، وأن الهداية إلى الحق تكون بتوفيق الله تعالى ولطفه، وقوله: ﴿هَذَا أَكْبَرُ﴾ أيضاً من باب استعمال الإنصاف مع الخصوم، ثم قال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ من الأجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها.

وأما وجه التذكير في قوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ مع أن الإشارة للشمس، فهو أنه جعل المبتدأ مثل الخبر لكونها عبارة عن شيء واحد، كقولهم: من كانت أمك، وليصون الرب عن شبهة التأنيث، ألا تراهم لم يقولوا الله سبحانه علامة، وإن كان العلامة أبلغ من علام، لهذا المعنى.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: للذي دلّت هذه المحدثات على أنه صانعها، ومبدعها الذي دبّر أحوالها: مسيرها، وانتقالها، وطلوعها، وأفولها.

وقيل: إن هذا كان استدلاله في نفسه في زمان مهلة النظر وخطور الخاطر الموجب عليه الفكر فحكاه الله سبحانه^(١). والأول أظهر، لقوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ وقوله: ﴿يَنْقُومِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

(١) عن البلخي وغيره. التبيان ج ٤: ١٩٧.

وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾

كان القوم حاجوه وخاصموه في الدين وفي التوحيد وترك عبادة آلهتهم منكربين لذلك، فقال لهم: ﴿أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي إِلَى التَّوْحِيدِ﴾ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ﴿لأنهم قد خوَّفوه أنَّ آلهتهم تصيبه بمكروه.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ إلا وقت مشيئة ربِّي شيئاً يخاف فحذف الوقت، أي: لا أخاف معبوداتكم في وقت قط، لأنها لا تقدر على نفع وضرر إلا إذا شاء ربِّي أن يصيبني بمخوف من جهتها مثل أن يرجمني بكوكب، أو يشاء الإضرار بي ابتداء.

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ فلا يستبعد أن يكون في علمه إنزال خوف بي.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتميزوا بين القادر والعاجز.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ﴾ لتخويفكم شيئاً لا يتعلّق به ضرر وأنتم ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ ما يتعلّق به كل خوف وهو إشراككم ﴿بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ﴾ بإشراكه ﴿سُلْطَانًا﴾ أي: حجة، إذ لا يصح أن يكون عليه حجة، فكأنه قال: ومالكم تنكرون على الأمن في موضع الأمن، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف.

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ يعني: فريق المشركين وفريق الموحدين ﴿أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾.

ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي: معصية، وعن ابن عباس: (هو الشرك)^(١) لقوله: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٢).

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ﴾ من الله ﴿وَهُمْ﴾ محكوم لهم بالاهتداء.

وَبَلَّغَ حُجَّتَنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن دُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن ءَابَائِهِمْ وَدُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْبَيْنَهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾

﴿وَبَلَّغَ حُجَّتَنَا﴾ إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم عليه السلام على قومه، من قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: أرشدناه إليها وأخطرناها بيباله.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ﴾ في العلم والحكمة. وقرئ بالتثنية أي: نرفع من نشاء درجات، كقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾^(٣).

﴿وَوَهَبْنَا﴾ لإبراهيم ﴿إِسْحَاقَ﴾ ابنه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ابن إسحاق ﴿كُلًّا﴾

(١) تفسير الطبري ج ٧: ١٦٩.

(٢) لقمان: ١٣.

(٣) البقرة: ٢٥٣.

هَدَيْتَا ﴿ إِلَى النُّبُوَّةِ وَنِيلَ الْكَرَامَاتِ .

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ الضمير لنوح أو لإبراهيم .

﴿دَاوُدَ﴾ أي : وهدينا داود .

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ﴾ في موضع النصب عطفاً على ﴿كُلًّا﴾ بمعنى : وفضلنا

بعض آبائهم ﴿وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾ .

﴿وَأَجْبَيْنَهُمْ﴾ اصطفييناهم .

ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ

عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ

وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ

﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَيُهْدِئُهُمُ اقْتَدِهْ قُلَّ لَا

أَسْتَأْذِنُكَ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من التفضيل والاجتناء .

﴿هُدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾ ممن لم يستمهم في هذه الآيات .

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات، لحبطت

أعمالهم وكانوا كغيرهم في ذلك، ونحوه : ﴿لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ ^(١) .

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ﴾ أعطيناهم .

﴿الْكِتَابَ﴾ يريد به الجنس .

﴿وَالْحُكْمَ﴾ بين الناس، وقيل : الحكمة .

﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ بالكتاب والحكم والنبوة، أو بالنبوة ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني : أهل

مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ وهم الأنبياء الذين جرى ذكرهم ومن تابعهم، آمنوا بها أتى به نبينا ﷺ قبل وقت مبعثه، وقيل: هم كل من آمن بالنبي ﷺ، وقيل: هم الأنصار^(١). ومعنى توكيلهم بها: إتهم وقفوا للإيمان بها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده. والباء في ﴿بِهَا﴾ صلة ﴿يَكْفُرُ﴾ وفي ﴿بِكُفْرِيكَ﴾ لتأكيد النفي. ﴿فَيَهْدِيهِمْ أَقْصَدَ﴾ أي: فاخصص هداهم بالاقتداء ولا تقتد إلا بهم، ففي تقديم المفعول هذا المعنى. ويريد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وعدله وفي أصول الدين، دون الشرائع فإنها يتطرق إليها النسخ فهي هدى ما لم تنسخ. والهاء في ﴿أَقْصَدَ﴾ للوقف.

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة جعلاً، كما لم تسأله الأنبياء قبلي فإنه ينقر عن القبول. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ فيه دليل على أن نبينا ﷺ مبعوث إلى كافة العالمين، وأن النبوة مختومة به.

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾

أي: ما عرفوه حق معرفته، وما عظموه حق عظمتهم، وما وصفوه بما يجب أن يوصف به من الرحمة على عباده واللفظ بهم حين ﴿قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ فأنكروا بعثة الرسل والوحي إليهم، وذلك من أعظم رحمته وأجل ألطافه. وإنما قاله اليهود مبالغة في إنكار نزول القرآن على رسول الله ﷺ، فألزموا ما لا بد

لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى، وأدرج تحت الإلزام توبيخهم وذمهم بتحريفهم للتوراة وإبداء بعضها وإخفاء بعض، فقيل: ﴿جَاءَ يَهُوَّاهُ مُوسَى نُورًا﴾ يستضاء به في الدين ﴿وَهَدَى لِلنَّاسِ﴾ يهتدون به ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَأَطِيسَ﴾ ورقات متفرقة، ليتمكنوا مما حاولوه من الإبداء والإخفاء. وقرئ: تجعلونه. بالتاء والياء. وكذلك تبدونها وتخفون.

و﴿وَعُلِّمْتُمْ﴾ خطاب لليهود، أي: علمتم على لسان محمد مما أوحى إليه ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ﴾ مع أنكم حملة التوراة.

﴿وَلَا أَبَاؤُكُمْ﴾ أي: ولم يعلمه آباؤكم الذين كانوا قبلكم وهم أعلم منكم، ونحوه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(١). ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أنزله ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ﴾ أي: في باطلهم الذي يخوضون فيه.

و﴿يَلْعَبُونَ﴾ حال من ﴿ذَرَهُمْ﴾ أو من ﴿خَوْضِهِمْ﴾، ويجوز أن يكون ﴿في خَوْضِهِمْ﴾ حالاً من ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي: خائضين في الباطل، ويجوز أن يكون صلة لـ ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أو لـ ﴿ذَرَهُمْ﴾.

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٢﴾

يعني: القرآن ﴿مُبَارَكٌ﴾ كثير المنافع والفوائد، قراءته خير، والعمل به خير، وفيه علم الأولين والآخرين، وفيه الحلال والحرام، وهو باق إلى آخر التكليف لا يرد عليه نسخ ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من التوراة والإنجيل وغيرهما.

﴿وَلِنُنْذِرَ﴾ معطوف على ما دلّ عليه صفة ﴿كُتِبَ﴾ كأنه قيل: للبركات ولتصديق ما تقدّمه من الكتب وللإنذار. وقرئ: لتنذر - بالتاء والياء..

وسمّيت مكة أم القرى لأنها مكان أول بيت وضع للناس، ولأنّها قبله لأهل القرى ومحجّتهم، ولأنّها أعظم القرى شأنًا، ولأنّ الأرض بأسرها دحيت من تحتها فكأنّها تولدت منها.

﴿وَالَّذِينَ﴾ يصدّقون ﴿بِالْآخِرَةِ﴾ ويخافونها ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: بالقرآن، وذلك أنّ أصل الدين خوف العاقبة، فمن خافها يحمله الخوف على أن يؤمن.

وخصّ الصلاة بالذكر من بين سائر الفرائض لأنّها عماد الدين، ومن حافظ عليها كانت له لطفًا في المحافظة على أخواتها.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُوتُ فِي عَمَزَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٢﴾

﴿افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فزعم أنّ الله بعثه نبيًا وهو مسيلمة الكذاب. وروي عن النبي ﷺ أنّه قال: ((رأيت فيها يرى النائم كأنّ في يدي سوارين من ذهب فكبرا عليّ وأهمني، فأوحى الله إليّ أن أنفخهما، فنفختهما، فطارا عني، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما: كذاب اليمامة: مسيلمة، وكذاب صنعاء: الأسود العنسي))^(١).

﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ هو عبد الله بن سعد ابن أبي سرح^(٢)، وقيل:

(١) سنن البيهقي الكبرى ج ٨: ١٧٥ باختلاف يسير.

(٢) عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري، كان أخا عثان من الرضاة، وكان يكتب للنبي ﷺ

هو النضر بن الحارث والمستهزئون قالوا: لو نشاء لقلنا مثل هذا.

﴿غَمَرَتِ الْوَيْتُ﴾ شدائده وسكراته، [وأصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة.

﴿بَاسِطُوا﴾^(١) أَيْدِيَهُمْ﴾ يسطون إليهم يقولون: هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم، وهذه عبارة عن العنف في السياق والتغليظ والإرهاق في الإزهاق، فعل الغريم المملح يسط يده إلى من عليه الحق ويقول له: أخرج إلي مالي عليك، وقيل: معناه: باسطو أيديهم عليهم بالعذاب^(٢).

﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ خلّصوها من أيدينا، أي: لا تقدرّون على الخلاص. ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ يعني: وقت الإماتة، أو الوقت الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة.

و﴿الْهَوْنُ﴾ الهوان الشديد، وإضافة العذاب إليه كقولك: رجل سوء، تريد التمكن في الهوان وأنه عريق فيه.

﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ فلا تؤمنون بها.

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١١﴾

﴿فُرْدَى﴾ منفردين عن أموالكم وأولادكم، وعن أوثانكم التي زعمتم أنها

للّه فكان يغيّر ما يمليه عليه، ثم ارتدّ ولحق بمكة، فأهدر النبي ﷺ دمه يوم الفتح، فاستجار بعثمان فأجاره، وقصته مشهورة. ينظر: الإصابة ج ٢: ٣١٦.

(١) ساقطة من ج.

(٢) عن الضحاك، تفسير الطبري ج ٧: ١٨٣.

شفعاؤكم وشركاء الله.

﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد، وفي الحديث: ((تحشرون حفاة عراة غرلاً))^(١) أي: قلفاً.

﴿وَتَرْكُمُ مَا خَوَّلْنَكُمْ﴾ أي: ما ملكناكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة ﴿وَرَأَ ظُهُورِكُمْ﴾ لم تحملوا منه شيئاً واستمتع به غيركم.

﴿أَنْتُمْ فِيكُمْ﴾ أي: في استعبادكم ﴿شُرَكَؤُا﴾ لأنهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم.

﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: وقع التقطع بينكم، كما تقول: جمع بين الشيئين تريد أوقع الجمع بينهما على إسناد الفعل إلى مصدره بهذا التأويل. وقرئ: بينكم على إسناد الفعل إلى الظرف كما تقول: قوتل خلفكم.

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنْ تُوَفَّكُونَ ﴿١٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٦﴾

﴿فَالِقُ الْحَبِّ﴾ بالنبات ﴿وَالنَّوَى﴾ بالشجر، وقيل: أراد الشقين اللذين في النواة والحنطة^(٢).

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ أي: الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى ﴿وَيُخْرِجُ﴾ هذه الأشياء الميتة من الحيوان والنامي.

﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ عطف على ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ لا على الفعل،

(١) مسند أحمد ج ٦: ٥٣.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٧: ١٨٦.

وموقعه موقع الجملة الميَّنة، لأنَّ فلق الحبِّ والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس إخراج الحي من الميت.

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾ أي: ذلك المحيي والمميت هو الله الذي تحقَّق له الربوبية.

﴿فَأَنَّى تُؤَفَّكُونَ﴾ فكيف تصرفون عنه وعن قوله إلى غيره.

و﴿الْإِصْبَاحُ﴾ مصدر سَمِّيَ به الصبح، والمعنى: فالق ظلمة الإصباح وهي الغيب في آخر الليل، أو فالق الإصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار، لأنَّ الظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال الشاعر:

نَفَّرَ لَيْلٍ عَنْ بَيَاضِ نَهَارٍ^(١)

وقرئ: وجعل الليل، لأنَّ اسم الفاعل الذي قبله بمعنى المضي، ولذلك عطف عليه ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ أي: وجعل الشمس والقمر ﴿حُسْبَانًا﴾.

والسكن ما يسكن إليه الرجل ويطمئن استرواحاً إليه من زوج أو حبيب، ومنه قيل للمرأة: سكن، لأنَّه يستأنس بها، والليل يطمئن إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه. ويمكن أن يراد: وجعل الليل مسكوناً فيه من قوله: ﴿لَتَسْكُنُوا فِيهِ﴾^(٢).

والحُسبان - بالضم - مصدر حسب، والمعنى: وجعل الشمس والقمر على حسان، لأنَّ حساب الأوقات يعلم بدورهما ومسيرهما، أو محسوبين حساباً.

﴿ذَلِكَ﴾ التسيير بالحساب المعلوم ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ الذي قهرهما بتسخيرهما ﴿الْعَلِيمِ﴾ بتدبيرهما وتدويرهما ومسيرهما.

(١) ديوان أبي نؤاس: ٤١٠، وفيه عن أديم... وصدرة: تردَّت به ثم انفرت عن أديمه.

(٢) يونس: ٦٧.

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ
قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ
وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾

يعني: ﴿فِي ظُلُمَاتِ﴾ الليل بـ ﴿الْبَحْرِ﴾، وأضاف الظلمات إلى البر والبحر للاستهتاء إياهما، أو لتشبيه الطرق المشتبهة بالظلمات.

وقرئ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ بفتح القاف وكسرها: فمن فتح كان المستودع اسم مكان مثله أو مصدرأ، ومن كسر كان اسم فاعل، والمستودع اسم مفعول. والمعنى: فلکم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب، أو مستقر فوق الأرض ومستودع تحتها، أو فمّنكم مستقر في القبر ومنكم مستودع في الدنيا. وعن الحسن: (يا ابن آدم أنت ودیعة في أهلک ویوشک أن تلحق بصاحبک) ^(١)، وأشد قول لبيد:

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعَةٌ وَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ ^(٢)

وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ
فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ
مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ
مُسْتَبْهًا وَعَيْرَ مُتَشَبِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي
ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

كل ما علاك فأظلك فهو سماء، وهو هنا السحاب.

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بالماء ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ نبت كل صنف من أصناف الحبوب.

(١) معالم التنزيل ج ١: ٣٢٦.

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ٨٩.

يعني: إنَّ السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف، وهو كقوله: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾^(١).

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي: من النبات.

﴿خَضِرًا﴾ أي: نباتاً غصاً أخضر، وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج

من الحبة.

﴿فُتِحَ مِنْهُ﴾ من الخضر ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ قد تراكب بعضه على بعض

مثل سنبلة الحنطة والشعير وغيرهما.

و﴿قَنَوَانٌ﴾ رفع بالابتداء، و﴿مِنَ النَّخْلِ﴾ خبره، و﴿مِنْ طَلْعِهَا﴾ بدل منه،

كأنه قيل: وكائنة من طلع النخل قنوان. ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً لدلالة

أخرجنا عليه، تقديره: ومخرجة من طلع النخل قنوان. والقنوان: جمع قنو كصنوان

وصنو.

﴿دَائِيَّةٌ﴾ سهلة المجتنى قريبة التناول، وعن الحسن: (قريب بعضها من

بعض)^(٢).

﴿وَجَعَلَتْ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ بالنصب عطف على ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: وأخرجنا

به جنات من أعناب. وقرئ: وجنات - بالرفع - على معنى: وحاصلة أو مخرجة من

النخل قنوان وجنات من أعناب أي: من نبات أعناب، أو يراد: وثم جنات من

أعناب أي: مع النخل.

﴿وَالزَّيْتُونَ﴾ أي: وأخرجنا به الزيتون ﴿وَالرُّمَّانَ﴾، والأحسن أن يكون

(١) الرعد: ٤.

(٢) تفسير الماوردي ج ٢: ١٤٩.

نصبها على الاختصاص، كقوله: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾^(١) لفضل هذين الصنفين. ﴿مُسْنِدَهَا وَغَيْرَ مُتَشَبِّهٍ﴾ يقال: اشبه الشيئان وتشابها، والافتعال والتفاعل يشتركان كثيراً، وتقديره: والزيتون متشابهاً وغير متشابهه والرمان كذلك، والمعنى: متشابهاً بعضه وغير متشابهه بعضه في القدر واللون والطعم.

﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ أي: أخرج ثمره كيف يخرج ضئيلاً صغيراً، وانظروا إلى حال ينعه، أي: نضجه كيف يكون جامعاً لمنافع وملاذ، نظر اعتبار واستبصار واستدلال على اقتدار مقدّره وتدبير مدبره ينقله من حال إلى حال، يقال: ينعت الثمرة نِعْماً ونِعْماً.

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ
سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ
وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ فيها مفعولا جعل، و﴿الْجِنَّ﴾ بدل من ﴿شُرَكَاءَ﴾، ويجوز أن يكون ﴿شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ مفعولين قدّم ثانيهما على الأول، أي: جعلوا الجن شركاء لله. وفائدة تقديم ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ استعظام أن يتخذ الله شريكاً من كان ملكاً أو جنياً أو إنسياً. والمراد بالجن: الملائكة جعلوهم لله أنداداً، ونحوه: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْباً﴾^(٢)، وقيل: هم الذين قالوا: إن الله خالق الخير وإبليس خالق

(١) النساء: ١٦٢.

(٢) الصافات: ١٥٨.

الشر^(١).

﴿وَحَلَقَهُمْ﴾ أي: وخلق الجاعلين لله شركاء، معناه: وإن علموا أنّ الله خالقهم دون الجن، ولم يمنعهم علمهم أن يتخذوا من لا يخلق شريكاً للخالق، وقيل: الضمير لـ ﴿الْجِنِّ﴾.

﴿وَحَرَقُوا لَهُ﴾ أي: واختلقوا لله ﴿بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾، فإنّ المشركين قالوا: الملائكة بنات الله، وقال أهل الكتابين: ﴿عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ﴾ و﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٢). يقال: خلق الإفك واختلقه وخرقه واخترقه بمعنى. وقرئ: وَحَرَقُوا - بالتشديد - للتكثير.

﴿يَعْيِرُ عَلَيْهِمُ﴾ من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه، ولكن جهلاً منهم بعظمة الله تعالى.

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: هو مبدعها ومنشئها ابتداء لا من شيء ولا على مثال سبق، ويجوز أن يكون مبتدأ، وخبره ﴿أَنَّهُ يَكُونُ لَهُ. وَلَدٌ﴾، وقيل: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ﴾ من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، كقولك: فلان بديع الشعر، أي: بديع شعره؛ أو هو بديع في السماوات والأرض كقولك: فلان ثبت الغدر، أي: ثابت فيه، والمعنى: هو عديم النظير والمثل فيها.

﴿أَنَّهُ يَكُونُ لَهُ. وَلَدٌ﴾ أي: من أين يكون له ولد ولا يستقيم أن يوصف بالولادة، لأنّ الولادة من صفات الأجسام، وصانع الأجسام ليس بجسم حتى يكون والدًا، ولأنّ الولادة لا تكون إلا بين زوجين ولا يصح أن يكون له صاحبة تزواجه.

(١) عن الكلبي. معالم التنزيل ج ١: ٣٢٦.

(٢) التوبة: ٣٠.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومن كان بهذه الصفة فهو غني عن كل

شيء.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى الموصوف بالصفات المتقدمة، وهو مبتدأ وما بعده

أخبار مترادفة له، وهي: ﴿اللَّهُ﴾، ﴿رَبُّكُمْ﴾، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، ﴿خَلَّاقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: ذلکم الجامع لهذه الصفات ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ لأن من استجمعت له هذه الصفات حقّت له العبادة.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي: حفيظ مدبّر، ولكل شيء من الأرزاق

والآجال مالك.

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ البصر: الجوهر اللطيف الذي به تدرك المبصرات،

والمعنى: إنّه متعال أن يكون مبصراً في ذاته، فالأبصار لا تدركه، لأنّها إنّما تدرك ما كان في جهة أصلاً أو تابعاً كالأجسام والألوان.

﴿وَهُوَ يَدْرِكُ الْبَصَرَ﴾ وهو للطف إدراكه للمدركات، يدرك تلك الجواهر

اللطيفة التي ربّوها الله في حاسة النظر وهي الأبصار ولا يدركها مدرك سواه.

﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ يلطف عن أن تدركه الأبصار ﴿الْخَبِيرُ﴾ بكل لطيف،

فهو يدرك الأبصار ولا تلتطف عن إدراكه. وهذا من باب اللف والنشر. وروي عن الرضا عليه السلام: ((إنّما الأبصار التي في القلوب))^(١)، أي: لا يقع عليه الأوهام ولا يدرك كيف هو.

فَدَجَاءَكُمْ بِصَآئِرٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَن عَمِيَ فَعَلَيْهَا

وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴿١٠٠﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا

دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

البصيرة: البينة والدلالة التي يستبصر بها الشيء على ما هو به، وهي نور القلب كما أنَّ البصر نور العين، أي: ﴿جَاءَكُمْ﴾ من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر.

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ الحق وآمن ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ أبصر ولها نظر ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عنه فعلى نفسه عمى وإياها ضر.

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾ أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها، إنما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم.

﴿وَلِيَقُولُوا﴾ جوابه مخدوف تقديره: وليقولوا درست نصرّفها.

ومعنى ﴿دَرَسْتَ﴾: قرأت وتعلّمت ذلك من اليهود، وقرئ: دارست، أي: دارست أهل الكتاب وذاكرتهم؛ ودَرَسْتَ أي: عفت هذه الآيات؛ وفي قراءة عبد الله: درس، أي: درس محمد.

﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ الفرق بين هذا اللام واللام في ﴿لِيَقُولُوا﴾ أنَّ هذا حقيقة وذاك مجاز، وذلك لأنَّ الآيات صرّفت للتبيين ولم تصرّف ليقولوا دارست، ولكن لما حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به. والضمير في ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ للآيات لأنها في معنى القرآن، أو يعود إلى القرآن وإن لم يجر له ذكر لكونه معلوماً، أو إلى الكتاب المقدّر في قوله: درست ودارست.

أَتَبِعَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠١﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا

وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنْشِئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ اعتراض أكد به إيجاب اتباع الوحي.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لا تخالطهم ولا تلاطفهم.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ لا ضطرهم إلى الإيثار قسراً وإجبارة.

﴿وَلَا تَسُبُّوا﴾ آلهة ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾ أي:

ظلماً وعدواناً. كان المسلمون يستبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سبباً لسب الله. وفيه دلالة على أن النهي عن المنكر - الذي هو من أجل الطاعات - إذا علم أنه يؤدي إلى زيادة الشر ينقلب معصية، فصار النهي عن ذلك النهي من جملة الواجبات.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: على جهالة بالله.

﴿كَذَلِكَ زَيْنًا﴾ أي: مثل ذلك التزيين زيننا ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من أمم الكفار

﴿عَمَلُهُمْ﴾ أي: خليئناهم وما عملوا ولم نمنعهم حتى حسن عندهم عملهم السيئ.

﴿فَيُنْشِئُهُمْ﴾ فيؤنخهم عليه ويعاتبهم ويعاقبهم.

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾
وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

أي: حلفوا ﴿بِاللَّهِ﴾ مجذبن مجتهدين ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ من الآيات التي

اقترحوها ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وهو قادر عليها، ولكنه لا ينزلها إلا على مقتضى الحكمة، أو إنها الآيات عند الله لا عندي فكيف آتيكم بها.

﴿وَمَا يَشْعُرُكُمْ﴾ أي: وما يدريكم أن الآية التي تقترحونها ﴿إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها، يعني: أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تدرّون بذلك. وذلك أنّ المؤمنين كانوا يطعمون في إيمانهم عند مجيء تلك الآية ويتمنون مجيئها، فأخبرهم سبحانه أنهم لا يدرون ما سبق علمه به من أنهم لا يؤمنون بها، ألا ترى إلى قوله: ﴿كَمَا لَوْ يُؤْمِنُ أَهْلُ أَوَّلِ مَرَّةٍ﴾.

وقيل: إنّ ﴿أَنهَآ﴾ بمعنى لعلها^(١) من قول العرب: إئت السوق أنك تشتري لحماً، أي: لعلك، ويقوّيها قراءة أبي: لعلها إذا جاءتهم لا يؤمنون، وقرئ: إنها - بالكسر - على أنّ الكلام قد تم قبله. والمعنى: وما يشعركم ما يكون منهم، ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال: إنها إذا جاءت لا يؤمنون بها البتة. ومنهم من جعل (لا) مزيدة في قراءة الفتح.

﴿وَنَقَلَبْ أَفْئِدَهُمْ... وَنَذَرُهُمْ﴾ عطف على ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ داخل في حكم ﴿وَمَا يَشْعُرُكُمْ﴾، بمعنى: وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم أنّنا نقَلَبْ أَفْئِدَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ أي: نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا أولاً، لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعاً على قلوبهم، وما يشعركم أنّنا نذرهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ أي: نخليهم وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه.

وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا ۖ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِنَصْغِي إِلَيْهِ أَفَعِدَّةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا خَيْرَةٌ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا﴾ يشهدون لنبينا بالرسالة، وأحيينا ﴿الْمَوْتَى﴾ حتى يشهدوا له، وهذا كقولهم: ﴿لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَكَيْنَا﴾^(١)، ﴿فَأَتَوْا بِآيَاتِنَا﴾^(٢). ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ كقولهم: ﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾^(٣)، ومعنى قوله: ﴿قُبُلًا﴾ كفلاء بصحة ما بشرنا به وأنذرنا، أو جماعات، أو مقابلة، وقرئ: قبلاً، أي: عياناً.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ مشية إكراه وقسر.

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ فيقسمون بالله جهد أيانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات، أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أنَّ هؤلاء لا يؤمنون طوعاً ولو أتوا بكل آية.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ وكما خلينا بينك وبين أعدائك، كذلك فعلنا بمن قبلك من الأنبياء وأعدائهم، لم نمنعهم عن العداوة لما فيه من الامتحان

(١) الفرقان: ٢١.

(٢) الدخان: ٣٦.

(٣) الإسراء: ٩٢.

الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والأجر.

و﴿شَيْطَانٍ﴾ بدل من ﴿عَدُوًّا﴾، أو هما مفعولا ﴿جَعَلْنَا﴾.

و﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس، وبعض الجن إلى بعض، وبعض الإنس إلى بعض ﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾ ما يزيته من القول والإغراء على المعاصي ويموّهه.

﴿عُرُورًا﴾ أخذاً على غرة وخدعاً.

﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ الله ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: ما عادوك، أو ما أوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول بأن يكفهم عنه اضطراراً.

﴿وَلَيَصْعَقَنَّ﴾ جوابه محذوف تقديره: وليكون ذلك الإصغاء ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ على أن اللام لام الصيرورة، والضمير في ﴿لَيْتِهِ﴾ وفي ﴿فَعَلُوهُ﴾ واحد، أي: ولتميل إلى ما ذكر من عداوة الأنبياء ووسوسة الشياطين ﴿أَفَعِدَّةٌ﴾ الكفار ﴿وَلَيَرْضَوْنَهُ﴾ لأنفسهم ﴿وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ من الآثام.

أَفَعِيرَ اللَّهِ أَتَبَعِيَ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٣﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِنَا وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٤﴾

أي: أطلب غير الله حاكماً يحكم بيني وبينكم، ويميّز الحق منا من المبطل. ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ﴾ المعجز ﴿مُفَصَّلًا﴾ مبيناً فيه الحلال والحرام والكفر والإيمان، والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء.

﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة والإنجيل ﴿يَعْلَمُونَ﴾ أن القرآن

﴿مُنْزَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ هو من باب التهيج والإلهاب كقوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١)، أي: فلا تشكَّن في أنَّ أهل الكتاب يعلمون أنَّه منزل بالحق وإن جحدته أكثرهم، ويجوز أن يكون ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ خطاباً لكل أحد، على معنى أنَّه إذا تظاهرت الحجج على صحته فلا ينبغي أن يمتري فيه أحد.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: حجة ربك وأمره ونهيه ووعدته ووعدته ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾، وقيل: هي القرآن^(٢).

﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ أي: لا أحد يبدل شيئاً من ذلك بما هو أصدق وأعدل.

﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ نصب على الحال. وقرئ: كلمات ربك.

وَأَن تَطْعَ أَكْثَرُ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٧﴾ إِنَّا رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٨﴾

أي: ﴿وَأَن تَطْعَ أَكْثَرُ﴾ الناس أضلوك، لأنَّ الأكثر في الغالب يتبعون الأهواء، ثم قال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ وهو ظنهم أنَّ آباءهم كانوا محقِّين فهم يقلدونها. وفيه: أنَّه لا عبرة في معرفة الحق بالكثرة وإنَّها الاعتبار بالحجة.

﴿يَخْرُصُونَ﴾ يقدرون أنَّهم على شيء، أو يكذبون.

﴿مَن يَضِلُّ﴾ يجوز أن يكون استفهاماً فيكون تعليقاً، ويجوز أن يكون

(١) الأنعام: ١٤.

(٢) تفسير الطبري ج ٨: ٧.

منصوباً بفعل مضمر يدلّ عليه قوله: ﴿أَعْلَمُ﴾ لأنّ (أَفْعَلْ مِنْ كَذَا) لا يتعدّى إلى المفعول به، ويجوز أن يكون على حذف الباء ليقابل قوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

فَكُلُّوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ يَسَائِتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَهَرَ الْإِنْتَرِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنْتَرِ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾

﴿فَكُلُّوا﴾ مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحلّون الحرام ويحرّمون الحلال، وذلك أنّهم قالوا للمسلمين: أأأكلون ما قتلتم أنتم ولا تأكلون ما قتل ربكم؟! فقيل: ﴿فَكُلُّوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره أو مات حتف أنفه، وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى به (بسم الله).

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾ [وأي شيء عرض] ^(١) لكم في أن لا تأكلوا (وقد فصل لكم ما حرّم عليكم) مما لم يحرم على لسان الرسول. وقرئ: ﴿فَصَلَّ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ على البناء للفاعل، وهو الله عزّ وجل.

﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ مما حرّم عليكم فإنه يحلّ لكم في حال الضرورة. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ﴾ فيحرّمون ويحلّون ﴿بِأَهْوَاءِهِمْ﴾ وشهواتهم. ومن قرأ بالضم أراد يضلّون أشياعهم.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بغير تعلّق بشرع.

﴿وَذَرُوا ظَهَرَ الْإِنْتَرِ وَبَاطِنَهُ﴾ أي: ما أعلتكم منه وما أسررتكم، وقيل:

ما عملتم بجوارحكم وما نويتم بقلوبكم^(١)، وقيل: الظاهر الزنا والباطن اتخاذ الأخدان^(٢).

﴿يَكْسِبُونَ الْإِنَّم﴾ يرتكبون القبيح. والاقتراف: الاكتساب.

وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَاءَهُمْ لِيُجَدِّدُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الضمير يرجع إلى مصدر الفعل، أي: وإن الأكل منه لفسق، أو إلى ﴿مَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ على: وإن أكله لفسق. وفيه دلالة على تحريم ذبائح أهل الكتاب أيضاً، لأنه لا يصح منهم القصد إلى ذكر اسم الله تعالى، وأما المسلم فإذا لم يسم الله تعالى متعمداً لم تحل ذبيحته، وإذا كان ناسياً حل أكلها.

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾ أي: يوسوسون ﴿إِلَى أَوْلِيَاءِهِمْ﴾ من المشركين ﴿لِيُجَدِّدُواكُمْ﴾ بقولهم: ولا تأكلون مما قتله الله.

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ لأن من اتبع غير الله في دينه فقد أشرك به. ثم مثل سبحانه من هداه بعد الضلالة بـ ﴿مَن كَانَ مِيتًا﴾ فأحياه وجعل ﴿لَهُ نُورًا﴾ يستضيء به بين ﴿النَّاسِ﴾، ومن بقي على الضلالة بالخاطب في الظلمات لا يخرج منها، وقوله: ﴿كَمَن مَّثَلُهُ﴾ معناه: كمن صفته هذه وهي قوله: ﴿فِي﴾

(١) عن مجاهد. معالم التنزيل ج ١: ٣٣٠.

(٢) عن السدي. تفسير الطبري ج ٨: ١١.

الظُّلُمَتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴿[بمعنى: هو في الظلمات ليس بخارج]﴾^(١)، كقوله: ﴿مَثَلُ
الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ﴾^(٢) أي: صفتها هذه وهي قوله: فيها أنهار.

﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ﴾ عن الحسن: (زيته - والله - لهم الشيطان
وأنفسهم)^(٣).

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا
فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا
جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ
عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

المعنى: خليناهم وشأنهم ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ ولم نكفهم عن المكر،
وخصّ الأكابر لأنهم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس، وهو كقوله:
﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾^(٤) تقول: هو أكبر قومه، وهم أكابر قومهم.

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لأن مكرهم يحيق بهم، روي: أن أبا جهل
قال: زاحنا بني عبد مناف في الشرف، حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي
يوحى إليه، والله لا نرضى به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحى كما يأتيه فنزلت^(٥).

(١) ساقطة من ب.

(٢) محمد: ١٥.

(٣) التبيان ج ٤: ٢٨١.

(٤) الإسراء: ١٦.

(٥) عن مقاتل. معالم التنزيل ج ١: ٣٣١.

ونحوها قوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾^(١).

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ﴾ كلام مستأنف للإنكار عليهم، أي: إن الله لا يصطفي للرسالة إلا من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بموضعها.

﴿سَيُصِيبُ﴾ أكابر الذين أجروا ﴿صَغَارًا﴾ وقمأة^(٢) بعد كبرهم وعظمتهم ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الدارين.

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ
كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ أي: يلطف به ويوفقه، ولا يفعل ذلك إلا بمن يعلم أنَّ له لطفًا ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ بأن يثبت عزمه عليه ويقوي دواعيه على التمسك به، لطفًا له بذلك ومتأ عليه حتى يحب الدخول فيه وتسكن نفسه إليه.

﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ أي: يخذله ويخليه وشأنه وهو الذي لا لطف له ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ بأن يمنعه الطافه حتى يقسو قلبه وينبو من قبول الحق، وينسد فلا يدخله الإيمان. وقرئ: حرجاً - بفتح الراء وكسرهما -، فالفتح على الوصف بالمصدر.

﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ أي: الخذلان ومنع التوفيق، وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب، أو أراد الفعل الذي يؤدي إلى الرجس وهو العذاب.

(١) المدثر: ٥٢.

(٢) قمؤ الرجل صار قمئاً: هو الصغير الذليل. (الصحاح: مادة قمأ)

وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٣٦﴾
لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٧﴾ وَيَوْمَ
يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنُّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ
أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا
الَّذِي أَجَلْتَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ
رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٨﴾

﴿وَهَذَا﴾ طريق ﴿رَبِّكَ﴾ وعادته في التوفيق والخذلان.

﴿مُسْتَقِيمًا﴾ عادلاً مطرداً لا اعوجاج فيه، وانتصب على أنه حال مؤكدة
نحو قوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾^(١).

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾ أي: للذين تذكروا وعرفوا الحق دار الله يعني الجنة،
أضافها إلى نفسه تعظيماً لها، أو دار السلامة من كل آفة وبلية.

﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: هي مضمونة لهم عند ربهم يوصلهم إليها لا محالة، كما
تقول: لفلان عندي حق لا ينسى.

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ مواليتهم ومحبتهم.

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: بسبب أعمالهم، أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون.

﴿وَيَوْمَ﴾ نحشرهم، منصوب بمحذوف، أي: واذكر يوم نحشرهم

﴿جَمِيعًا﴾ قلنا: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ﴾، أو يوم نحشرهم وقلنا: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ﴾
كان ما لا يوصف لفظاعته، والجن هم الشياطين.

﴿قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ أضللتهم منهم كثيراً، كما يقال: استكثر فلان

من الأشياء.

﴿وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ الذين اتبعوهم وأطاعوهم: ﴿رَبَّنَا أَسْتَغْنِ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أي: انتفع الإنس بالشياطين حيث دلّوهم على الشهوات وما يوصل إليها، وانتفع الجن بالإنس حيث أطاعوهم.

﴿وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ يعنون يوم البعث.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى لهم: ﴿النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ﴾ أي: مقامكم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مؤبدين ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من أوقات حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في محاسبتهم. وقيل: إن الاستثناء لغير الكفار من عصاة المسلمين، فإنهم في مشيئة الله إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنه، أو لمن آمن من الكفار.

وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِبَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمَعَشَرِ
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي
وَسُنْدُرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ
الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾

أي: مثل ذلك ﴿نُؤَيِّ بِبَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضاً، كما فعل الشياطين وغواة الإنس.

﴿يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ اختلف في أن الجن هل بعث إليهم رسل منهم؟ فقال بعضهم: بعث إليهم رسول من جنسهم، وتعلّق بظاهر هذه الآية^(١)، وقال الآخرون: الرسل من الإنس خاصة^(٢). وإثنا قيل: ﴿رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ لأنه لما جمع

(١) عن الضحاك. تفسير الطبري ج ٨: ٢٧.

(٢) عن ابن جريج. تفسير الطبري ج ٨: ٢٧.

الثقلان في الخطاب صح ذلك وإن كان من أحدهما، كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(١) وإن كان اللؤلؤ يخرج من الملح دون العذب، وعن ابن عباس: (إنما بعث الرسول من الإنس، ثم كان هو يرسل إلى الجن رسولا منهم)^(٢).

﴿يَقْضُونَ﴾ أي: يتلون ﴿عَلَيْكُمْ﴾ حججي ودلائلي ويخوفونكم ﴿لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾.

﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ هذا حكاية لتصديقهم وإيجابهم قوله، وإقرارهم بأن حجة الله لازمة لهم.

ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾
وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا
أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِكُمْ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنْ مَا
تُوعِدُونَ لَا تَأْتِي وَمَا أَنْشَأْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا
عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ
عَنْقَبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من بعثه الرسل إليهم، وتقديره: الأمر ذلك ﴿أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ﴾ تعليل، أي: الأمر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك ﴿مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ أي: بسبب ظلم أقدموا عليه، أو ظالماً على معنى: إنه لو أهلكهم من غير تنبيه برسول وكتاب لكان ظالماً، وهو متعال عن الظلم.

(١) الرحمن: ٢٢.

(٢) تفسير الطبري ج ٨: ٢٧.

﴿وَلِكُلِّ﴾ من المكلفين ﴿دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ أي: مراتب من أعمالهم على حسب ما يستحقونه، وقيل: أراد درجات ودركات من جزاء أعمالهم فغلب منازل أهل الجنة.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ﴾ أي: ساه ﴿عَمَّا يَصْمُون﴾ فلا يخفى عليه مقاديره وما يستحق عليه.

﴿وَرَبُّكَ أَلْفِيٌّ﴾ عن عباده وعن عبادتهم.

﴿ذُو الرِّحْمَةِ﴾ يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع العظيمة التي لا يحسن إيصالهم إليها إلا بالاستحقاق لاقترانها بالتعظيم والإجلال.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها العصاة.

﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَأْ﴾ أي: وينشئ من بعد إهلاككم وإذهابكم خلقاً غيركم يطيعونه يكونون خلفاء لكم ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ قَوْمًا آخَرِينَ﴾ تقدموكم.

﴿إِنَّ مَأْوِعَدُوْنَ﴾ من الحشر والثواب والعقاب وتفاوت أهل الجنة والنار في الدرجات والدركات ﴿لَآبَ﴾ لا محالة ﴿وَمَا أَنْتُمْ﴾ بخارجين عن ملكه.

﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ المكانة تكون مصدراً لـ (مكن): إذا تمكّن أبلغ التمكّن، وتكون بمعنى المكان يقال: مكان ومكانة ومقام ومقامة، أي: اعملوا على تمكّنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم، أو اعملوا على حالكم التي أنتم عليها.

﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على مكانتي التي أنا عليها. والمعنى: اثبتوا على كفركم

وعداوتكم فإنّي ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أيّنا تكون له العاقبة المحمودة، وهذا نحو قوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(١) في أنّه على طريق التهديد والتسجيل على المأمور بأنّه لا يأتي منه إلا الشر، فكانّه واجب عليه وهو مأمور به ليس له أن يعمل بخلافه.

﴿مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِبَةُ الدَّارِ﴾ إن كان بمعنى (أي) فمحلّه الرفع ويكون تعليقاً، وإن كان بمعنى (الذي) فمحلّه النصب.

و﴿عَقِبَةُ الدَّارِ﴾ العاقبة الحسنی التي خلق الله هذه الدار لها، وهو وعيد.

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا
فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ
لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ
يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١١٣﴾

يعني: كفار مكة وأسلافهم، كانوا يعينون أشياء ﴿مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ﴾ لله وأشياء منها لآلهتهم، فإذا رأوا ما جعلوه لله نامياً زاكياً رجعوا فجعلوه للآلهة، وإذا زكا ما جعلوه للآلهة تركوه لها، واعتلوا لذلك بأنّ الله غني.

وقوله: ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ فيه أنّ الله هو الذي ذراه وزكاه، فكان أولى بأن يجعل له الزاكي.

وقرئ: بزعمهم - بضم الزاي وفتحها - أي: زعموا أنّه لله، والله لم يأمرهم بذلك.

وسمى الأوثان شركاءهم لأنهم أشركوهم في أموالهم وفي أنعامهم.

﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ في إيثار آلهتهم على الله، وعملهم على ما لم يشرع لهم.

وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَّاؤُهُمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْسِنُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾
وَقَالُوا هَذِهِ أَمْعَدُ وَحَرَّتْ حِجْرًا لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَرِيعِهِمْ وَأَنْعَدُ حَرِّمَتْ طَهُورُهَا وَأَنْعَدُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَقْرَاءَ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾

أي: ومثل ذلك التزيين الذي هو تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله وآلهتهم ﴿زُيِّنَ﴾ لهم ﴿شُرَكَّاؤُهُمْ﴾ من الشياطين، أو من سدنة الأصنام ﴿قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ بالوآد^(١) خيفة العيلة أو العار. وقرئ: (زُيِّنَ) على البناء للمفعول الذي هو قتل أولادهم - بالنصب - شركائهم - بالجر - على إضافة قتل إلى شركائهم، والفصل بينهما بغير الظرف كما جاء في الشعر:

فَرَجَجْتُهَا بِمَرْجَةٍ زَجَّ الْقُلُوصِ أَبِي مَرَادَهُ^(٢)

والتقدير: زُيِّنَ لهم أن قتل شركائهم أولادهم.

﴿لِيُرْذُوهُمْ﴾ أي: ليهلكوهم بالإغواء.

﴿وَلِيَلْسِنُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ وليخلطوه عليهم ويشبهوه، ودينهم هو ما كانوا عليه من دين إسماعيل، وقيل: دينهم الذي كان يجب أن يكونوا عليه.
﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ مشيئة قسر ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: ما فعل المشركون ما زين

(١) وأد ابنته وأدأ: أي دفنها في القبر وهي حية. (الصحاح: مادة وأد)

(٢) لم أعثر على قائله في المصادر المتوفرة.

لهم من القتل.

﴿فَدَرَّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي: وافترأؤهم أو ما يفترونه من الإفك.

﴿حَجَرٌ﴾ فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن بمعنى المذبوح والمطحون، ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، لأنَّ حكمه حكم الأسماء غير الصفات، وعن ابن مسعود وأبي: حرج، وهو من التضيق.

وكانوا إذا عتوا شيئاً من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا: ﴿لَا يَطْعُمَهَا إِلَّا مَنْ نَشَأَ﴾ يعنون خدام الأصنام والرجال دون النساء.

﴿رَزَعِيهِمْ﴾ من غير حجة لهم فيه.

﴿وَأَنفَعُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ هي البحائر والسوائب والحوامي.

﴿وَأَنفَعُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ في الذبح والنحر، وإنَّما يذكرون عليها أسماء الأصنام، وقيل: لا يحجون عليها ولا يلتون على ظهورها^(١). والمعنى: إنَّهم قسموا أنعامهم فقالوا: هذه أنعام حجر، وهذه أنعام محرمة الظهور، وهذه أنعام لا يذكر عليها اسم الله، فجعلوها أجناساً بدعواهم الباطلة، ونسبوا ذلك التقسيم إلى الله.

﴿أَفَرَأَى عَلَيْهِ﴾ أي: فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء، فهو مفعول له أو

حال.

وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا
وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ
سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَسِرَ

الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ
أَفِرَّاءَ عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

كانوا يقولون في أجنة البحائر والسواحب: إن ما ولد منها حيأ فهو خالص
للذكور، وما ولد منها ميتاً اشترك فيه الذكور والإناث.

وَأَنْتَ ﴿خَالِصَةٌ﴾ للحمل على المعنى، لِأَنَّ ﴿مَا﴾ في معنى الأجنة، وذكر
﴿مُحَرَّمٌ﴾ للحمل على اللفظ. ويجوز أن يكون التاء للمبالغة كالتاء في رواية الشعر،
وأن يكون مصدراً وقع موقع الخالص كالعافية أي: ذو خالصة، ويدل عليه قراءة
من قرأ: خالصة - بالنصب - على أن قوله: ﴿لَذِكُورُنَا﴾ هو الخبر و﴿خَالِصَةٌ﴾
مصدر مؤكد.

﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً﴾ وإن يكن ما في بطونها ميتة، وقرئ: وإن تكن، على:
وإن تكن الأجنة ميتة. وقرئ: وإن تكن - بالتأنيث - ميتة - بالرفع - على كان التامة.
وذكر الضمير في قوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ [لأن الميتة لكل ميت ذكراً أو
أنثى، فكأنه قيل: وإن يكن ميت فهم فيه شركاء] ^(١).

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ أي: جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل
والتحريم من قوله: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾ ^(٢)، ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ ^(٣).
﴿سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: جهلاً وخفة حلم وذهاباً عن الصواب، جهلوا أن
الله هو رازق أولادهم لا هم. وقرئ: قتلوا - بالتشديد ..

(١) ساقطة من أ.

(٢) النحل: ٦٢.

(٣) النحل: ١١٦.

﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمْ﴾ من البحائر والسوائب وغيرهما.

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ
وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاتُ مُتَشَبِّهًا
وَعَيْرَ مُتَشَبِّهٍ كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ
حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٦١﴾

ثم ذكر سبحانه إنشاء الأشياء فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾ من الكروم ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ مسموكات مرفوعات بالدعائم.

﴿وَعَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ متروكات على وجه الأرض لم تعرش.

﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ﴾ أي: وأنشأ النخل والزرع.

﴿مُخْتَلِفًا أُكْلُهُمُ﴾ في اللون والطعم والحجم والرائحة [وقرى: أكله بالضم والسكون]^(١) وهو ثمره الذي يؤكل. والضمير للنخل، والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفاً عليه، و﴿مُخْتَلِفًا﴾ حال مقدرة، لأنه لم يكن وقت الإنشاء كذلك، وأنشأ الزيتون ﴿وَالرُّمَاتُ مُتَشَبِّهًا﴾ في الطعم واللون والحجم ﴿وَعَيْرَ مُتَشَبِّهٍ﴾ فيها.

وإنما قال: ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ ليعلم أن وقت إباحة الأكل ﴿مِنْ ثَمَرِهِ﴾ وقت الإطلاع، ولا يتوهم أنه غير مباح أكله قبل وقت الإيناع.

﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ وهو ما تيسر إعطاؤه المساكين من الضغث بعد الضغث والحفنة بعد الحفنة وهو المروي عنهم^(٢)، وقيل: إنه الزكاة: العشر

(١) ساقطة من أ، ب، ط.

(٢) ينظر: الوسائل ج ٦ باب ١٣، ١٤ من أبواب زكاة الغلات.

أو نصف العشر^(١)، أي: لا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الإيتاء.

﴿وَلَا تُشْرِقُوا﴾ بأن تصدقوا بالجميع ولا تبقوا للعيال شيئاً.

وَمِنَ الْأَنْعَمِ حَمُولَةٌ وَفَرَشٌ كُلُّوا مِنَّا زَرْفَكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١١٢﴾ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الصَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَّذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَرِ الْأُنثَيْنِ أَمَا اسْتَمَلْتِ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ نَبِيُونِي يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَّذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَرِ الْأُنثَيْنِ أَمَا اسْتَمَلْتِ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١٤﴾

عطف ﴿حَمُولَةٌ وَفَرَشٌ﴾ على ﴿جَنَاتٍ﴾. أي: وأنشأ ﴿مِثْلًا لَّأَنْعَمٍ﴾ ما تحمل عليه الأثقال وما يفرش للذبح، أو ينسج من وبره وصفه وشعره الفرش، وقيل: الحمولة: الكبار التي تصلح للحمل، والفرش: الصغار لدنوها من الأرض فهي كالفرش المفروش عليها^(٢).

﴿ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾ بدل من ﴿حَمُولَةٌ وَفَرَشٌ﴾.

﴿اثْنَيْنِ﴾ أي: زوجين اثنين، يريد الذكر والأنثى كالكبش والنعجة، والتيس والعنز، والجمال والناقة، والثور والبقرة، فإن الواحد يسمى فرداً إذا كان وحده، وإذا كان معه غيره من جنسه فهما زوجان، يدل عليه قوله: ﴿خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٨: ٤٠.

(٢) عن ابن مسعود وغيره. تفسير الطبري ج ٨: ٤٦.

وَالْأُنْثَى ﴿١﴾ وقوله: ﴿ثَمَنِيَّةَ أَرْوَجَ﴾.

ثم فسرهما بقوله: ﴿وَمِنَ الصَّائِنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ و﴿مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾. والضأن والمعز جمع ضائن وماعز.

والهمزة في ﴿الذَّكَرَيْنِ﴾ للإنكار، والمراد بالذكرين: الذكر من الضأن ومن المعز، وبالأثنين: الأنثى من الضأن ومن المعز. والمعنى: إنكار أن يحرم الله من جنسي الغنم - ضأنها ومعزها - شيئاً من نوعي ذكورها وإناثها، ولا مما تحمل إناث الجنسين.

وكذلك القول في ﴿الذَّكَرَيْنِ﴾ من جنسي الإبل والبقر و﴿الْأُنْثَيَيْنِ﴾ منهما وما تحمل إناثها. وذلك أنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة، وإناثها تارة، وأولادها كيفما كانت ذكراً أو إناثاً أو مختلطة تارة، وكانوا يقولون: قد حرمها الله، فأنكر ذلك عليهم.

﴿نَبْئُونِي بِعِلْمٍ﴾ أخبروني بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرّمتم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنّ الله حرّمه.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ بل أكنتم شهداء حين أمركم ربكم بهذا التحريم؟! ومعناه: أعرفتم توصية الله به مشاهدين، لأنكم لا تؤمنون بالرسول وتقولون: إنّ الله حرّم هذا الذي تحرّمونه؟!.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فنسب إليه تحريم ما لم يحرم ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ﴾ وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بخر البحائر وسيّب السوائب.

فقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾ تمامه عند قوله: ﴿وَصَلَّيْكُمْ اللَّهُ بِهِذَا﴾.
وقوله: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ إلى قوله: ﴿الْمُشْرِفِينَ﴾ اعتراض، وكذلك قوله:
﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ و﴿تَتَّقُونِي يَعْلَمَ﴾ إلى تمام الآيتين. والاعتراضات
لتأكيد التحليل والاحتجاج على من ذهب إلى التحريم.

قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ
يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ
فَسَقًا أَهْلَ لَعْنٍ اللَّهُ بِهِ ؕ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾

ثم أخذ في بيان المحرمات، وقوله: ﴿فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ إيذان بأن التحريم إنما
يثبت بوحي من الله لا بما تهواه النفوس.

﴿مُحَرَّمًا﴾ أي: طعاماً محرماً من المطاعم التي حرمتها.
﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ أي: إلا أن يكون الشيء المحرم ميتة.
﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ مصبوباً سائلاً كالدم في العروق لا كالكد أو المختلط
باللحم لا يمكن تخليصه منه.

﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ أي: نجس.
﴿أَوْ فَسَقًا﴾ عطف على المنصوب قبله و﴿أَهْلَ﴾ صفة له.
﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ فمن دعت الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات.
﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على مضطر مثله ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي: متجاوز قدر حاجته من
تناوله.

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ
وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا
أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا
لَصَدِيقُونَ ﴿١٦٦﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسْعَوْ
وَلَا تُرْذِلُوا أَسْمَاءَ عَنِ الْقَوْرِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٦٧﴾

ذو الظفر: كل ماله إصبع من دابة أو طائر ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ هو كقولك: من زيد أخذت ماله، تريد بالإضافة زيادة الربط، والمعنى: إنه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه، ولم يحرم عليهم من البقر والغنم إلا الشحوم الخاصة وهي الثروب وشحوم الكلى.
وقوله: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ معناه: إلا ما اشتمل على الظهر والجنب.

﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ أو ما اشتمل على الأمعاء.

﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ وهو شحم الإلية.

﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿جَزَيْنَهُمْ بِغَيْرِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم ﴿وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ فيما أوعدنا به العصاة، وفي الإخبار عن بغيتهم.
﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ فيما تقول ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسْعَوْ﴾ لا يعجل بالعقوبة، ولا يدفع عذابه إذا جاء وقته.

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا
حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا
بِأَسْنَأْ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا

الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾

هذا إخبار بما سوف يقولونه، ثم لما قالوه قال: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾^(١)، وزعموا أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما حرموه بمشيئة الله وإرادته، ولولا أنه شاء ذلك لم يكن شيء منه، وهذا مذهب المجبرة^(٢) بعينه.

﴿كَذَلِكَ﴾ جاء ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ بالتكذيب المطلق، لأن الله سبحانه ركب في العقول ما دل على علمه بالقباح، وبغناه عنها وبرأته عن مشيئة القبائح وإرادتها، وأخبر أنبيأؤه بذلك، فمن علق وجود الكفر بمشيئته فقد كذب التكذيب كله، وهو تكذيب الله وكتبه ورسله، ونبذ أدلة العقل والسمع وراء ظهره.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك التكذيب الذي صدر من هؤلاء ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا بَاسَنَا﴾ حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم.

﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾ من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾، وهذا من التهكم والشهادة بأن مثل قولهم محال أن يكون له حجة.

(١) الزخرف: ٢٠.

(٢) الجبر: هو نفي الفعل حقيقة من العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والمجبرة أصناف. ينظر: الملل والنحل ج: ١، ١١٢.

﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾ أي: ما تتبعون في قولكم هذا ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾.

﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ تقدرون أن الأمر كما تزعمون، أو تكذبون.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ أي: فإن كان الأمر كما زعمتم أن ما أنتم عليه بمشيئة الله، فله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم، فإنه يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضاً بمشيئة الله.

﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ منكم ومن مخالفكم في الدين، فينبغي أن توالوهم ولا تعادوهم، لأن المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وما هم عليه.

﴿هَلَمْ﴾ يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، وبنو تميم تؤنث وتجمع، والمعنى: هاتوا ﴿شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾ بصحة ما تدعونه من ﴿أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾.

﴿إِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أي: لا تسلّم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم، لأنه إذا سلّم لهم فكأنه شهد مثل شهادتهم وكان واحداً منهم.

قُلْ تَعَالَوْا أَنْتَ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ
نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ
وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

﴿مَا حَرَّمَ﴾ منصوب بـ ﴿أَنْتَ﴾ بمعنى: أتى الذي حرّمه ربكم، أو بـ ﴿حَرَّمَ﴾

بمعنى: أتى أي شيء حرّم ربكم لأن التلاوة من القول.

وأن في ﴿إِلَّا تَشْرِكُوا﴾ مفسرة و(لا) للنهي، وإن جعلت أن الناصبة

للفعل كان ﴿لَا تُشْرِكُوا﴾ بدلاً من ﴿مَا حَرَّمَ﴾، إلا أنَّ القول الأول أوجه ليكون (لا تشركوا)، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ﴾ نواهي، وتنعطف الأوامر عليها وهي قوله: ﴿وَيَا لَوْلَا دَيْنٌ إِحْسَنًا﴾ فَإِنَّ التقدير: وأحسنوا بالوالدين إحساناً ﴿وَأَوْفُوا﴾، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾.

ويموز أن تقف على قوله: ﴿حَرَّمَ رَبِّي﴾ ثم تبدئ فتقول: ﴿عَلَيْكُمْ إِلَّا تُشْرِكُوا﴾ أي: عليكم ترك الإشراك، على أن تكون (أن) الناصبة للفعل.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ مَلَاقٍ﴾ أي: من أجل إملاق وخشيته، وهو الفقر. ﴿الْفَوَاحِشَ﴾ المعاصي والقبائح ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ مثل قوله: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾^(١)، وعن الباقر عليه السلام: ((ما ظهر هو الزنا، وما بطن هو المخالة))^(٢).

وأعاد ذكر النهي عن القتل وإن كان داخلاً في الفواحش تعظيماً لأمره.

﴿وَلَا يَأْتِيَنَّكَ﴾ كالفصاح والقتل على الردة والرجم.

﴿وَالنَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ هي نفس المسلم والمعاهد.

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَقٍّ يَبْلُغُ أَشَدَّهُ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا
قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمُ
وَصَنَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا

(١) الأنعام: ١٢٠.

(٢) التبيان ج ٤: ٣٤١.

فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ
وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

المراد بالقرب التصرف فيه.

﴿وَلَا يَأْتِيهِ أَحْسَنُ﴾ [بالخصلة التي هي أحسن] ^(١) ما يفعل بهال اليتيم، وهي حفظه وتسميره، والمعنى: احفظوه عليه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو بلوغ الحلم وكمال العقل، ثم ادفعوه إليه.

﴿وَالْقِسْطَ﴾ بالتسوية والعدل.

﴿لَا تَكُلْفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وهو ما يسعها ولا تعجز عنه، وإنها أتبع الأمر بإيفاء الكيل والوزن ذلك، لأن مراعاة التعديل فيهما على الحد الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يتعذر، فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه.

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ أي: فقولوا الحق ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ من القائل، أي: من أهل قرابته.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ قرئ بالفتح على تقدير: ولأن هذا صراطي مستقيماً ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾، وهذا على قياس قول سيبويه ^(٢) في نحو قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا﴾ ^(٣) و﴿لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ... فَلْيَعْبُدُوا﴾ ^(٤) فيكون - على هذا - قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ علة للاتباع. وقرئ: وَأَنَّ هَذَا - بالتخفيف - على: وآته هذا صراطي، على أَنَّ (الهاء) ضمير الشأن، وقرئ: وإن - بالكسر -

(١) ساقطة من ج.

(٢) الكتاب ج ٣: ١٢٧.

(٣) الجن: ١٨.

(٤) قريش: ١-٣.

فيكون كأنه قيل: واتبعوا صراطي إنّه مستقيم.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والشبهات.

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ أصله تفرّق، أي: ففترّقكم أيادي سبأ.

﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام، وقرئ: فتفرّق - بإدغام التاء في التاء.. وروي: أنّ النبي ﷺ خطّ خطاً ثم قال: ((هذا سبيل الرشـد، ثم خطّ عن يمينه وعن شماله خطوطاً ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾))^(١).

وعن ابن عباس: (هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب)^(٢).

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا
لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا
كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن
تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَنْ
دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا
أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
فَمَن أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ
يَصْدُقُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدُقُونَ ﴿١٥٧﴾

عطف ﴿ثُمَّ آتَيْنَا﴾ على ﴿وَصَّاكُم بِهِ﴾ [والمعنى: ذلكم وصاكم به]^(٣)

(١) مسند أحمد ج ١: ٤٣٥.

(٢) معالم التنزيل ج ١: ٣٣٨.

(٣) ساقطة من ج.

يابني آدم قديماً وحديثاً، ثم إِنَّا آتَيْنَا ﴿مُوسَىٰ الْكِتَابَ﴾، وقيل: هو عطف على ما تقدم من قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾^(١).

﴿تَمَامًا عَلَىٰ الَّذِي أَحْسَنَ﴾ أي: تماماً للكرامة والنعمة على من كان محسناً صالحاً يريد جنس المحسنين، أو أراد به موسى عليه السلام أي: تتممة للكرامة على [العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما أمر به، أو تماماً على] ^(٢) الذي أحسن موسى من العلم والشرائع، من أحسن الشيء: إذا أجاد معرفته، أي: زيادة على علمه على وجه التتميم.

﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ كراهة أن تقولوا: ﴿إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ﴾ يريدون اليهود والنصارى.

﴿وَإِنْ كُنَّا﴾ هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، أي: وإنه ﴿كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ والهاء ضمير الشأن، والدراسة: القراءة، أي: لم نعرف مثل دراستهم.

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ في المبادرة إلى قبوله والتمسك به، لجودة أذهاننا وثقابة أفهامنا، فإن العرب كانوا يدلون بحدة الذهن وذكاء الحدس، وحفظ أيامهم ووقائعهم وخطبهم وأشعارهم.

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ تبكيت لهم، وهو على قراءة من قرأ: يقولوا - بالياء - على لفظ الغيبة أحسن لما فيه من الالتفات. والمعنى: إن صدقتم فيما كنتم تعدونه من أنفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم، فحذف الشرط.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بعد ما عرف صحتها وصدقها، أو

(١) الأنعام: ٨٤.

(٢) ساقطة من ج.

تَمَكَّنَ مِنْ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ.

﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ الناس فضل وأصل.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ
بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا
إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

أي: ما ينتظر هؤلاء ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾ ملائكة الموت أو العذاب.

﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي: كل آيات ربك بدلالة قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ

رَبِّكَ﴾ يريد آيات القيامة والهلاك الكلي، وبعض الآيات أشراف الساعة كطلوع
الشمس من مغربها وغير ذلك.

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [التي يزول التكليف عندها]^(١).

﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ﴾ أي: لا ينفع الإيمان حينئذ نفساً غير

مقدمة إيمانها من قبل ظهور الآيات، ولا ينفع الكسب للخيرات في الإيمان حينئذ
نفساً غير كاسبة لها ﴿فِي إِيمَانِهَا﴾ من قبل ظهورها. وفي هذا دلالة على أَنَّ كسب
الخير الذي هو عمل الجوارح، غير الإيمان الذي هو عمل القلب، ألا ترى أَنَّهُ
عطف هذا على ذاك، والشيء لا يعطف على نفسه وإنَّما يعطف على غيره.

﴿قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ وعيد وتهديد. وقرئ: تأتِيَهُمُ الملائكة - بالتاء

والياء..

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا
أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٦٦﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ
فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ ﴿١٦٧﴾

﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ بأن جعلوه أدياناً.

﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾ أي: أحزاباً وفرقاً يكفر بعضهم بعضاً، كل فرقة تشيع إماماً لها. وفي الحديث: ((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، كلها في الهاوية إلا واحدة وهي الناجية، وافترت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في الهاوية إلا واحدة وهي الناجية، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في الهاوية إلا واحدة))^(١). وقرئ: فارقوا دينهم، أي: تركوه.

﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي: من السؤال عنهم وعن تفرقهم، وقيل: معناه: إنك على المباحة التامة من الاجتماع معهم في شيء من مذاهبهم الفاسدة.
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ﴾ والحكم بينهم في اختلافهم ﴿إِلَى اللَّهِ﴾.

﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أقيمت الصفة مقام الموصوف، تقديره: عشر حسنات أمثالها، وقرئ: عشر أمثالها - برفعها جميعاً - على الوصف، وهذا أقل ما وعد من الأضعاف، فقد وعد بالواحد سبعمئة، ووعد أضعافاً مضاعفة بغير حساب. ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيئات عدل.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لا ينقص من ثوابهم ولا يزداد على عقابهم.

(١) سنن ابن ماجه ج ٢: ١٣٢٢ ح ٣٩٩٢، أمالي الشيخ الطوسي ج ٢: ١٣٦ عن علي عليه السلام.

قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
 حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ
 وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ
 الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾

﴿دِينًا﴾ بدل من موضع قوله: ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فإنَّ المعنى: هداني
 صراطاً، والقيَمَ فيعمل من قام كالسيد والهيئ، وقرئ: ﴿قِيمًا﴾ وهو مصدر بمعنى
 القيام وصف به.

و﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ عطف بيان، و﴿حَنِيفًا﴾ حال من ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: هداني
 وعزفني ملة إبراهيم في حال حنيفيته.

﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أي: عبادتي وتقربتي كله، وقيل: وذبحي فجمع بين
 الصلاة والذبح^(١)، ونحوه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾^(٢)، وقيل: ومناسك حجِّي^(٣).
 ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ وما آتاه في حال حياتي وأموت عليه من الإيثار والعمل
 الصالح ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خالصة لوجهه.

﴿وَبِذَلِكَ﴾ الإخلاص ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ لأنَّ إسلام كل نبيٍّ متقدِّم
 لإسلام أمته.

قُلْ أَغْيَرِ اللَّهُ أَبْنِيَ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا
 عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا
 كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ

(١) عن سعيد بن جبير وغيره. تفسير الطبري ج ٨: ٨٣.

(٢) الكوثر: ٢.

(٣) عن مقاتل. معالم التنزيل ج ١: ٣٤٠.

بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّسَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِن رَّبَّكَ سَرِيعٌ
الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

هذا جواب عن دعائهم إياه إلى عبادة آلهتهم، والهمزة للإنكار، أي: منكر أن ﴿اتَّبِعْ رَبًّا﴾ غيره ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فكل من دونه مربوب، ليس في الوجود من له الربوبية غيره، ونحوه: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ﴾^(١).

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ جواب عن قولهم: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾^(٢).

﴿وَلَا يُزِرُّ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ معناه: لا تؤخذ نفس آثمة بإثم نفس أخرى. ﴿جَعَلَكُمْ خَلَفًا لِّلْأَرْضِ﴾ يخلف أهل كل عصر أهل العصر الذي قبله، كلما مضى قرن خلفه قرن، يجري ذلك على انتظام واتساق إلى يوم القيامة، وقيل: المراد بذلك أمة نبيتنا محمد ﷺ لأنه خاتم النبيين فخلفت أمته سائر الأمم^(٣).

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ في الشرف والرزق، وقيل: في الصورة والعقل والمال والعمر.

﴿لِّسَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ كيف تشكرون نعمه، وكيف يصنع الشريف بالوضع والغني بالفقر.

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ بمن كفر نعمته ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن قام بشكرها، ووصف العقاب بالسرعة لأن كل ما هو آت قريب.

(١) الزمر: ٦٤.

(٢) العنكبوت: ١٢.

(٣) عن السدي. تفسير الطبري ج ٨: ٨٤.

سورة الأعراف

مكية، مائتان وست آيات كوفي، خمس بصري، عدّ الكوفي ﴿المص﴾ و﴿كما﴾
بَدْأَكُمْ تَعُوذُونَ﴾، وعدّ البصري ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

في حديث أبي: ((من قرأ (سورة الأعراف) جعل الله بينه وبين إبليس ستراً
وكان آدم له شفيعاً يوم القيامة))^(١)، الصادق عليه السلام: ((من قرأها في كل شهر كان يوم
القيامة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فإن قرأها في كل جمعة كان ممن
لا يحاسب يوم القيامة))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَصَّ ① كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ
بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ② اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا
تَتَّبِعُوا دُورِيَّةَ أَهْلِيَاءٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ③

أي: هو ﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ بأمر الله تعالى ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾
أي: من تبليغه، والخرج: الضيق، لأنه عليه السلام كان يخاف تكذيب قومه له وإعراضهم
عن قبول قوله وأذاهم له، فكان يضيق صدره من الأداء ولا ينبسط له، فأمنه الله

(١) الكشف والبيان ج ٤: ٢١٤.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٥.

سبحانه وأمره بترك المبالاة بهم.

﴿لِتُنذِرَ بِهِ﴾ تعلق بـ ﴿أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ أي: أنزل إليك لإني أذكرك به، ﴿وَذَكَّرَ﴾ يحتمل النصب على معنى: لتنذر به وتذكر تذكيراً، فإن الذكرى في معنى التذكير؛ والرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أو عطف على ﴿كَتَبَ﴾؛ والجر للعطف على محلّ (أن تنذر) أي: للإنيذار والذكرى.

﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ﴾ من القرآن والوحي.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ﴾ الضمير لـ ﴿مَا أَنْزَلَ﴾ أي: ولا تتبعوا من دون دين الله دين أوليائكم، أو لـ ﴿رَبِّكُمْ﴾. أي: ولا تتبعوا من دون الله ﴿أَوْلِيَائِهِ﴾، أي: ولا تتولوا من دونه من شياطين الإنس والجن، فيحملوكم على الأهواء والبدع، ويضلوكم عن دين الله وعما أمركم باتباعه، وعن الحسن: (يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة نبيه، والله ما أنزلت آية إلا ويجب أن تعلم فيها أنزلت وما معناها)^(١).

﴿فَلْيَلَا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتذكرون فأدغم، وقرئ: تذكرون - خفيفة الذال بحذف التاء -، وقرئ: يتذكرون - بياء وتاء - أي: يتذكرون تذكرًا قليلاً حيث يتركون دين الله ويتبعون غيره.

وَكَمْ مِّن قَرِيْبٍ أَهْلَكْتَهَا فُجَاءَهَا بِأَسْنَا بَيِّنَةٍ أَوْ هُمْ قَاِيلُونَ ﴿١﴾

فَمَا كَانَ دَعْوَتُهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾

﴿فُجَاءَهَا﴾ أي: فجاء أهلها.

﴿بِأَسْنَا﴾ أي: عذابنا.

﴿بَيِّنَةٍ﴾ مصدر وضع موضع الحال، أي: بائتين أو قائلين. ويجوز أن لا يقدر

حذف المضاف في القرية ويكون الضمير في ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ للقرية، لأن القرية تهلك كما يهلك أهلها، فلا حاجة بنا إلى الإضمار.

وقوله: ﴿أَوْ هُمْ قَاتِلُونَ﴾ لم يحتج فيه إلى الواو، لأن الضمير العائد قد أغنى عنه، ولأنها إذا عطف على حال قبلها يحذف الواو استحقاقاً لاجتماع حرفي عطف، لأن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل. والمعنى: وكم من قرية أردنا إهلاكها فجاءها عذابنا في هذين الوقتين: وقت البيات ووقت القيلولة، لأنها وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيها أشد.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَتُهُمْ﴾ ما كانوا يدعون من دينهم إلا اعترافهم ببطلانه وقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فيما كنا عليه، أو فما كان دعاؤهم ربهم إلا اعترافهم بظلمهم وتحسرهم على ما كان منهم.

و﴿دَعْوَتُهُمْ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، و﴿أَن قَالُوا﴾ رفع لأنه اسمه، ويجوز العكس.

فَلَنَسْتَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ بَعْلَهُمْ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

أي: ﴿فَلَنَسْتَلَنَّ﴾ المرسل ﴿إِلَيْهِمْ﴾ وهم الأمم، نسألهم عما أجابوا به رسلهم.

﴿وَلَنَسْتَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عما أجابوا به وعما عملت أفعالهم فيما جاؤوا به.

﴿فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ﴾ على الرسل والمرسل إليهم ما كان منهم.

﴿بَعْلَهُمْ﴾ أي: عالين بأحوالهم الظاهرة والباطنة ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عنهم

وعما وجد منهم. وأما المعنى في سؤالهم مع علمه بأحوالهم، فالتوبيخ والتقرير عليهم، وازدياد سرور المثابين بالثناء عليهم، وغم المعاقبين بإظهار قبائحهم.

﴿وَالْوِزْنَ يُؤَمِّدُ الْحَقُّ﴾ يعني: وزن الأعمال والتميز بين خفيفها وراجحها. ورفعها على الابتداء و﴿الْحَقُّ﴾ صفته، و﴿يُؤَمِّدُ﴾ خبر المبتدأ، أي: والوزن يوم يسأل الله الأمم ورسلمهم الوزن الحق، أي: العدل. واختلف في كيفية الوزن: فقيل: إنه عبارة عن القضاء الحق والحكم العدل^(١)، وقيل: توزن صحف الأعمال بميزان له كفتان تأكيداً للحجة وإظهاراً للنصفة^(٢).

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ جمع ميزان أو موزون، فمن رجحت أعماله الموزونة التي لها قدر ووزن وهي الحسنات، أو ما توزن به حسناتهم.

﴿عَائِدَتِنَا يَبْظَلُمُونَ﴾ أي: يكذبون بها ظلماً كقوله: ﴿فَظَلَّمُوا بِهَا﴾^(٣).

وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾

﴿مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ جعلنا لكم فيها مكاناً، أو ملكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً﴾ جمع معيشة، وهي ما يعاش به من أنواع الرزق

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٨: ٩١.

(٢) عن ابن عباس وغيره. الدر المنثور ج ٣: ٧٠.

(٣) الأعراف: ١٠٣.

ووجوه النعم والمنافع، أو ما يتوصل به إلى ذلك. والوجه التصريح بالياء، وقرأ بعضهم بالهمزة على التشبيه بصحائف.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي: خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور ﴿ثُمَّ﴾ صورناه بعد ذلك ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.

و(لا) في قوله: ﴿أَلَا تَسْجُدُ﴾ صلة بدليل قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي﴾^(١)، والفائدة في زيادتها تأكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه، كآته قيل: ما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، لأن أمري لك بالسجود قد أوجبه عليك لا بد لك منه، ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ﴾ وعن ابن عباس: (قاس إبليس فأخطأ القياس، وهو أول من قاس)^(٢).

وإنها دخلت الشبهة عليه من حيث ظن أن النار أشرف من الطين، ومن حق الأشرف أن لا يؤمر بالسجود للأدون، فكآته قال: من كان على مثل صفتي يستبعد أن يؤمر بها أمرت به.

قَالَ فَاهْطِ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ
 (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ
 فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَا يَنبَغُهُمْ مِنْ بَيْنِ
 أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ
 (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُومًا مُّذْخَرًا لَّنَّ يَـَٔتِيَكَ مِنْهُمْ لَـَٔمْلَآنٌ جَهَنَّمَ
 مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨)

﴿فَاهْطِ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، أو من السماء، أو من الدرجة أو المنزلة التي

(١) ص: ٧٥.

(٢) معالم التنزيل ج ٢: ٣.

أنت عليها.

﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ﴾ عن أمر الله ﴿فِيهَا﴾.

﴿فَأَخْرَجَ مِنْكَ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ أي: من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه لتكبرك، وذلك أنه لما أظهر الاستكبار ألبس لباس الصغار. وفي الحديث: ((من تكبر وضعه الله، ومن تواضع رفعه الله))^(١).

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أي: أمهلني وأخرني في الأجل.

﴿إِلَى يَوْمٍ يُعْتَوْنَ﴾ أي: بعث الخلق من قبورهم.

﴿قَالَ فِيمَا آغَوَيْتَنِي﴾ أي: بسبب إغوائك إياي، وهو تكليفه إياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة، وعن بعضهم: أمرتني بالسجود فحملتني الأنفة على معصيتك^(٢). فسبب وقوعي في الغي لأجتهدن في إغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم. والباء يتعلّق بفعل القسم المحذوف أي: فسبب إغوائك إياي أقسم.

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: لأعترضن لهم على طريق الإسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على المارة. وانتصب ﴿صِرَاطَكَ﴾ على الظرف.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ﴾ من الجهات الأربع التي يأتي منها العدو في الغالب، وهذا مثل لوسوسته إليهم على كل وجه يقدر عليه، وعن الباقر عليه السلام: ((مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ)): أهوّن عليهم أمر الآخرة، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: أمرهم بجمع الأموال ومنعها عن الحقوق لتبقى لورثتهم، ﴿وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ﴾: أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة، ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾: بتحبيب اللذات إليهم وتغليب الشهوات على

(١) تحف العقول: ٣٢، مسند الشهاب ج ١: ٢١٩.

(٢) عن الاصم. الكشف ج ٢: ٩١.

قلوبهم))^(١).

﴿وَلَا تَحْذَرُ أَكْثَرَهُمْ شُكْرًا﴾ قاله تظنيماً بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾^(٢)، وقيل: سمعه من الملائكة بإخبار الله لهم.

﴿قَالَ أَخْرَجْنَاهَا مِنْهَا مَذْمُومًا﴾ من ذامه: إذا ذمه.

﴿مَذْمُومًا﴾ مطروداً.

﴿لَنْ يَنَالَكَ مِنْهَمْ﴾ اللام فيه موطئة للقسم، و﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ جواب القسم وقد سدّ مسدّد جواب الشرط ﴿مِنْكُمْ﴾ أي: منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾^(٣).

وَيَتَذَكَّرُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ نِيَّتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِرٍ ﴿٢١﴾ فَذَلَّلَهُمَا فَبَغُورًا فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾

أي: وقلنا: ﴿وَتَذَكَّرُ﴾.

﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ أي: تكلم كلاماً خفياً يكرره، ومنه: (وسوس

(١) تفسير القمي ج ١: ٢٢٤ بالمعنى.

(٢) سبأ: ٢٠.

(٣) الأعراف: ١٣٨.

الحَلِيّ^(١)، وهو فعل غير متعدّ، ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال: موسوس بالفتح ولكن موسوس له أو إليه، ومعنى وسوس له: فعل الوسوسة لأجله، ووسوس إليه: ألّفها إليه.

﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾ جعل ذلك غرضاً له ليسوؤهما إذا رأيا ما يؤثران ستره مكشوفاً، وفيه دليل على أنّ كشف العورة لم يزل مستقبحاً في العقول. والموارة: جعل الشيء وراء ما يستره، ولم يهزم الواو المضمومة في (وري) كما هزم واو (أويصل) لأنّ الواو الثانية مدة.

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا﴾ إلا كراهة أن تكونا ﴿مَلَكَتَيْنِ﴾ أو همهما أنّهما إذا أكلا من هذه الشجرة تغيّرت صورتها إلى صورة الملك.

﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ من الذين لا يموتون وبقون في الجنة.

﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ وأقسم لهما ﴿إِنِّي لَكُمَا لَيْنَ النَّاصِحِينَ﴾ أي: المخلصين النصيحة في دعائكما إلى تناول من هذه الشجرة، ولذلك تأكّدت شبهتهما إذ ظنا أنّ أحداً لا يقسم بالله كاذباً.

﴿فَدَلَّيْنَاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ من تدلية الدلو وهو إرسالها في البئر، أي: نزلهما إلى الأكل من الشجرة بما غرّهما به من القسم بالله عزّ وجل. وعن قتادة: (ولأنّنا نخدع المؤمن بالله)^(٢)، وعن ابن عمر: (إنّه كان إذا رأى من عبده حسن صلاة اعتقه، فقيل له: إنهم يخدعونك، فقال: من خدعنا بالله انخدعنا له)^(٣).

﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ وجدا طعمها آخذين في الأكل منها.

(١) الحلي: نبات يخرج على أطرافه مثل السنبيل. (لسان العرب: مادة جمع)

(٢) تفسير الطبري ج ٨: ١٠٥.

(٣) طبقات ابن سعد ج ٤ ق ١: ١٢٣.

﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَ تُهْمَا﴾ ظهرت لهما عوراتهما.

﴿وَطَفِقَا﴾ يقال: طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل.

﴿يَخْصِفَانِ﴾ ورقة فوق ورقة على عوراتهما كما يخصف النعل.

﴿مِنْ وَرَقٍ الْجَنَّةِ﴾ قيل: كان ورق التين^(١).

﴿أَلَزَّ أَنتَهُمَا﴾ عتاب من الله وتنبية على الخطأ حيث لم يحذرا ما حذرهما الله

من عداوة إبليس ومكره.

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَرَّ نَقْفَر لَنَا وَتَرَحَّمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ
مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا
تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾

سميا خطأهما ظلماً لأنفسهما وقالوا: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وإن كان ذلك
تركاً للمندوب عندنا، لأن الأنبياء معصومون منزّهون عن ارتكاب القبائح، على
عادة أولياء الله في استعظام الصغير من الزلات، واستصغار العظيم من الحسنات.
﴿أَهْبِطُوا﴾ الخطاب لآدم وخواء وإبليس.

و﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ في محلّ النصب على الحال، أي: متعادين يعاديها
إبليس ويعاديانه.

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: موضع استقرار، أو استقرار.

﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ وانتفاع بعيش إلى انقضاء آجالكم.

﴿قَالَ﴾ الله سبحانه ﴿فِيهَا﴾ في الأرض ﴿تَحْيَوْنَ﴾ تعيشون ﴿وَفِيهَا﴾

تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿١﴾ عند البعث.

يَبْنِيَّ ءَادَمَ قَدْ أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ بَيْتِكُمْ وَرَيْشًا وَلِبَاسًا
الْتَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢﴾
يَبْنِيَّ ءَادَمَ لَا يَفْنَيْنَاكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ
يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ بَيْتِهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ
حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾

جعل ما في الأرض منزلاً من السماء لأنه ثم قضي وكتب، ومنه: ﴿وَأَنْزَلَ
لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾^(١).

والريش: لباس الزينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته، والمعنى:
﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ لباسين: ﴿لِبَاسًا يُورِي﴾ عوراتكم، ولباساً يزينكم.

﴿وَلِبَاسًا الْتَّقْوَى﴾ وهو الورع والخشية من الله، وهو مبتدأ، وخبره الجملة
التي هي ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾، كأنه قيل: هو خير، لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر
فيما يرجع إلى عود الذكر. وقيل: لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف أي: وهو لباس
التقوى، ثم قيل: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾، وقيل: المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع
والمغافر^(٢) وغيرهما مما يتقى به في الحرب^(٣). وقرئ: وَلِبَاسَ الْتَّقْوَى - بالنصب -
عطفاً على لباساً وريشاً.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللَّهِ﴾ الدالة على فضله ورحمته على عباده، يعني: إنزال
اللباس عليهم.

(١) الزمر: ٦.

(٢) المغافر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة. (الصحاح: مادة غفر)

(٣) عن زيد بن علي معالم التنزيل ج ٢: ٥.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ فيعرفوا عظيم النعمة فيه. وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوات، إظهاراً لنعمته فيما خلق من اللباس.

﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: لا يضلنكم عن الدين ولا يصرفنكم عن الحق بأن يدعوكم إلى المعاصي التي تميل إليها نفوسكم، ولا يمتحننكم بأن لا تدخلوا الجنة كما نحن أبويكم بأن أخرجهما منها.

﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ في موضع نصب على الحال، أي: أخرجهما نازعاً لباسهما عنهما بأن كان السبب في نزاع لباسهما عنهما.

﴿إِنَّهُ يَرَنكُمْ هُوَ﴾ تعليل للنهي والتحذير من فتنة الشيطان بأنه بمنزلة العدو المداجي الذي يكيدكم من حيث لا تشعرون.

﴿وَقِيلَهُ﴾ وجنوده من الشياطين ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾، عن ابن عباس: (إن الله تعالى جعلهم يجرون من بني آدم مجرى الدم، وصدور بني آدم مساكن لهم)^(١)، وعن قتادة: (والله إن عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤونة إلا من عصم الله)^(٢).

﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: خلينا بينهم وبينهم، لم نكفهم عنهم حتى تولوهم وأطاعوهم فيما سولوا لهم من مخالفة الله.

وَإِذَا قَالُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُل
إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَنْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَى

(١) تفسير ابن عباس ج ٢: ٨٧.

(٢) الدر المنثور ج ٣: ٧٦.

وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

أي: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا﴾ معصية كبيرة اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها، وبأن الله أمرهم بأن يفعلوها، وكلاهما عذر باطل، لأن أحدهما تقليد والآخر كذب وافتراء على الله.

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ لأنه لا يفعل القبيح فكيف يأمر بفعله.

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إنكار لإضافتهم القبيح إليه وشهادة عليهم بالجهل.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل وبما يشهد العقل أنه مستقيم حق حسن، وقيل بالتوحيد^(١).

﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي وقل: أقيموا وجوهكم، أي: اقصدوا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غيرها.

﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ في كل وقت سجود، أو في كل مكان سجود وهو الصلاة.

﴿وَادْعُوهُ﴾ واعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الطاعة مبتغين بها وجهه خالصاً.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ كما أنشأكم ابتداء يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة.

﴿فَرِيقًا هَدَى﴾ وهم المؤمنون وفقهم للإيمان.

﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ أي: الخذلان إذ لم يقبلوا الهدى ولم يكن لهم لطف فهم يضلون ولا يهتدون. وانتصب قوله: ﴿وَفَرِيقًا﴾ بفعل مضمر يفسره ما بعده، والتقدير: وخذل فريقاً حق عليهم الضلالة.

﴿لَهُمْ﴾ إن الفريق الذين حق عليهم الضلالة ﴿اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أطاعوهم فيما أمرهم به.

يَبْنِيْ ءَادَمَ خُذُوْا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا
تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي
أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِيْنَ ءَامَنُوْا فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُوْنَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ
وَالْإِنَّمِ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطٰنًا
وَأَنْ تَقُوْلُوْا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُوْنَ ﴿٣٣﴾

أي: ﴿خُذُوا﴾ ثيابكم التي تزينون بها ﴿عِنْدَ كُلِّ﴾ صلاة. وروي: إن الحسن بن علي عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه، فقيل له في ذلك، فقال: ((إن الله جميل يحب الجمال فأتجمل لربي، وقرأ الآية))^(١). وقيل: هو أمر بلبس الثياب في الصلاة والطواف، وكانوا يطوفون عراة، وقالوا: لا نعبد الله في ثياب أذنبت فيها^(٢)، وقيل: أخذ الزينة هو التمسُّط عند كل صلاة^(٣).

﴿وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا﴾ عن ابن عباس: (كل ما شئت والبس ما شئت

(١) تفسير العياشي ج ٢: ١٤.

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٨: ١١٩.

(٣) ينظر: الوسائل ج ١ باب ٧١ من أبواب آداب الحمام.

ما أخطأتك خصلتان: سرف، ومخيلة^(١).

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ أي: من حرّم الثياب التي يتزين بها الناس وكل ما يتجمل به مما أخرجه الله من الأرض ﴿لِعِبَادِهِ﴾.

﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ المستلذات من المأكّل والمشارب. ومعنى الاستفهام إنكار تحريم هذه الأشياء.

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ غير خالصة لهم، لأنّ المشركين يشركونهم فيها.

﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لهم لا يشركهم فيها أحد. ولم يقل: هي للذين آمنوا ولغيرهم في الحياة الدنيا، لينبّه على أنّها خلقت للذين آمنوا، وأنّ الكافرين تبع لهم. وقرئ: خالصة - بالنصب - على الحال، وبالرفع على أنّها خبر بعد خبر.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾ أي: لم يحرم ربّي إلا الفواحش، والفاحشة: ما تزايد قبحه.

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ ما علن منها وما خفي.

﴿وَالْإِثْمَ﴾ عام في كل ذنب، وقيل: شرب الخمر^(٢).

﴿وَالْبَغْيَ﴾ الظلم والكبر ﴿بِغْيَرِ الْحَقِّ﴾ تأكيد.

﴿وَأَن تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ فيه تهكّم، لأنّه لا يجوز أن ينزل سلطاناً وبرهاناً بأن يشرك به غيره.

﴿وَأَن تَقُولُوا﴾ أي: تقولوا على الله وتفتروا الكذب من التحريم وغيره.

(١) الكشف والبيان ج ٤: ٢٢٩.

(٢) عن الكاظم عليه السلام: تفسير العياشي ج ٢: ١٧، وعن الحسن. الكشف والبيان ج ٤: ٢٣١.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾
يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَنْتَبِيْءُ فَمَنْ
اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا
بِعَايِنَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِعَايِنَاتِهِ أُولَئِكَ
يَنَالُهُمُ نَصِيْبُهُمْ مِنَ الْكُذْبِ حَقٌّ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا
أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ وعيد لكفار قريش بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم قبلهم.

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ﴾ خطاب لجميع المكلفين من بني آدم.

﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ إن يأتكم ﴿رُسُلٌ﴾ من جنسكم، وإنما ضُمَّت (ما) إلى (إن) الشرطية توكيداً لمعنى الشرط، ولذلك لزمتم فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة، وجزاء الشرط الفاء وما بعده من الشرط والجزاء. والمعنى: ﴿فَمَنْ اتَّقَى﴾ منكم، ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا﴾ منكم.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: فمن أشنع ظلماً ﴿مِمَّنِ﴾ قال ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ ما لم يقله ﴿أَوْ كَذَّبَ﴾ ما قاله.

﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيْبُهُمْ مِنَ الْكُذْبِ﴾ أي: مما كتب لهم من الأعمار والأرزاق. ﴿حَقٌّ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا﴾: ﴿حَقٌّ﴾ غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم إياه، أي: إلى وقت وفاتهم، وهي التي يتبدأ بعدها الكلام، والمستأنف هنا الجملة

الشرطية، و﴿تَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ حال من الرسل، والمراد بالرسل هنا: ملك الموت وأعوانه.

﴿قَالُوا﴾ أي: الرسل ﴿أَيْنَ﴾ الآلهة التي كنتم تدعونها.

﴿قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا﴾ أي: غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم، اعترافاً منهم بأنهم لم يكونوا على شيء فيها كانوا عليه.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَبُهُمْ لِأُولِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِنَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأُخْرَبُهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٧﴾

أي: يقول الله جل جلاله للكفار يوم القيامة: ﴿ادْخُلُوا فِي أَمْرٍ﴾ أي: كاتنين في جملة ﴿أَمْرٍ﴾ وفي غمارهم مصابين لهم، والمعنى: ادخلوا في النار مع أمم ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وتقدم زمانهم زمانكم.

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ من هذه الأمم النار ﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ التي ضلت بالافتداء

بها.

﴿حَتَّى إِذَا آذَرَكُوا﴾ أي: تداركوا ﴿فِيهَا﴾ بمعنى: تلاحقوا واجتمعوا في النار ﴿قَالَتْ أُخْرَبُهُمْ﴾ منزلة وهي الأتباع والسفلة ﴿لِأُولِهِمْ﴾ منزلة وهي القادة والرؤساء، ومعنى ﴿لِأُولِهِمْ﴾ لأجل أولاهم، لأنّ خطابهم مع الله لا معهم.

﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ أي: دعونا إلى الضلال وحملونا عليه ﴿فَفَاتِنَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي: مضاعفاً.

﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ﴾ أي: لكل من رؤساء الضلالة وأتباعهم عذاب مضاعف، لأن جميعهم كانوا ضالين مضلين ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. قرئ بالتاء والياء.

﴿وَقَالَتْ أُولَهُنَّ لِأَخْرَجْنَهُنَّ﴾ أي: وقال الرؤساء للأتباع: ﴿فَمَا كَأْت لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ عطفوا هذا الكلام على قول الله سبحانه للأتباع: ﴿لِكُلِّ ضِعْفٌ﴾ أي: فقد ثبت أن لا فضل ﴿لَكُمْ عَلَيْنَا﴾ فإننا قد استوتينا في استحقاق الضعف.

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ من قول الرؤساء، أو من قول الله لكلا الفريقين جميعاً.

﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾ تكسبونه باختياركم لا باختيارنا لكم.

إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْفِيلِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿١٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ يُجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ أي: لا يصعد لهم عمل صالح، ونحوه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾^(١)، وقيل: لا تصعد أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين^(٢)، وقيل: لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون كما قال: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ

(١) فاطر: ١٠.

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٨: ١٢٩.

السَّاءِ ﴿١﴾. وقرئ: لا تفتح بالتشديد والتخفيف والتاء والياء.

[وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَإِ الْحِيَاظِ] ﴿٢﴾ أي: لا يدخلون الجنة حتى يكون مالا يكون أبداً من ولوج الجملة - الذي لا يلج إلا في باب واسع - في ثقب الإبرة، والحيياط والمخييط: ما يخاط به وهو الإبرة.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك الجزاء الفظيع ﴿تَجْزَى﴾ سائر ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾.

وقد كرره فقال: ﴿وَكَذَلِكَ تَجْزَى الظَّالِمِينَ﴾ عن ابن عباس: (يريد الذين أشركوا به واتخذوا من دونه إلهاً) ﴿٣﴾. والمهاد: الفراش، والغواشي: الأغطية.

﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب مالا يبلغه وصف الوصاف من النعيم الدائم مع الإجلال والتعظيم بما هو في الوسع، وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيثار والعمل الصالح.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ﴾ قلوبهم ﴿مِنْ غِلٍّ﴾ على إخوانهم في الدنيا، فسلمت قلوبهم وطهرت من الحقد والحسد والشحناء، ولم يكن بينهم إلا التعاطف والتراحم والتواد.

﴿لِلْحَمْدِ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ أي: وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم والذخر الجسيم.

﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْدِيَ﴾ اللام لتأكيد النفي، أي: وما يصح لنا أن نهتدي ﴿لَوْلَا﴾ هداية الله وتوفيقه. وقرئ: ما كنا لنهتدي - بغير واو - على أنها جملة موضحة للأولى. ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ من جهة الله تعالى، وتبتهونا على الاهتداء

(١) القمر: ١١.

(٢) زيادة يقتضيهما السياق.

(٣) مجمع البيان ج ٣ - ٤: ٤١٩.

فاهتدينا باتباع قوهم، يقولون ذلك سروراً واغتياباً بما نالوا وتلذذاً بالتكلم به لا تعبدًا.

﴿وَوُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ﴾: (أن) مخففة من الثقيلة، تقديره: ﴿وَوُودُوا﴾ بأنه تلکم الجنة، والضمير ضمير الشأن، ويجوز أن يكون بمعنى (أي) لأن المناداة من القول كأنه قيل: وقيل لهم: تلکم الجنة ﴿أَوْرِثُوهَا﴾ بسبب أعمالکم.

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَبِعُوهَا بَعْثًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ ﴿٤٥﴾

﴿أَنْ﴾ في قوله: ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا﴾ يحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة، وأن تكون مفسرة كالتي ذكرت قبل، وكذلك ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، وإنما قالوا لهم ذلك ابتهاجاً واغتياباً بحالهم وشماتة بأصحاب النار، ولتكون هذه الحكاية لطفاً لمن سمعها، وكذلك قول المؤذن بينهم: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، وقيل: هو مالك خازن النار يأمره الله تعالى بذلك، فينادي نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار^(١). وروي عن علي عليه آله قال: ((أنا ذلك المؤذن))^(٢). وقرئ: أَنْ - بالتشديد - لَعْنَةُ اللَّهِ - بالنصب - وقرئ: نَعِم - بكسر العين - كل القرآن.

ولم يقل: وعدكم ربكم كما قيل: ﴿وَعَدْنَا﴾ وأطلق، ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب، لأنهم كانوا مكذّبين بذلك أجمع. ﴿يَصُدُّونَ﴾ أي: يعرضون عن دين الله وشريعته، أو يصرفون غيرهم عنها.

(١) الكشف ج٢: ١٠٦.

(٢) شواهد التنزيل ج١: ٢٠٢، معاني الأخبار: ٥٧.

﴿وَيَقُولُهَا عَوَجًا﴾ أي: يطلبون لها الاعوجاج بالشبه التي يتوهمون أنها قاذحة فيها.

﴿وَهُمْ﴾ بالدار ﴿الْآخِرَةِ﴾ وهي القيامة جاحدون.

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

وبين الجنة والنار أو بين أهلها ﴿حِجَابٌ﴾ أي: ستر، ونحوه: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾^(١).

﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ أي: وعلى أعراف الحجاب - وهو السور المضروب بين الجنة والنار - وهي أعاليه، جمع عرف مستعار من عرف الفرس والديك ﴿رِجَالٌ﴾ قال الصادق عليه السلام: ((الأعراف: كثنان بين الجنة والنار، يوقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من أهل زمانه، كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده، وقد سبق المحسنون إلى الجنة، فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه: انظروا إلى إخوانكم المحسنين قد سبقوا إلى الجنة، فيسلم عليهم المذنبون، وذلك قوله: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أن يدخلهم الله إياها بشفاعته النبي والإمام، وينظر هؤلاء المذنبون إلى أهل النار فيقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا ... إلى آخره﴾^(٢)، وقيل: إنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم [فحالت حسناتهم بينهم وبين النار، وحالت سيئاتهم بينهم وبين الجنة]^(٣) فجعلوا هنالك حتى يقضي الله

(١) الحديد: ١٣.

(٢) تفسير القمي ج ١: ٢٣١ باختلاف.

(٣) ساقطة من ج.

فيهم ما يشاء ويدخلهم الجنة^(١).

﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ من زمر السعداء والأشقياء.

﴿يَسْمِعُهُمْ﴾ بعلا متهم التي أعلمهم الله بها.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ورأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله و﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا جَعَلْنَا﴾ منهم، وفي هذا أنَّ صارفاً يصرف أبصارهم [لينظروا فيستعيذوا. الصادق عليه السلام]: وإذا قلبت أبصارهم^(٢) تلقاء أصحاب النار قالوا: عاذاً بك أن نجعلنا مع القوم الظالمين، وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود.

وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ
وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٨﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ
أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿١٩﴾

[الصادق عليه السلام]^(٣): وينادي أصحاب الأعراف وهم الأنبياء والخلفاء ﴿رِجَالًا﴾ من أهل النار ورؤساء الكفار يقولون لهم - مقرعين :: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ واستكباركم.

﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ إشارة لهم إلى أهل الجنة الذين كان الرؤساء يستضعفونهم ويحتقرونهم لفقرهم، ويستطيّلون عليهم بدنياهم، ويقسمون أنَّ الله لا يدخلهم الجنة.

﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ يقول أصحاب الأعراف لهؤلاء المستضعفين عن أمر من الله عز وجل لهم بذلك: ادخلوا الجنة.

(١) عن حذيفة وغيره. تفسير الطبري ج ٨: ١٣٧.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) ساقطة من أ، ج.

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ أي: لا خائفين ولا محزونين. وروى الأصمغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((نحن نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار، فمن نصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار))^(١).

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ
أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ
(٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسَفْنَا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا
كَانُوا بِبَائِلِينَ بِمُحَادَثِ

﴿أَفِضُوا عَلَيْنَا﴾ فيه دليل على أن الجنة فوق النار.

﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الأطعمة والفواكه.

﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ حرم شراب الجنة وطعامها ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ الذي كان يلزمهم التدين به ﴿لَهْوًا وَلَعِبًا﴾

فحرموا ما شاؤوا واستحلوا ما شاؤوا.

﴿فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ﴾ أي: نعاملهم معاملة المنسي في النار فلا نجيب لهم

دعوة، ولا نرحم لهم عبرة.

﴿كَمَا نَسَفْنَا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ فلم يخطر به ببالهم ولم يهتموا به.

و(ما) في الموضعين مصدرية، والتقدير: كنسيانهم وكونهم جاحدين

﴿بِإِيَابِنَا﴾.

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ كُنُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾

﴿بِكِتَابٍ﴾ يعني: القرآن.

﴿عَلَىٰ عَلَيْهِمُ﴾ أي: عالين، كيف نفصل أحكامه ومواعظه وجميع معانيه، حتى جاء قبيلاً غير ذي عوج. و﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ حال من (الهاء) في ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾، كما أن ﴿عَلَىٰ عَلَيْهِمُ﴾ حال من (نا) في ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾.

﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ إلا عاقبة أمره، وما يؤول إليه من تبين صدقه، وظهور صحته ما نطق به من الوعد والوعيد.

﴿يَوْمَ يَأْتِي﴾ عاقبة ما وعدوا به.

﴿يَقُولُ الَّذِينَ كُنُوهُ﴾ أي تركوا العمل به ترك الناسي له ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا رَيْنَا بِالْحَقِّ﴾ اعترفوا بأنهم جاؤوا بالحق.

﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ في إزالة العقاب.

﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ أو هل نرد إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾. وارتفع ﴿نُرَدُّ﴾ لوقوعه موقعاً يصلح للاسم، كما تقول ابتداء: هل يضرب زيد.

إِنَّا رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حِينًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ

﴿٥٥﴾ اَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا
تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ
اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

﴿إِذْ﴾ سيدكم ومالككم ﴿اللَّهُ الَّذِي﴾ أنشأ ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
وأوجدهما.

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا، لأن إنشاء الشيء بعد
الشيء على ترتيب، أدل على كون فاعله علياً حكيماً يدبره على مقتضى حكمته، أو
لأنه أراد تعليم خلقه التثبت والتأني في الأمور.

﴿يُعْثِي آلِيلَ النَّهَارِ﴾ وقرئ بالتخفيف، أي: يلحق الليل بالنهار والنهار
بالليل، بأن يأتي أحدهما عقيب الآخر.

﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُ﴾ [بأن يأتي في أثره كما يأتي الشيء في أثر الشيء طالباً له] ^(١)،
و﴿حَيْثُ﴾ حال من الفاعل أو المفعول أو منهما جميعاً، ومثله ﴿تَحْمِلُهُ﴾ في قوله:
﴿فَأَنَّتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ ^(٢).

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾ قرئ الجميع بالنصب حملاً على
﴿خَلَقَ﴾ أي: خلقهن جاريات على حسب تدبيره، وقرئ - أيضاً - جميعاً بالرفع
على الابتداء والخبر.

﴿يَأْمُرُهُ﴾ أي: بمشيته وتصريفه، وسمى ذلك أمراً على التشبيه كأنهن
مأمورات بذلك.

(١) ساقطة من ج.

(٢) مريم: ٢٧.

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ أي: هو الذي خلق الأشياء وهو الذي صرّفها على

حسب إرادته.

﴿تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً﴾ نصب على الحال، أي: ذوي تضرّع وخفية، وكذا قوله:

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، والتضرّع من الضراعة وهي الذل أي: تذللًا وتملقًا، وقرئ:

خُفْيَةً - بكسر الخاء - وهما لغتان.

﴿لَإِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ أي: المجاوزين الحد المرسوم في جميع العبادات

والدعوات. وقيل: التضرّع: رفع الصوت، والخفية: السر^(١) أي: ادعوه علانية

وسراً، وقيل: معناهما تخشعاً وسراً^(٢).

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالعمل بالمعاصي.

﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بعد أن أصلحها الله بالكتب والرسل.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ إنما ذكر ﴿قَرِيبٌ﴾ على معنى

الترحم، أو لأنه صفة موصوف محذوف، أي: شيء قريب، أو لأن تأنيث الرحمة

غير حقيقي. والمحسن: فاعل الإحسان.

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا

أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِلْعَالَمِينَ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا

بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْجُجُ

إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْأَيَّامَ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

قرئ: نشرأ مصدر نشر، لأن أُرسل ونشر متقاربان فكأنه قال: ينشر الرياح

(١) عن قتادة. الدر المنثور ج ٣: ٩٢.

(٢) تفسير الطبري ج ٨: ١٤٧.

نشراً، ويجوز أن يكون واقعاً موقع الحال بمعنى منتشرات^(١)، ونشراً جمع نشور، ونشراً بتخفيفه كرسل ورسل، وقرئ: بشراً جمع بشيرة، و﴿بُشْرًا﴾ بتخفيفه.

﴿يَبْتَ يَذَى رَحْمَتِهِ﴾ أي: أمام نعمته وهي الغيث الذي هو من أحسن النعم أثراً وأجلها قدراً.

﴿حَتَّى إِذَا أَقْلَتْ﴾ أي: حملت ورفعت.

﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالماء جمع سحابة.

﴿سُقْنَتُهُ﴾ الضمير للسحاب على اللفظ.

﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لأجل بلد ليس فيه حيا^(٢) ولسقيه.

﴿فَأَنْزَلْنَاهُ﴾ بالبلد أو بالسحاب ﴿أَلْمَاءَ فَأَخْرِجْنَا بِهِ﴾ بهذا الماء ﴿مِنْ كُلِّ الشَّعَرِ﴾.

﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ أي: مثل ذلك الإخراج وهو إخراج الثمرات نحوي الأموات بعد موتها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فيؤديكم التذكر إلى أنه لا فرق بين الإخراجين، إذ كل منهما إعادة للشيء بعد إنشائه.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ الأرض العذبة^(٣) الكريمة التربة.

﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ﴾ زرعه خروجا زاكيا ناميا بأمر ﴿رَبِّهِ﴾.

﴿وَالَّذِي خَبِثَ﴾ وهو السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباته

(١) في ب، ج، ط: منشرات.

(٢) الحيا - مقصور -: المطر والخصب. (الصحاح: مادة حيا)

(٣) العذبة: الطيبة التربة. (الصحاح: مادة عذا)

﴿لَا نَكْذِبُ﴾ فحذف المضاف الذي هو النبات، وأقيم المضاف إليه مقامه فاستكن في الفعل، أو يكون التقدير: ونبات الذي خبث، والنكد: العسر الممتنع من الخروج.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك التصريف.

﴿نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نردها ونكررها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله تعالى.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي ضَلَالَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ جواب قسم محذوف. هو نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو إدريس النبي ﷺ. وقرئ: غَيْرِهِ. بالجر. على اللفظ، وبالرفع على محل ﴿مِنْ إِلَهٍ﴾.

وقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ بيان لوجه اختصاصه بالعبادة.

وقوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ بيان للداعي إلى عبادته بأنه هو الذي يحذر عقابه دون من كانوا يعبدونه من دونه. واليوم العظيم: هو يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم.

﴿وَالْمَلَأُ﴾: السادة والأشراف.

﴿فِي ضَلَالٍ﴾ أي: ذهاب عن الحق والصواب. والمراد بالرؤية رؤية القلب الذي هو العلم، وقيل: رؤية البصر أي: نراك بأبصارنا على هذه الحال^(١).

﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ أي: ليس بي شيء من الضلال.

﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بيان لكونه رسول رب العالمين، وهي جملة مستأنفة.

﴿وَسَلَّاتِ رَبِّي﴾ ما أوحى إلي في الأوقات المتطاولة، وفي المعاني المختلفة من الأوامر والنواهي.

﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ في زيادة اللام دلالة على إحاطة النصيحة للمنصوح له.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من صفاته وأحواله وشدة بطشه على أعدائه مالا تعلمونه.

﴿أَوْعَيْتُمْ﴾ الهمة للإنكار، والواو للعطف، والمعطوف عليه محذوف، كأنه قال: أكذبتهم وعجبتهم من ﴿أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ أي: موعظة ﴿مَنْ زَيَّكُمُ عَلَى رَجُلٍ﴾ على لسان رجل ﴿فَتَكُونُوا﴾ مثل قوله: ﴿مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾^(٢). وذلك أنهم تعجبوا من نبوة نوح وقالوا: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾^(٣).

﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ ليحذركم عاقبة الكفر.

﴿وَلِنَنْقُضَ﴾ ولتوجد منكم التقوى وهي خشية الله بسبب الإنذار.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم.

(١) التبيان في إعراب القرآن: ٥٧٧.

(٢) آل عمران: ١٩٤.

(٣) المؤمنون: ٢٤.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ وكانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة، وقيل: كانوا عشرة: بنوه: سام وحام ويافث وستة ممن آمن به^(١).

وتعلّق قوله ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ بـ﴿مَعَهُ﴾ كأنه قال: والذين استقروا معه في الفلك أو صحبوه فيه، أو بـ﴿أُنْجَيْنَا﴾ أي: أنجيناهم في السفينة من الطوفان.

﴿قَوْمًا عَمِينَ﴾ أي: عمي القلوب غير مستبصرين.

وإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِزٌّ
أَفَلَا تَنْقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ
فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَنْقَوْمِ لَيْسَ
بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُنَبِّئُكُمْ
رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ
مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ
خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَاذْكُرُوا
آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾

﴿أَخَاهُمْ﴾ في النسب يعني واحداً منهم من قولك: يا أخا العرب للواحد منهم، وإنما جعل واحداً منهم، ليكونوا به أسكن وبحالهم أعرف في صدقه وأمانته، وهو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

وعطف ﴿أَخَاهُمْ﴾ على ﴿نُوحًا﴾، و﴿هُودًا﴾ عطف بيان له، وحذف العاطف من قوله: ﴿قَالَ يَنْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ لأنه على تقدير سؤال سائل سأل فقال: ما قال لهم هود؟ ف قيل: ﴿قَالَ يَنْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، وكذلك قوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

والسفاهة: خفة الحلم وسخافة العقل، وصفوه بالسفه حيث هجر دينهم إلى دين الله، وقالوا: ﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾ جعلوا السفاهة ظرفاً على طريق المجاز، يريدون أنه متمكن فيها غير خال عنها، وفي إجابة نوح وهود وغيرهما من الأنبياء ﷺ من نسبوهم إلى الضلالة والسفاهة بالكلام الصادر عن الإغضاء والمجاملة. مع علمهم بأن خصوصهم أضلّ الخلق وأسفهمهم. أدب حسن، وحكاية الله ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء ويدارونهم.

﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ﴾ فيما أدعوكم إليه من توحيد الله وطاعته.

﴿أَمِينَ﴾ ثقة مأمون في تأدية الرسالة فلا أكذب ولا أغتر.

﴿إِذْ جَعَلَكُمْ﴾ أي: وقت جعلكم.

﴿خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي: خلفتموهم في الأرض من بعد هلاك قوم نوح بالعصيان.

﴿وَوَإِذْ كُنَّا فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ فيما خلق من أجرامكم ذهاباً في الطول والبدانة، قال الباقر (عليه السلام): ((كانوا كالنخل الطوال، وكان الرجل منهم ينحو الجبل بيده فيهد منه قطعة))^(١).

﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ في استخلاصكم وبسطة أجسامكم وما سواهما من نعمه، وواحد الآلاء إلى، ونحوه: إنني وآناء.

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ
 آبَاؤُنَا فَأَنبَأْهُمْ بِمَا تَعَدَّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ
 قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَدِّلُونَنِي

فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ
سُلْطَانٍ فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَجْبِئْتُهُ
وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا دَايِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا
وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

أنكروا اختصاصه لله بالعبادة وتركه دين آبائهم في ترك عبادة الأصنام إلفاً
منهم بما نشأوا عليه.

﴿فَأَنبَأْنَا بِمَا نَعُدُّنَا﴾ استعجال منهم بالعذاب.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: وجب عليكم أو نزل عليكم، فجعل
المتوقع بمنزلة الواقع.

﴿رَجَسَ﴾ أي: عذاب، من الإرجاس وهو الاضطراب.

﴿أَتَجِدِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي: في أشياء ما هي إلا أسماء
ليس تحتها مسميات، لأنكم سميتوها آلهة ومعنى الإلهية فيها معدوم، ونحوه
قوله: ﴿مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١).

﴿فَأَنْظِرُوا﴾ عذاب الله فإنه نازل بكم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظِرِينَ﴾ لنزوله
بكم.

﴿وَقَطَّعْنَا دَايِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا﴾ أي: دمرناهم واستأصلناهم عن آخرهم.

وَالْإِنَّمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْفَوِرُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَافَةٌ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُذِلٍّ وَلَا تَمْسُوهَا

يُسْوَءُ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ
مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا
قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا
فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾

أي: وأرسلنا ﴿إِلَى ثَمُودَ﴾. قرئ بمنع الصرف على تأويل القبيلة، وهو
ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، وصالح من ولد ثمود.
﴿قَدْ جَاءَ تَكْمٌ بَيِّنَةٌ﴾ أي: دلالة معجزة وآية ظاهرة شاهدة على
صحة نبوتي.

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ كأنه قيل: ما هذه البيّنة؟ فقال: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾
أضافها إلى ﴿اللَّهُ﴾ لأنّه خلقها بلا واسطة، وخرجت من صخرة ملساء تمخضت
بها تمخض التتوج بولدها، ثم انصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء لا يعلم
ما بين جنبها إلا الله عظماً وهم ينظرون، ثم نتجت ولدأ مثلها في العظم، وكان
لها شرب يوم تشرب فيه ماء الوادي كله، وتسقيهم اللبن بدله، ولهم شرب يوم
يخصهم لا تقرب فيه ماءهم.

و﴿آيَةً﴾ نصب على الحال، والعامل فيها ما دلّ عليه اسم الإشارة التي
هي ﴿هَذِهِ﴾ من معنى الفعل، كأنه قيل: أشير إليها آية، و﴿لَكُمْ﴾ بيان لمن
هي له آية موجهة عليه الإيذان خاصة وهم ثمود، لأنهم عاينوها وسمع غيرهم
خبرها وليس الخبر كالمعاينة، فكأنه قال: لكم خصوصاً.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ أي: الأرض أرض الله والناقة ناقة الله
فذرّوها تأكل في أرض ربّها، فليست الأرض لكم ولأما فيها من النبات من

إنباتكم.

﴿وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءُ﴾ أي: بعقر أو نحر أو شيء من الأذى إكراماً لآية الله.
﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ في الأرض بأن مكنكم فيها ﴿مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾.

﴿وَبَوَّأَكُمْ﴾ ونزلكم وجعل لكم فيها مساكن تأوون إليها.
﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ أي: تبنيونها من سهولة الأرض بما تعملون منها من اللبن والآجر.
﴿وَنَنْحِتُونَ الْجِبَالَ يُؤْتَا﴾ تسكنونها في الشتاء.

و﴿يُؤْتَا﴾ نصب على الحال، كما يقال: خط هذا الثوب قميصاً، وهي من الحال المقدرة لأنَّ الجبل لا يكون بيتاً في حال النحت، ولا الثوب قميصاً في حال الخياطة.

﴿فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ﴾ أي: نعمه عليكم بما أعطاكم من القوة والتمكن في الأرض.

﴿وَلَا تَعْتُوا﴾ أي: ولا تبالغوا في الفساد.

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا
لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَتَكْبَرُونَ أَمْ لَمْ يَأْتِ بِكُمْ
إِنَّا بِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَمَوْا عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَتَيْنَا بِمَا قَعَدْنَا إِنَّ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى

عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَفَصَحْتُ لَكُمْ
وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٨﴾

قرأ ابن عامر^(١): وقال الملاء - بإثبات الواو -.

و﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ أي: تعظموا وأنفوا من اتباع الرسول الداعي إلى الله.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا﴾ للذين استضعفوه واستذلوهم.

و﴿لَمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا﴾، والضمير في ﴿وَمِنْهُمْ﴾

يعود إلى ﴿قَوْمِهِ﴾ أو إلى ﴿الَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا﴾.

﴿اتَّقُوا أَنْتَ صَاحِبًا مَّرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ إننا قالوه على سبيل السخرية.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ أسند العقر إلى جميعهم لأنه كان برضاهم وإن لم يعقرها

إلا بعضهم، وهو قدار بن سالف مع أصحابه، وكان أحمر أزرق قصيراً، وكانوا

تسعة رهط. وقال النبي ﷺ: ((يا علي من أشقى الأولين؟ قال: الله ورسوله أعلم،

قال ﷺ: عاقر الناقة، أتدري من أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال:

الذي يخضب هذه من هذا، وأشار إلى لحيته - أي لحية علي - ورأسه))^(٢).

﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ تولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين، وأمر

ربهم هو ما أمر به على لسان صالح من قوله: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ﴾ أو

شأن ربهم وهو دينه.

﴿أَتَيْنَا بِمَا نَعِدُنَا﴾ أي: من العذاب، وإننا استعجلوه لتكذيبهم به، ولذلك

(١) عبد الله بن عامر بن يزيد الحصبني إمام أهل الشام في القراءة والذي انتهت إليه مشيخة الاقراء

بها، ولي القضاء بدمشق وتوفي بها يوم عاشوراء سنة ١١٨ هـ. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء

ج ١: ٤٢٣.

(٢) مسند أبي يعلى ج ١: ٣٧٧.

علقوه بها كانوا به كافرين وهو كونه ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ أي: الصيحة التي زلزلت لها الأرض واضطربوا لها.

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ أي: بلادهم ومسكنهم.

﴿جَحِيمِينَ﴾ أي: ميتين هامدين لا يتحركون، يقال: الناس جثم، أي: قعود

لا حراك بهم.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ تولى متحسر على ما فاته من إيمانهم متحزن لهم.

﴿وَقَالَ يَنْقُورٌ لَقَدْ﴾ بذلت فيكم وسعي ولم آل جهداً في النصيحة لكم.

والظاهر يدل على أنه كان مشاهداً لما جرى عليهم، وأنه تولى عنهم بعد ما أبصرهم

موتى صرعى.

وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَجْشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ

مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ

النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ

قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْأَسُ

بِنَظَرِهِمْ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنْ

الْفَرِيدِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَ

عَنْبِيَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

أي: وأرسلنا ﴿لُوطًا﴾، و﴿إِذْ﴾ ظرف لـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾.

﴿أَتَأْتُونَ الْفَجْشَةَ﴾ أنفعلون السيئة المتبادية في القبح وهي إتيان الرجال في

أدبارهم.

﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا﴾ أي: ما عملها قبلكم أحد، والباء للتعدية، ومنه قوله ﷺ:

((سبقك بها عكاشة))^(١)، و(من) في ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ مزيدة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق، و(من) الثانية للتبعيض.

﴿إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ﴾ من أتى المرأة: إذا غشيها.

﴿شَهْوَةً﴾ مفعول له أي: للاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة من غير داع آخر، ويجوز أن يكون حالاً أي: مشتتهين تابعين للشهوة.

﴿مِنْ دُورِ النِّسَاءِ﴾ في موضع الحال أيضاً، أي: تاركين إتيان النساء اللاتي أباح الله إتيانهن.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ متجاوزون الحد في الفساد حتى تجاوزتم المعتاد إلى غير المعتاد.

﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ يعني: ما أجابوا لوطاً عما كلمهم به بما يكون جواباً، ولكنهم جاؤوا بما لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم.

﴿لَإِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾ من الفواحش والخبائث.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ أي: فخلصنا لوطاً ﴿وَأَهْلَهُ﴾ المختصين به من الهلاك.

﴿إِلَّا أَمْرًا أَنَّهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ﴾ الذين غبروا في ديارهم أي: بقوا فيها فهلكوا، أو كانت كافرة موالية لأهل سدوم.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ أي: أرسلنا عليهم الحجارة إرسال المطر نحو قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾^(٢)، والمعنى: وأمطرنا عليهم نوعاً من

(١) صحيح مسلم ج ١: ١٣٧.

(٢) الحجر: ٧٤.

المطر عجيباً، ونحوه قوله: ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾^(١).

وإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ
مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ
رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ
أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا
بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ
آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ
قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُفْسِدِينَ
﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ
بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ
الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

وأرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ وكان يقال لشعيب: خطيب الأنبياء،
لحسن مراجعته قومه، وكانوا أهل بخس للمكيال والميزان.
﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: معجزة شاهدة بصحة نبوتي أوجب
عليكم الإيمان بي.

﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ أريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال، أو
سمى ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به، أو أريد أوفوا الكيل ووزن
الميزان، أو يكون الميزان بمعنى المصدر كالمياد والميلاد.

﴿وَلَا يَبْخَسُوا﴾ ولا تنقصوا، وإنما قيل: ﴿أَشْيَاءَهُمْ﴾ لأنهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبيعاتهم.

﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بعد الإصلاح فيها، أي: ﴿لَا تُفْسِدُوا﴾ فيها ﴿بَعْدَ﴾ ما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء وأتباعهم، فتكون هذه الإضافة كما في قوله: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(١) أي: مكركم في الليل والنهار، أو بعد إصلاح أهلها على حذف المضاف.

﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والإفساد في الأرض.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في الإنسانية وحسن الأحدثوة وما تطلبونه من الربح، لأن الناس إذا عرفوا منكم النصفة والأمانة رغبوا في متاجرتكم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين لي في قولي.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ﴾ منهج من مناهج الدين مقتدين بالشیطان في قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢) تتوعدون من آمن بالله ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وكانوا يجلسون على الطرق فيقولون لمن يمر بها: إن شعيباً كذاب فلا يفتنكم عن دينكم، كما كان تفعل قريش بمكة.

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: وتطلبون لسبيل الله عوجاً، والمعنى: تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها.

﴿وَإِذْ كُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا﴾: ﴿إِذْ﴾ مفعول به غير ظرف، أي: واذكروا على وجه الشكر وقت كونكم قليلاً عددكم. قالوا: إن مدين بن إبراهيم

(١) سبأ: ٣٣.

(٢) الأعراف: ١٦.

الخليل تزوج بنت لوط فولدت له، فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا^(١)، ويجوز: إذ كنتم فقراء مقلين فجعلكم أغنياء مكثرين.

﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ من أفسد قبلكم كقوم نوح وهود وصالح ولوط، وكانوا قريبي العهد بهم.

﴿وَإِنْ كَانَ﴾ جماعة ﴿مِّنْكُمْ ءَامَنُوا﴾ وصدقوا ﴿بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ وقبلوا قولي، وجماعة لم يصدقوني.

﴿فَاصْبِرُوا﴾ فتربصوا وانتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ بين الفريقين بأن ينصر الحق على المبطل، وهذا [وعد للمؤمنين و]^(٢) وعيد للكافرين.

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَاهِنِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ بَعَثْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٨٩﴾

أي: ﴿قَالَ﴾ الذين رفعوا أنفسهم فوق مقدارها من قوم شعيب: ليكون أحد الأمرين: إما إخراجكم من بلدتنا، أو عودكم في الكفر، وقد يكون العود بمعنى الصيرورة كما في قول الشاعر:

تِلْكَ الْمَكَارِمِ لَا قَعْبَانَ مِنْ لَبَنِ شَيْبًا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالًا^(٣)

(١) تفسير السمرقندي ج ١: ٥٤٦.

(٢) ساقطة من أ، ب، ط.

(٣) أمية بن أبي الصلت حياته وشعره: ٣٥٠.

﴿قَالَ﴾ شعيب: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ الواو واو الحال، والهمزة للاستفهام، أي: أتعيدوننا في ملتكم وتردوننا إليها في حال كوننا كارهين للدخول فيها؟ يريد أننا مع كراهتنا لذلك لما عرفناه من بطلانه لا نرجع، وأنكم لا تقدرون على ردنا إلى دينكم على كره منا، فيكون ﴿كَارِهِينَ﴾ على هذا بمعنى: مكرهين.

﴿قَدْ أَفْرَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾ معناه: إن عدنا في ملتكم ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا﴾ بأن أقام لنا الدلائل على بطلانها وأوضح الحق لنا، فقد افترينا على الله كذباً فيما دعوناكم إليه.

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا﴾ أي: وما ينبغي لنا وما يصح لنا ﴿أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ خذلانا ومنعنا الألفاظ بأن يعلم أنها لا تنفع فينا فيكون فعلها بنا عبثاً، والله عز اسمه متعال عن فعل العبث، ويدل على هذا قوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: هو عالم لذاته، يعلم كل شيء مما كان ويكون، فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب.

﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في أن يثبتنا على الإيمان ويوفقنا لازدياد الإيقان.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ تعليقاً لما لا يكون بما علم أنه لا يكون على وجه التبعيد، لأن مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة. ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ [أي: احكم بيننا]^(١) ﴿وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ والفتاحة: الحكومة، أو أظهر أمرنا حتى يفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف، بأن تنزل عليهم عذاباً يبين معه أننا على الحق وأنهم على الباطل.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاضِلِينَ﴾ الحاكمين.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَيْرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمًا ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَنَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنفَوِرُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي ربي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

أي: ﴿قَالَ﴾ الأشراف ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ للذين دونهم يشبطونهم عن الإيمان: ﴿لَئِنْ أَتَبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَيْرُونَ﴾ لاستبدالكم الضلالة بالهدى، وقيل: تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف، لأنه ينهاكم عنها ويحملكم على الإيفاء والتسوية^(١). واللام في ﴿لَئِنْ أَتَبَعْتُمْ﴾ وجواب القسم ﴿إِنَّكُمْ إِذَا لَخَيْرُونَ﴾ وقد سدد مسدَّ جواب الشرط.

﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا﴾ مبتدأ، وخبره ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾، وكذلك ﴿كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾. وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص، كأنه قيل: الذين كذبوا شعيباً هم المخصوصون بالهلاك والاستئصال كأن لم يقيموا في دارهم، لأن الذين اتبعوا شعيباً أنجاهم الله.

﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا﴾ هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه لأنهم الراحون. وفي هذا الابتداء والتكرير تسفيه لرأي الملأ ورد لمقاتلتهم ومبالغة

في ذلك.

﴿فَنَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ شعيب لما رأى إقبال العذاب عليهم.

﴿وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَعْذَرْتُ إِلَيْكُمْ فِي النَّصِيحَةِ وَإِبْلَاغِ الرِّسَالَةِ وَالتَّحْذِيرِ مِمَّا حَلَّ بِكُمْ فَلَمْ تَصْدَقُونِي.

﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ أي: فكيف أحزن ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم العذاب النازل بهم.

و﴿أَلْبَسَاءَ﴾: البؤس والفقر، ﴿وَالضَّرَّاءَ﴾: الضرّ والمرض.

﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ أي: ليتضرّعوا ويتوبوا ويتذللوا.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ أي: رفعنا السيئة يعني: ما كانوا فيه من البلاء والمحنة، ووضعنا الحسنة مكانها يعني: الرخاء والسعة والصحة.

﴿حَتَّىٰ عَفَوْا﴾ أي: كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم من قولهم: عفا النبات، وعفا الشحم والوبر: إذا كثرت، ومنه قوله ﷺ: ((واعفوا للحي))^(١).

﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ يريد أبطرتهم النعمة وأشروا فقالوا: هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء، وقد مَسَّ ءَابَاءَنَا نحو ذلك فلم ينتقلوا عما كانوا عليه، فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم كذلك. ﴿فَأَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأة، عبرة لمن بعدهم.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أن العذاب نازل بهم إلا بعد حلوله.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

(١) معاني الأخبار: ٢٧٧، سنن البيهقي الكبرى ج ١: ١٤٩.

﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ
 ﴿٩٧﴾ وَأَوَّامِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ
 يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا
 الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾

اللام في ﴿الْقُرَى﴾ إشارة إلى القرى التي دلَّ عليها قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ﴾، فكأنه قال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ﴾ تلك ﴿الْقُرَى﴾ الذين كذبوا وأهلكوا ﴿ءَامَنُوا﴾ بدل كفرهم ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الشرك والمعاصي ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ﴾ أي: خيرات نامية ﴿مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بإنزال المطر وإخراج النبات. والمعنى: لآتيناهم بالخير من كل وجه.

﴿وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِسُوءِ كَسْبِهِمْ﴾

ومعنى فتح البركات: تيسرها عليهم كما ييسر أمر الأبواب المغلقة بفتحها، ومنه قولهم: فتحت على القارئ: إذا تعذرت عليه القراءة فيسرها عليه بالتلقين.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ المكذبون لنبيِّنا^(١).

﴿أَن يَأْتِيَهُمْ﴾ عذابنا ﴿بَيِّنًا﴾ أي: بائتين أو وقت بيات، ويجوز أن يكون البيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم فيكون - أيضاً - حالاً أو ظرفاً.

و﴿ضُحًى﴾ نصب على الظرف، وهو في الأصل اسم لضوء الشمس إذا أشرقت وارتفعت. والفاء والواو في ﴿أَفَأَمِنَ﴾ و﴿أَوَّامِنَ﴾ حرفا عطف دخلتا عليها همزة الإنكار، والمعطوف عليه قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ وما بينهما اعتراض. أي: أبعد ذلك أمِّن ﴿أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا﴾ وأمِنوا ﴿أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا

(١) في ب، ج: لنبيِّها.

صَحَّى ﴿. وقرئ: أو أمن - بسكون الواو - على العطف بـ(أو).

﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ أي: يشتغلون بما لا ينفعهم كأنهم يلعبون.

وقوله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ تكرير لقوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾.

و﴿مَكْرَ اللَّهِ﴾ استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر، ولا استدراج إياه بالصحة والسلامة وظاهر النعمة، وعن الربيع بن خيثم^(١): (إِنَّ ابْنَتَهُ قَالَتْ لَهُ: مَالِي أَرَى النَّاسَ يَنَامُونَ وَلَا أَرَاكَ تَنَامُ؟ قَالَ: يَا بَنَتَاهُ إِنَّ أَبَاكَ يَخَافُ الْبَيَاتَ)^(٢).

﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فيه تنبيه على ما يجب أن يكون عليه المكلف من الخوف لعقاب الله، فيكون كالمحارب الذي يخاف من أعدائه البيات والغيلة، ليسارع إلى الطاعة واجتناب المعصية، ولا يستشعر الأمن من ذلك، فيكون قد خسر دنياه وآخرته بالوقوع في المعاصي.

أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُوبُكَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ
أَصْبَحْنَاهُمْ يَدْثُوبُهُمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾
تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ
عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ
وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

المعنى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ﴾ يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم أرضهم هذا الشأن، وهو آتَا ﴿لَوْ نَشَاءُ أَصْبَحْنَاهُمْ يَدْثُوبُهُمْ﴾ كما أصبنا من قبلهم

(١) أبو يزيد الربيع بن خيثم الثوري الكوفي، الزاهد المشهور، من كبار التابعين، توفي زمن يزيد بن معاوية. ينظر: تذكرة الحفاظ ج ١: ٥٧، معجم رجال الحديث ج ٧: ١١٧.

(٢) شعب الإيمان ج ١: ٥٤٣.

وأهلكناهم كما أهلكنا أولئك. وقد قرئ: أو لم نهد - بالنون - وعلى ذلك فيكون ﴿أَنْ لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ﴾ منصوب الموضع، بمعنى: أو لم نبين لهم هذا الشأن، ولذلك عدّي الهداية باللام لآته بمعنى التبيين.

﴿وَنَطْبِعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ معطوف على ما دلّ عليه معنى ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾، فكأنّه قيل: يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم.

﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ مبتدأ وخبر، و﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾ حال؛ ويجوز أن يكون ﴿الْقُرَى﴾ صفة لـ ﴿تِلْكَ﴾، و﴿نَقُصُّ﴾ خبر، أي: تلك القرى المذكورة نقصّ عليك بعض أنبائها لتخبر قومك بها فيعتبروا ويحذروا عن الإصرار على مثل حالهم.

﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند مجيء الرسل بالبينات ﴿يَمَّا كَذَبُوا﴾ به من قبل مجيئهم، أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولاً حين جاءهم الرسل، أي: استمروا على التكذيب إلى أن ماتوا مصرّين. ومعنى اللام تأكيد النفي وأن الإيمان كان منافياً لحالهم.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الطبع الشديد نطبع ﴿عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ الضمير للناس على الإطلاق، [أي: ما وجدنا لأكثر الناس من عهد]^(١) فَإِنَّ الْأَكْثَرَ يَنْقُضُ عَهْدَ اللَّهِ فِي الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى.

﴿وَإِنْ وَجَدْنَا﴾ وإنّ الشأن والحديث وجدنا ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾ فاسقين خارجين عن الطاعة، والآية اعتراض.

ويجوز أن يرجع الضمير إلى الأمم المذكورين، وأنهم كانوا إذا عاهدوا الله في

ضر: لئن أنجيتنا لنؤمنن، ثم لما نجاهم نكثوا. والوجود بمعنى العلم من قولك: (وجدت زيدا ذا الحفاظ).

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿ظَلَمُوا بِهَا﴾ معناه: فكفروا ﴿بِآيَاتِنَا﴾، أجرى الظلم مجرى الكفر كما قال: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، أو ظلموا الناس بسببها حين صدوهم عنها وآذوا الذين آمنوا بها.

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ﴾ جائز أن يكون ضمّن ﴿حَقِيقٌ﴾ معنى حريص، كما ضمّن هيجني معنى ذكرني في بيت النابغة:

إِذَا تَغَنَّى الْحَمَامُ الْوُزُقُ هَيَّجَنِي وَلَوْ تَغَزَّيْتَ عَنْهَا أُمَّ عَمَّارٍ^(٢)

ويجوز أن يكون موسى عليه السلام أغرق في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام، فقال: أنا حقيق على قول الحق، أي: واجب على قول الحق أن أكون أنا قائله، ولا يرضى إلا مثلي ناطقاً به. وقرأ نافع: حقيق علي أن لا أقول، ومعناه: واجب علي.

(١) لفهان: ١٣.

(٢) ديوان النابغة الذبياني: ٥١، وفيه: وإن تغربت...

﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: خلّهم حتى يذهبوا معي راجعين إلى الأرض المقدسة التي هي وطنهم، وذلك أنّ فرعون والقبط كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل واستخدموهم في الأعمال الشاقة، فأنقذهم الله بموسى، وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى أربعائة عام.

﴿قَالَ إِن كُنتَ إِحْسَنَ﴾ من عند من أرسلك ﴿بِتَايِبَةٍ فَأَتِ بِهَا﴾ لتصح دعواك ويثبت صدقك.

﴿قَالَ قَلْبِي﴾ موسى ﴿عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر أمره لا يشك في أنّه ثعبان، وروي: أنّه كان ثعباناً ذكراً أشعر فاغراً فاه بين لحييه كذا ذراعاً، وضع لحيه الأسفل في الأرض ولحيه الأعلى على سور القصر، فوثب فرعون من سريره وهرب وأحدث وصاح: يا موسى خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بني إسرائيل، فأخذه موسى فعاد عصاه^(١).

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾ بياضاً نورانياً غلب شعاعها شعاع الشمس، وكان موسى عليه السلام آدم فيما يروى^(٢).

﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾ أي: للنظارة هناك.

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّكَ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ خَبِيرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا

(١) تاريخ الطبري ج ١: ٢٠٩.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٩: ١١.

يَكُونُ سَيِّئًا أَن تُلْقَى وَإِنَّمَا أَن تَكُونَ تَحْتَ الْمَلِكِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ
الْقَوَّاءُ فَلَمَّا الْفَوَّاءُ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا
بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾

في سورة الشعراء: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ﴾^(١)، وهنا ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ ويمكن أن يكون قاله هو وقالوه هم، فحكى قوله هنالك وقولهم هنا، أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ، كما يفعله الملوك يبلغ خواصهم ما يرونه من الرأي إلى العامة، ويدل عليه أنهم أجابوه في قولهم: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾. وقوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ من أمرته فأمرني بكذا: إذا شاورته فأشار عليك برأي.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ﴾ أي: أخره ﴿وَأَخَاهُ﴾ وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر أمرهما. وقرئ: أرجئه - بالهمزة - وأرجأه وأرجاه لغتان.

﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ أي: جعلاً على الغلبة. وقرئ: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ على الإخبار وإثبات الأجر العظيم وإيجابه كأنهم قالوا: لا بد لنا من أجر، والتنكير للتعظيم، قالت العرب: إن له لإبلاً، يقصدون الكثرة.

وقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ معطوف على محذوف سدّ مسدّه حرف الإيجاب، أي: نعم إن لكم لأجراً وإنكم لمن المقربين، يعني لا أقصر بكم على الأجر وحده وإن لكم مع الأجر ما يقلّ عنده الأجر وهو التبجيل والتقريب. وروي أنه قال لهم: تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج^(٢).

وتخيير السحرة موسى ﷺ مراعاة منهم لأدب حسن معه، كما يفعل أهل

(١) الآية: ٣٤.

(٢) عن الكلبي. معالم التنزيل ج ٢: ٢١.

الصناعات إذا التقوا، وقولهم: ﴿وَلِمَا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمَلْقَيْنِ﴾ فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله، وهو تأكيد الضمير المستكن بالمنفصل وتعريف الخبر، وقد سوغ لهم موسى ما رغبوا فيه قلة مبالاة بهم، وثقة بما كان بصده من المعجز الإلهي والتأييد السماوي.

﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ بما أروهم من الحيل والشعوذة، فقد روي أنهم ألقوا حبلاً غلاظاً وخشباً طوالاً، فإذا هي أمثال الحيات قد ملأت الأرض وركب بعضها بعضاً^(١).

﴿وَأَسْرَهُبُهُمْ﴾ وأرهبوهم إرهاباً شديداً كأنهم استدعوا رهبتهم.
﴿وَجَاءَ وَسِخْرٍ عَظِيمٍ﴾ أي: عظيم في باب السحر، وذلك أنهم جعلوا في حبالهم وخشبهم ما يوهم الحركة وختل إلى الناس أنها تسعى.

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
(١١٧) فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَاكَ
وَأَنْقَلَبُوا صَغِيرِينَ (١١٩) وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ (١٢٠) قَالُوا ءَأَمَنَّا
بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُمْ
بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَادَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا
مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ
خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَيِّرَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ
(١٢٥) وَمَا نُنْقِمْ مِنْهَا إِلَّا أَنْ ءَأَمَنَّا بِتَائِدِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا
أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦)

معناه: فألقاها فصارت حية عظيمة.

﴿إِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (ما) مصدرية أو موصولة، أي: تلتف إفكهم تسمية للمأفوك بالإفك، أو ما يافكونه، أي: يقلبونه عن الحق إلى الباطل ويزورونه. وروي: أنها تلتفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فعادت عصا كما كانت^(١)، وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة، وكلا الأمرين يعلم كل عاقل أنه لا يدخل تحت مقدور البشر.

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ فحصل وثبت.

﴿وَأَنقَلَبُوا صَغِيرِينَ﴾ أي: صاروا أذلاء مبهوتين.

﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ﴾ أي: وخزوا سجداً كأنها ألقاهم ملقٍ لشدة خروورهم، وقيل: إنهم لم يتהלکوا مما رأوا فكأنتهم ألقوا.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمْتُمْ بِـِٔى﴾ على الإخبار، أي: فعلتم هذا الفعل، وقرئ: آامتم - بحرف الاستفهام - ومعناه الإنكار.

﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ قبل أن آمرکم بالإيمان به وأذن لكم فيه.

﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ إِنَّ صنعکم هذا حيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا منها إلى هذه الصحراء، وتواطأتم على ذلك لغرض لكم، وهو أن تخرجوا منها القبط وتسكنوها بني إسرائيل، وكان ذلك الكلام من فرعون تمويهاً على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الإيمان.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وعيد مجمل. وقد فصل الإجمال بقوله: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ﴾ أي: من كل شق طرفاً، وعن الحسن: (هو أن يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى)^(٢)، وقيل: إن أول من قطع من خلاف وصلب

(١) تاريخ الطبري ج ١: ٢١١.

(٢) التبيان ج ٤: ٥٤٢.

فرعون^(١).

﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ أي: لا نبالي بالموت لانقلابنا إلى لقاء ربنا ورحمته، أو
إننا جميعاً ننقلب إلى الله فيحكم بيننا.

﴿وَمَا نُنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا﴾ أي: وما تعيب منا إلا الإيمان ﴿بِآيَاتِ﴾
الله، وهو أصل كل منقبة وخير، ومثله قول الشاعر:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُيُوفُهُمْ بِهِنَّ قُلُوبٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ^(٢)

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أفض علينا صبراً واسعاً كثيراً حتى يغمرنا كما يفرغ
الماء إفرغاً.

﴿وَنُوفِّئًا مُسْلِمِينَ﴾ ثابتين على الإسلام.

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ وَيَذْرَكُ ۚ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ
وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ
وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا
وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ
وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾

لما أسلم السحرة قال الملأ ذلك تحريضاً لفرعون على موسى.

﴿وَيَذْرَكُ﴾ عطف على ﴿لِيُفْسِدُوا﴾ لأنه إذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك

(١) عن ابن عباس تفسير الطبري ج ٩: ١٦.

(٢) ديوان النابتة الذبياني: ١١.

مؤدياً إلى تركه وترك آلهته، فكأنه تركهم لذلك. وروي عن علي عليه السلام أنه قرأ: ويذكر وإلا هتك، أي: عبادتك. وعن ابن عباس: (إنه لما آمن السحرة أسلم من بني إسرائيل ستمائة ألف نفس)^(١). فأرادوا بالفساد في الأرض ذلك، وخافوا أن يغلبوا على الملك، وقيل: إن فرعون صنع لقومه أصناماً وأمرهم أن يعبدوها تقرباً إليه^(٢)، ولذلك قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^(٣).

﴿سَقَنِلْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ أي: سنعيد عليهم ما كنا نفعله بهم من قتل الأبناء، ليعلموا أننا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر، وأتتهم مهجورون تحت أيدينا كما كانوا، وأن غلبة موسى لا أثر لها في ملكنا.

﴿قَالَ مُوسَى﴾ عند ذلك ﴿لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾ يسكنهم ويسليهم ويعدهم النصر من الله.

وقوله: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ يجوز أن يكون اللام للعهد ويعني: أرض مصر خاصة، ويجوز أن يكون للجنس فيتناول أرض مصر أيضاً. ﴿وَالْعِيقَةُ لِلْمُنَاقِبِ﴾ بشارة بأن الخاتمة المحمودة للمتمسكين بالتقوى، وأن المشيئة متناولة لهم.

﴿قَالُوا أَوَإِذَا مَن قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى، وإعادته عليهم من بعد نبوته وتأيدته بالمعجزات.

وقوله: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ تصريح بما أشار إليه من البشارة ورمز به قبل، وهو إهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر.

(١) تفسير الطبري ج ٩: ١٩.

(٢) عن السدي. معالم التنزيل ج ٢: ٢٢.

(٣) النزاع: ٢٤.

﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقيحه

ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم.

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَذْكُرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ
تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ إِلَّا إِنَّمَا طَّيَّرُكُمْ عِندَ
اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾

أي: عاقبنا قوم ﴿فِرْعَوْنَ﴾ الذين يؤول أمرهم إليه.

﴿بِالسِّنِينَ﴾ بسني القحط. والسنة من الأسماء الغالبة كالذابة والنجم،
وقالوا: أسنت القوم: أقحطوا. وعن ابن عباس: (إِنَّ السِّنِينَ كَانَتْ لِبَادِيَتِهِمْ وَأَهْلِ
مَوَاشِيهِمْ، وَكَانَ نَقْصُ الثَّمَرَاتِ فِي أَمْصَارِهِمْ) ^(١).

﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ فَيَتَبَيَّنُوا أَنَّ ذَلِكَ لِإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ.

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ من الخصب والرخاء.

﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي: هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها، واللام مثلها في

قولك: الجلل للفرس.

﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ من جذب وضيقة.

﴿يَطَّيَّرُوا﴾ أي: يتطيروا ﴿بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ﴾ ويتشاءموا بهم ويقولوا: لولا

مكانهم لما أصابتنا، كما قال الكفار لرسول الله ﷺ: ﴿هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ ^(٢).

﴿إِنَّمَا طَّيَّرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو

(١) الكشف ج ١: ١٤٤.

(٢) النساء: ٧٨.

حكيمته ومشيتته، والله هو الذي يشاء ما يصيبهم وليس شؤم أحد ولا يمنه بسبب فيه، كقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(١).

وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ
 (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ
 آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكَبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ
 عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ آدُعُنَا رَبَّكَ بِمَا عَهَدْتَ عِنْدَكَ لِيْنَ
 كُشِفَتْ عَنْهُ الرِّجْزُ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلَتُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
 (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بِلُغْوِهِ إِذَا
 هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٥) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا
 بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦)

﴿مَهْمَا﴾ هي (ما) المتضمنة معنى الجزاء ضُمَّت إليها (ما) المزيدة المؤكدة للجزاء في نحو: ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا﴾^(٢)، و﴿وَأَمَّا نُرِيكَ﴾^(٣) إلا أَنَّ الألف قلبت هاء استقلاً لتكرير المتجانسين. ومحلّ ﴿مَهْمَا﴾ الرفع بمعنى: أيما شيء تأتينا به، أو النصب بمعنى: أيما شيء تحضرنا تأتينا به، و﴿مِنْ آيَةٍ﴾ تبين لـ ﴿مَهْمَا﴾ وذكر الضمير في ﴿بِهِ﴾ على اللفظ وفي ﴿بِهَا﴾ على المعنى، وقد رجع كلاهما إلى ﴿مَهْمَا﴾ وهو في معنى الآية، ونحوه قول زهير:

وَمَهْمَا يَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخَفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ^(٤)

(١) النساء: ٧٨.

(٢) النساء: ٧٨.

(٣) يونس: ٤٦.

(٤) شعر زهير بن أبي سلمى: ٢٨، وفيه: ومهما تكن....

والمعنى: إنهم قالوا لموسى: أَيَّ شَيْءٍ ﴿تَأْتِنَا بِهِ مِنْ﴾ الْآيَاتِ ﴿لِتَسْحَرَنَا﴾ لَتَمُوهُ عَلَيْنَا ﴿بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ﴾ بِمَصْدَقِينَ، أَرَادُوا أَنَّهُمْ مَصْرُونَ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَإِنِ أَتَى بِجَمِيعِ الْآيَاتِ.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ وهو ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل، قيل: إِنَّهُ أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ حَتَّى كَادُوا يَهْلِكُونَ، إِذِ امْتَلَأَتْ بَيْوتُهُمْ مَاءً حَتَّى قَامُوا فِي الْمَاءِ إِلَى تَرَاقِيهِمْ فَمَنْ جَلَسَ غَرِقَ، وَلَمْ يَدْخُلْ بَيْوتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَطْرَةً^(١)، وَقِيلَ: الطُّوفَانُ: الْجَدْرِي^(٢)، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ عَذَّبُوا بِذَلِكَ فَبَقِيَ فِي الْأَرْضِ، وَقِيلَ: هُوَ الْمَوْتُ الذَّرِيعُ^(٣).

فَقَالُوا لِمُوسَى ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يَكْشِفُ عَنَا وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِكَ، فَدَعَا فَرَفَعَ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَرَادَ فَأَكَلَتْ عَامَةٌ زَرْعَهُمْ وَثَمَارَهُمْ، ثُمَّ أَكَلَتْ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْأَبْوَابَ وَسُقُوفَ الْبَيْوتِ، وَلَمْ يَدْخُلْ بَيْوتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْهَا شَيْءٌ، فَفَرَّعُوا إِلَى مُوسَى، فَدَعَا فَكَشَفَ عَنْهُمْ، فَمَا آمَنُوا.

فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقُمَّلَ وَهُوَ الْحَمَّانُ كِبَارُ الْقَرْدَانِ، وَقِيلَ: الدُّبَا وَهُوَ أَوْلَادُ الْجَرَادِ^(٤)، وَقِيلَ: الْبَرَاغِيثُ^(٥)، وَكَانَ يَدْخُلُ بَيْنَ ثَوْبِ أَحَدِهِمْ وَيَبِينُ جِلْدَهُ فَيَمْصُهُ، فَفَرَّعُوا إِلَى مُوسَى، فَرَفَعَ عَنْهُمْ، فَقَالُوا: قَدْ تَحَقَّقْنَا الْآنَ أَنَّكَ سَاحِرٌ.

(١) معالم التنزيل ج ٢: ٢٣.

(٢) عن أبي قلابة معالم التنزيل ج ٢: ٢٣.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٩: ٢١.

(٤) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٩: ٢٢.

(٥) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ٩: ٢٢.

فأرسل الله عليهم الضفادع فامتلات منها أبنتهم^(١) وأطعمتهم، وكان الرجل منهم إذا أراد أن يتكلم وثب الضفدع إلى فيه، فضجوا وفزعوا إلى موسى وقالوا: ارحنا هذه المرة ونتوب ولا نعود، فدعا فكشف عنهم، ولم يؤمنوا.

فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماً، وإذا شربه الإسرائيلي كان ماء، وكان القبطي يقول للإسرائيلي: خذ الماء في فيك وصبه في في، فكان إذا صبه في فم القبطي تحوّل دماً، وعطش فرعون حتى أشفى على الهلاك فكان يمص الأشجار الرطبة، فإذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحاً أجاباً، وروي: أن موسى ﷺ مكث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات^(٢).

﴿ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ مبيّنات ظاهرات، أو فصل بين بعضها وبعض بزمان تمتحن فيه أحوالهم وينظر أيوفون بما وعدوا من أنفسهم أم ينكثون، إلزاماً للحجة عليهم.

﴿بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ﴾ (ما) مصدرية أي: بعهده عندك وهو النبوة، والباء: إما أن يتعلق بقوله: ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ على وجهين: أحدهما: أسعفنا إلى ما نطلب إليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله، أو ادع الله متوسلاً إليه بعهده عندك؛ وإما أن يكون قسماً أي: أقسمنا بعهده عندك ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾.

وقوله: ﴿إِلَّا أَجَلٌ﴾ إلى حدّ من الزمان ﴿هُم بَلَّغُوهُ﴾ لا محالة فيعذبون فيه.

﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ جواب (لما)، يعني: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ﴾ فاجأوا

(١) في ب، ج: أنيتهم.

(٢) الكشف ج ٢: ١٤٨.

النكت وبادروه ولم يؤخروه.

﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ فأردنا الانتقام منهم.

﴿فَاغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ أي: البحر الذي لا يدرك قعره، وقيل: هو لجة البحر.

﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا﴾ أي: كان إغراقهم بسبب تكذيبهم ﴿بِقَائِلِنَا﴾ وغفلتهم

عنها.

وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ
وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي
إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ
وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا
عَلَىٰ قَوْمٍ يَمْكُنُونَ عَلَىٰ أَصْنَانٍ لَهُمْ قَالُوا يَمْسُوسُ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا
كَمَا لَهُمُ الْهَةُ قَالِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ مَّا هُمْ فِيهِ
وَيُطِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالِ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا
وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾

﴿الْقَوْمَ﴾ هم بنو إسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه.

﴿الْأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام، ملكها بنو إسرائيل بعد العمالة والفراعنة،

فتصرّفوا في نواحيها الشرقية والغربية كيف شاءوا.

﴿الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ بأنواع الخصب من الزروع والثمار والعيون والأنهار.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ﴾ وهو قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ

اسْتَضَعُوا... إلى قوله: مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾^(١)، و﴿الْحُسْنَىٰ﴾ تأنيث (الأحسن)

صفة للكلمة ومعنى تمت على بني إسرائيل: مضت عليهم، من قولك: تم على الأمر: إذا مضى عليه واستمر.

﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بسبب صبرهم.

﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ ما كانوا يعملونه من العمارات وبناء القصور ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ من الجنات. وقرئ: يعرشون - بضم الراء وكسرهما .. وهذا آخر ما اقتص الله سبحانه من نبأ فرعون والقبض وتكذيبهم بآيات الله.

ثم اقتص سبحانه نبأ بني إسرائيل وما أحدثوه بعد إنقاذهم من فرعون ومعايبتهم الآيات العظام.

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾ يعني: النيل نهر مصر.

﴿فَاتَوَّأ﴾ فمروا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ قرئ بضم الكاف وكسرهما، يواظبون على عبادتها، وقيل: كانت تماثيل بقر^(١)، وذلك أول شأن العجل.

﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَّنَا صَنًا نَعْكُفُ عَلَيْهِ﴾ صناً نعكف عليه ﴿إِنهَا كَمَا هُمْ ءَالِهَةٌ﴾ أصنام يعكفون عليها. و(ما) كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها.

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ فوصفهم بالجهل المطلق، لتعجبه من قولهم عقيب ما رأوا من الآيات الباهرة.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ يعني: عبدة التماثيل.

﴿مُتَّبِعٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ أي: مدمر مكسر ما هم فيه من عبادة الأصنام، أي: يتبر

الله دينهم ويهدمه على يدي، ويحطم أصنامهم هذه ويجعلها رضاءاً.

﴿وَنُظِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: ما عملوا شيئاً من عبادتها فيما سلف إلا

وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به.

﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾ أغير الله المستحق للعبادة أطلب لكم

معبوداً، وهو فعل بكم ما فعل من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها أحداً غيركم

لتخصّوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره؟! ومعنى الهمة الإنكار والتعجب من

طلبهم عبادة غير الله مع كونهم مغمورين في نعمة الله.

وَإِذْ أَخْبَجْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ

يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ

رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ

فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَزْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ

اخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾

وقرئ: أنجاكم.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: ييغونكم شدة العذاب، من سام

السلعة: إذا طلبها، وهي جملة في موضع الحال من المخاطبين، أو من آل فرعون، أو

جملة مستأنفة لا محل لها.

﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الإنجاء أو العذاب، والبلاء: النعمة أو المحنة.

وقرئ: يَقْتُلُونَ - بالتخفيف ..

كان موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهاهم بكتاب

من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون، فلما هلك فرعون سأل موسى ربه

الكتاب، فأمره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة، ثم أنزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها، وعن الحسن: (كان الموعد أربعين ليلة، فأجل في سورة البقرة^(١))
وفصل هاهنا^(٢).

﴿وَمِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ ما وقت له من الوقت وضربه له، و﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾
نصب على الحال، أي: تم الميقات بالغاً هذا العدد.
﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ وقت خروجه إلى الميقات.
﴿وَهَارُونَ﴾ جر عطف بيان ل﴿لأخيه﴾.
﴿اخْلُقْنِي فِي قَوْمٍ﴾ كن خليفتي فيهم.

﴿وَأَصْلَحْ﴾ وكن مصلحاً، أو أصلح ما يجب أن يصلح من أمور بني إسرائيل
في حال غيبيتي، ومن دعاك منهم إلى الإفساد فلا تطعه ولا تتبعه. وفي هذا دلالة على
أن منزلة الإمامة غير داخلية في النبوة، إذ لو كانت داخلية فيها لما احتاج هارون إلى
استخلاف موسى إياه في القيام بأمر أمته مع كونه نبياً.

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ
قَالَ لَنْ رَرْنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ
تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا
فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٦﴾

﴿لِمِيقَاتِنَا﴾ أي: لوقتتنا الذي وقتنا له وحددناه، ومعنى اللام الاختصاص،
فكانه قال: واختص مجيئه لميقاتنا، كما تقول: أتيتك لخمسة خلون من الشهر.

(١) الآية: ٥١.

(٢) التبيان ج ٤: ٥٦٥.

﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ من غير واسطة كما يكلم الملك، وتكليمه أن ينشئ الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطاً في اللوح، لأن الكلام عرض لا بد له من محل يقوم به، وروي: أنه ﷺ كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة^(١).

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ المفعول الثاني محذوف، يعني: أريني نفسك أنظر إليك، أي: اجعلني متمكناً من رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر إليك وأراك، وإنما طلب الرؤية لقومه حين قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(٢)، ولذلك دعاهم سفهاء وضلالاً، وقال: لما أخذتهم الرجفة: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾^(٣)، ولم يسأل ذلك إلا بعد أن أنكر عليهم وتبهمهم على الحق فلعجوا وتمادوا في لجاجهم، فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة الرؤية عليه، وهو قوله: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ ليتيقنوا وتزول شبهتهم.

ومعنى ﴿لَنْ﴾: تأكيد النفي الذي تعطيه (لا)، وذلك أن (لا) تنفي المستقبل، تقول: لا أفعل غداً، فإذا أكدت النفي قلت: لن أفعل غداً، والمعنى: إن فعله ينافي حالي، كقوله سبحانه: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾^(٤). فقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٥) نفي للرؤية فيما يستقبل، وقوله: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ تأكيد وبيان أن الرؤية منافية لصفاته.

﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ معناه: إن النظر إلى محال فلا تطلبه، ولكن عليك

(١) عيون أخبار الرضا ج ١: ١٥٩ بالمعنى.

(٢) البقرة: ٥٥.

(٣) الأعراف: ١٥٥.

(٤) الحج: ٧٣.

(٥) الأنعام: ١٠٣.

بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعَل به، وكيف أجعله دكاً بسبب طلبك الرؤية، لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره، كأنه جلّ جلاله حَقَّق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله: ﴿وَتَخَرَّ الْجِبَالُ هَذَا أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾^(١).

﴿فَإِنْ أَسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ كما كان مستقراً ثابتاً ﴿فَسَوْفَ تَرِنِّي﴾ تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكاً ويسويه بالأرض.

﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ أي: ظهر له اقتداره وتصدى له أمره وإرادته.

﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أي: مذكوكاً، مصدر بمعنى مفعول، والدك والدق مثلان، وقرئ: دكاء، والدكاء: الربوة الناشزة من الأرض لا تبلغ أن تكون جبلاً، أو يريد أرضاً دكاء: مستوية، من قولهم: ناقة دكاء: مستوية السنام.

﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ من هول ما رأى، وصعق من باب فعلته ففعل، تقول: صعقته فصعق وأصله من الصاعقة، ومعناه: خرّ مغشياً عليه غشية كالموت.

﴿فَلَمَّا آفَقَ﴾ من صعقته ﴿قَالَ سُبْحَنَكَ﴾ أنزهك مما لا يجوز عليك.

﴿ثَبَّتْ إِلَيْكَ﴾ من طلب الرؤية ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنك لا ترى.

وقيل: في الآية وجه آخر: وهو أن يكون المراد بقوله: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ عرّفني نفسك تعريفاً واضحاً جلياً بإظهار بعض آيات الآخرة التي تضطر الخلق إلى معرفتك ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ أعرفك معرفة ضرورية كآتي أنظر إليك، كما جاء في

الحديث: ((سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر))^(١) بمعنى: ستعرفونه معرفة جليلة هي في الجلاء مثل إبصاركم القمر إذا امتلأ واستوى بدرًا.

قال: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ لن تطبق معرفتي على هذه الطريقة، ولن تحتمل قوتك تلك الآية.

﴿وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَلَلِ﴾ فإني أورد عليه آية من تلك الآيات ﴿فَإِنْ﴾ ثبت لتجليها و﴿أَسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ﴾ تثبت لها ونطيقها.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ لَبَّيْ رَبُّهُ﴾ فلما ظهرت للجبل آية من آيات ربه ﴿جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ لعظم ما رأى.

﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتِ الْإِنْسَانِ﴾ مما اقترحت ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بعظمتك وجلالك.

قَالَ يَمُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

﴿قَالَ﴾ الله سبحانه ﴿يَمُوسَى إِنِّي﴾ اتخذتك صفوة وفضلتك ﴿عَلَى﴾ أهل زمانك من ﴿النَّاسِ بِرِسَالَتِي﴾ وهي أسفار التوراة، وقرئ: برسالتني - على التوحيد.. ﴿وَبِكَلِمِي﴾ وبتكليمي إياك.

﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ أي: أعطيتك من شرف النبوة والحكمة.

﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ على النعمة في ذلك فهي من أجل النعم، وقيل:

خَرَّ موسى صِعْقاً يوم عرفة، وأُعطي التوراة يوم النحر^(١).

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾ يريد ألواح التوراة، واختلف في عددها وفي جوهرها: ف قيل: كانت سبعة ألواح^(٢)، وقيل: عشرة^(٣)، وقيل: لوحين^(٤). وأنها كانت من زمرد^(٥)، وقيل: من زبرجدة خضراء^(٦) أو ياقوتة حمراء^(٧)، وقيل: كانت من خشب نزل من السماء^(٨).

﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ في محلّ النصب مفعول ﴿وَكَتَبْنَا﴾، و﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً﴾ بدل منه، والمعنى: كتبنا له فيها كل شيء احتاجت إليه بنو إسرائيل في دينهم من المواعظ، وتفصيل الأحكام والحلال والحرام، وذكر الجنة والنار، وغير ذلك من العبر والأخبار.

﴿فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ﴾ أي: بجهد واجتهاد وإقبال وعزيمة، فعل أولي العزم من الرسل، وهو عطف على ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ﴾. والتقدير: فقلنا له: خذها، [ويجوز أن يكون بدلاً من قوله: ﴿فَخَذَ مَا آتَيْنَاكَ﴾، والضمير في ﴿فَخَذَهَا﴾^(٩) للألواح، أو لكل شيء لأنه في معنى الأشياء، أو للرسالات.

(١) عن الكلبي. العرائس: ١٢١.

(٢) عن ابن عباس. الدر المنثور ج ٣: ١٢١.

(٣) عن وهب بن منبه. معالم التنزيل ج ٢: ٢٨.

(٤) معاني القرآن وإعراجه ج ٢: ٣٧٥.

(٥) عن مجاهد الدر المنثور ج ٣: ١٢١.

(٦) عن الكلبي. معالم التنزيل ج ٢: ٢٨.

(٧) عن سعيد بن جبير. معالم التنزيل ج ٢: ٢٨.

(٨) عن الحسن. معالم التنزيل ج ٢: ٢٨.

(٩) ساقطة من ج.

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ أي: فيها ما هو حسن وأحسن كالاقتصاص والعفو، والانتصار والصبر، فمرهم أن يأخذوا بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب، كقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾^(١)، وقيل: يأخذوا بما هو واجب أو نذب، لأنه أحسن من المباح.

﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: منازل القرون الماضية المخالفة لأمر الله لتعتبروا بها، وقيل: دار الفاسقين نار جهنم^(٢)، فلتكن منكم على ذكر لتحذروا أن تكونوا منهم.

سَاصْرِفْ عَنْ عَائِنِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّاءً يَافِقُوا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِفَكَاءِ الْآخِرَةِ حَاطَّتْ أَعْمَلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾

﴿سَاصْرِفْ﴾ المتكبرين ﴿عَنْ عَائِنِي﴾ بالطبع على قلوبهم وخذلانهم، فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها. وفي الحديث: ((إذا عظمت أمتي الدنيا نزع عنها هبة الإسلام، وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي))^(٣). وقيل: معناه: سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون في إبطال آية موسى فأبى الله إلا علو أمره.

(١) الزمر: ٥٥.

(٢) عن الحسن وغيره. تفسير الطبري ج ٩: ٤١.

(٣) الدر المنثور ج ٢: ٣٠٢.

﴿يَغَيِّرِ الْحَقِّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون حالاً أي: يتكبرون غير محققين، لأن التكبر بالحق لله وحده.

والآخر: أن يكون صلة للتكبر أي: يتكبرون بما ليس بحق.

﴿وإِنْ يَرَوْا كَلَّاءَ يَأْتُوا﴾ من الآيات المنزلة عليهم ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ رفع أو نصب، أي: ذلك الصرف بسبب تكذيبهم، أو صرفهم الله ذلك الصرف بسببه.

﴿وَلَقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول به، أي: ولقائهم الآخرة

وما وعد الله فيها.

وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَّهُ خُورٌ
أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا
ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا
قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد خروجه إلى الطور.

﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ التي استعاروها من قوم فرعون وبقيت في أيديهم بعد هلاك فرعون وقومه، فاتخذ السامري منها ﴿عِجَلًا جَسَدًا﴾ لا روح فيه. وهو بدل من ﴿عِجَلًا﴾.

﴿لَهُ خُورٌ﴾ أي: صوت، والحلي جمع حلي، وقرئ: حليهم. بكسر الحاء. على

الإنباع، ومن حليهم على التوحيد، وهو اسم ما يتحسّن به من الذهب والفضة،

وقيل: كان جسداً ذا لحم ودم كسائر الأجساد^(١)، وعن الحسن: (إِنَّ السامري قبض قبضة من تراب أثر حافر فرس جبرئيل يوم قطع البحر، فقذفه في في العجل فكان عجلاً له خوار)^(٢).

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ حين اتخذوه إلهاً ﴿أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى كَلَامٍ وَلَا عَلَى هِدَايَةِ سَبِيلٍ حَتَّى لَا يَتَّخِذُوهُ مَعْبُوداً، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿أَتَتَّخِذُوهُ﴾ أَي: أَقْدَمُوا عَلَى مَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ الْمُنْكَرِ ﴿وَكَاثُوا ظُلُمَاتٍ﴾ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَلَمْ تَكُنْ عِبَادَةُ الْعَجَلِ أَمراً بدعاً منهم.

﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ وَلَمَّا اشْتَدَّ نَدَمُهُمْ عَلَى عِبَادَةِ الْعَجَلِ، لِأَنَّ مِنْ شَأْنٍ مِنْ اشْتَدَّتْ حَسْرَتُهُ أَنْ يَعْصِ عَلَى يَدَيْهِ غَمّاً فَتَصِيرُ يَدُهُ مَسْقُوطاً فِيهَا، لِأَنَّ فَاهُ قَدْ وَقَعَ فِيهَا.

﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ وَتَبَيَّنُوا ضَلَالَهُمْ بِعِبَادَةِ الْعَجَلِ حِينَ رَجَعَ إِلَيْهِمْ مُوسَى ﴿قَالُوا لَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾. وَقُرِئَ: لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنَا - بِالتَّاءِ - رَبَّنَا - بِالنَّصْبِ - عَلَى النَّدَاءِ - وَتَغْفِرْ لَنَا - بِالتَّاءِ - أَيْضاً. وَعَنِ الْحَسَنِ: (كُلُّهُمْ عَبْدُوا الْعَجَلِ إِلَّا هَارُونَ بِدَلَالَةِ قَوْلِ مُوسَى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾^(٣)، وَقَالَ غَيْرُهُ: لَمْ يَعْبُدْهُ الْكَلُّ^(٤)).

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ - عَظَبَنَ أَسِيفًا قَالَ يَنْسَا خَلْقَتُونِي مِنْ بَعْدِي
أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ
ابْنَ أُمٍّ إِنَّ أَلْقَوْمَ اسْتَصْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِي

(١) عن قتادة وغيره. معالم التنزيل ج ٢: ٢٩.

(٢) معالم التنزيل ج ٢: ٢٨.

(٣) التبيان ج ٤: ٥٨٠.

(٤) عن الجبائي. التبيان ج ٤: ٥٨٠.

الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي
وَلِإِخِي وَادْخُلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾

الأسف: الشديد الغضب، وقيل: الحزين^(١).

﴿قَالَ يَسْمَا خَلَقْتُونِي﴾ أي: قمتم مقامي وكتتم خلفائي ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله، وفاعل بش مضمير يفسره ﴿مَا خَلَقْتُونِي﴾، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: بش خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم. ﴿وَأَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ تقول: عجلت عن الأمر: إذا تركته غير تام، وأعجلني عنه غيري، ويضمن معنى سبق، فيقال: عجلت الأمر، فالمعنى: أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهد، فبنيتم الأمر على أن الميعاد قد بلغ آخره، وحدّثتم أنفسكم بموتي ففعلتم ما فعلتم، وروي: أن السامري قال لهم: إن موسى لن يرجع وأنه قد مات.

﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ﴾ أي: طرحها لما لحقه من الضجر غضباً لله وحمية لدينه. ﴿وَأَخَذَ رَأْسَ أَخِيهِ﴾ أي: بشعر رأسه ﴿بِحَبْرَةٍ إِلَيْهِ﴾ لشدة ما ورد عليه من الأمر.

﴿قَالَ﴾ هارون ﴿ابْنَ أُمِّ﴾ قرئ بالفتح تشبيهاً بخمسة عشر، وبالكسر على طرح ياء الإضافة. وعن الحسن: (والله لقد كان أخاه لأبيه وأمه، وإنما نسبه إلى الأم لأن ذكر الأم أبلغ وأنسب في الاستعطاف)^(٢).

﴿إِنَّ الْقَوْمَ﴾ الذين تركتني بين أظهرهم ﴿أَسْتَضْعِفُونِي﴾ قهروني واتخذوني

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٩: ٤٤.

(٢) التبيان ج ٤: ٥٨٢.

ضعيفاً، ولم آل جهداً في كفهم بالإنذار والوعظ.

﴿وَكَاذِبُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ أي: هموا يقتلي لشدة إنكاري عليهم.

﴿فَلَا تُشْمِتُ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ فلا تفعل بي ما هو أمانيتهم من الإساءة بي.

﴿وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: قريناً لهم في إظهار المودة عليّ.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي﴾ بين بهذا الدعاء أنّه لم يجر رأسه إليه لعصيان

وجد منه، وإنّا فعله كما يفعل الإنسان بنفسه عند شدة الغضب على غيره.

﴿وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ أي: نعمتك وجنتك.

إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ

ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَأَمَتُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي تَشْخِطِهَا

هَدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾

﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ الغضب: ما أمروا به من قتل أنفسهم، والذلة:

خروجهم من ديارهم، لأنّ الغربة ذلة، وقيل: هي الجزية المضروبة عليهم^(١).

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ على الله، ولا فرية أعظم من قول السامري:

﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُّوسَى﴾^(٢).

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ من الكفر والمعاصي.

﴿ثُمَّ تَابُوا﴾ رجعوا ﴿مِن بَعْدِهَا﴾ إلى الله وأخلصوا الإيمان.

(١) عن ابن عباس. معالم التنزيل ج ٢: ٢٩.

(٢) طه: ٨٨.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ﴾ بعد تلك العظائم ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ هذا مثل، كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له: ألقى الألواح وجرّ برأس أخيك إليك فترك النطق بذلك، والمعنى: ولما طفى غضبه ﴿أَخَذَ الْأَلْوَحَ﴾ التي ألقاها.

﴿وَفِي نُشْخَتِهَا﴾ وفيما نسخ فيها وكتب، والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة.

﴿هُدًى﴾ دلالة وبيان لما يحتاج إليها من أمور الدين.

﴿وَرَحْمَةً﴾ ونعمة ومنفعة ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ دخلت اللام لتقدم المفعول، تقول: لك ضربت، ونحوه: ﴿لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(١).

وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتْلِكُهُمَا فَعَلَ
السُّفَهَاءُ مِنَّا إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن
تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

تقديره: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى﴾ من قومه فحذف الجار ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ خرج بهم إلى طور سيناء لميقات ربه، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله، ودنا موسى ودخل فيه ودخلوا وسجدوا فسمعوا كلام الله، ثم انكشف الغمام فطلبوا الرؤية فأنكر عليهم، فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(٢) فقال: ﴿رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ فأجيب بـ ﴿لَنْ تَرَانِي﴾، ورجف بهم الجبل فصعقوا.

(١) يوسف: ٤٣.

(٢) البقرة: ٥٥.

﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ ﴿مُوسَى ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي ﴿، وهذا تمن منه للإهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية ﴿أَتَهْلِكُنَا﴾ يعني: نفسه وإياهم ﴿بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ لأنه إنما طلب الرؤية زجراً للسفهاء وهم طلبوه سفهاً وجهلاً.

﴿إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي: محتك وإبتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك، فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالاً فاسداً حتى افتننوا وضلوا.

﴿تَضِلُّ بِهَا﴾ بالمحنة الجاهلين أي: غير الثابتين في معرفتك ﴿وَتَهْدِي﴾ العالمين بك. وجعل ذلك إضلالاً وهدى من الله، لأن محنته لما كانت سبباً لأن ضلوا واهتدوا، فكانه أضلهم بها وهداهم.

﴿أَنْتَ وَلِيِّنَا﴾ مولانا والقائم بأمورنا.

وَأَكْتَبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا
إِلَيْكَ قَالَ عَذَابٌ أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ
شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ
بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي
يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي
كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
التَّوْرَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

أي: أثبت ﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي: عافية وحياة طيبة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الجنة.

﴿إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ﴾ أي: تبنا إليك، من هاد إليه: إذا رجع وتاب، والهود جمع هائد وهو التائب.

﴿قَالَ عِدَائِي﴾ من صفته أي ﴿أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءَ﴾ ممن عصاني واستحقه بعصيان.

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب في نعمتي.

﴿فَسَأَلْتُنِي﴾ هذه الرحمة كتبه خاصة منكم يا بني إسرائيل.

﴿لِلَّذِينَ﴾ يكونون في آخر الزمان من أمة محمد ﷺ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ﴾ بجميع آياتنا وكتبنا ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ لا يكفرون بشيء منها.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾ الذي نوحى إليه كتاباً مختصاً به وهو القرآن.

﴿الَّذِينَ﴾ المؤيد بالمعجزات.

﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ﴾ أي: يجدون نعته أولئك الذين يتبعونه من بني إسرائيل

﴿مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ﴾ ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة كالشحوم وغيرها، أو

ما طاب في الشريعة.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ﴾ ما يستخبث نحو الميتة والدم ولحم الخنزير، أو

ما خبث في الحكم من المكاسب الخبيثة.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ والإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه أي: يحبس

من الحراك لثقله، وهو مثل لثقل تكليفهم نحو قتل الأنفس في التوراة، وكذلك

﴿الْأَغْلَلِ﴾ مثل لما كان في شرائعهم من التكاليف الشاقة، نحو قرض موضع

النجاسة من الجلد والثوب، وإحراق الغنائم، وتحريم السبت.

﴿وَعَزَّزُوهُ﴾ ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو، وأصل العزر: المنع، ومنه

التعزيز للضرب دون الحد، لأنه يمنع من معاودة القبيح.

و﴿التَّوْرَ﴾ القرآن.

﴿أَنْزَلَ مَعَهُ﴾ أي: مع نبوته. أو تعلق ﴿مَعَهُ﴾ بـ ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أي: واتبعوا

القرآن الذي أنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته، أو واتبعوا القرآن كما اتبعه النبي

تصاحبونه في اتباعه.

قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ

مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَتَمِنُوا

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ

وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ

يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا

أُمَّا وَأَوْحِينَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ

بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَأَنْجَحْتَ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ

كُلُّ آناسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ

الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا

ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾

﴿جَمِيعًا﴾ نصب على الحال من ﴿إِلَيْكُمْ﴾.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في موضع الجر على الوصف لله، أو

النصب على المدح بإضمار أعني، و﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بدل من الصلة التي هي ﴿لَهُ

مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وكذلك ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، وفي ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بيان

للجملة قبلها، لأنّ من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة، وفي ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ بيان لاختصاصه بالإلهية، لأنّه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره.

﴿وَكَلِمَتِهِ﴾ يريد بها ما أنزل عليه وعلى من تقدّمه من الرسل.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إرادة أن تهتدوا.

﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّؤَسَّئِينَ أُمّةٌ﴾ هم المؤمنون التائبون من بني إسرائيل.

﴿يَهْدُونَ﴾ الناس بكلمة ﴿الْحَقِّ﴾ ويدلّونهم على الاستقامة ويرشدونهم، وبالْحَقِّ ﴿يَعْدِلُونَ﴾ بينهم في الحكم لا يجورون. أو أراد الذين وصفهم ممن أدرك النبي ﷺ وآمن به من أعقابهم، وقيل: إنّهم قوم من بني إسرائيل فتح الله لهم نفقاً في الأرض حتى خرجوا من وراء الصين، وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا^(١).

﴿وَقَطَّعْنَهُمْ﴾ وصيّرتناهم قطعاً أي: فرقاً، وميّزنا بعضهم من بعض.

والأسباط: أولاد الولد جمع سبط، والأسباط في ولد يعقوب بن إسحاق بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل، وكانوا اثنا عشر سبطاً. وقوله: ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل من ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ والمميّز محذوف، والتقدير: اثنا عشرة فرقة.

﴿وَأُمَمًا﴾ نصب على الحال، يعني: إنّ كل سبط من الأسباط كانت أمة عظيمة وجماعة كثيرة.

﴿فَأَنْبَجَسَتْ﴾ فانفجرت وهو الانفتاح بسعة وكثرة، قال العجاج:

وَكَيْفَ غَزَبَى دَالِجٍ تَبَجَّسًا^(٢)

(١) عن ابن جريج. تفسير الطبري ج ٩: ٦٠.

(٢) ديوان العجاج ج ١: ١٨٥.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ أي: كل أمة من تلك الأمم ﴿مَتَشَرَبَهُمْ﴾، والأناس جمع غير تكسير نحو: رخال^(١) وتؤام وأخوات لها.

وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا تَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿١٦٤﴾

﴿الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس. وقرئ: تغفر لكم خطيئاتكم وخطيئتكم أيضاً، وقرئ: تغفر لكم. بالنون. خطيئاتكم وخطاياكم.

وسلهم واسأل اليهود، وقرئ: ﴿وَسَأَلَهُمْ﴾ وهو سؤال تقرير وتقريع بتقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله. ﴿حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ قريبة منه.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ إذ يتجاوزون حد الله فيه، وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه. والسبت مصدر سبتت اليهود: إذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعب، وكذلك قوله: ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ معناه: يوم تعظيمهم

(١) رخال جمع رخل وهي الأنثى من أولاد الضأن. (الصحاح: مادة رخل)

أمر السبت، و﴿إِذْ يَعْدُوتِ﴾ محله جر بدل من ﴿الْقَرْيَةِ﴾ والمراد بالقرية أهلها. والتقدير: واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو بدل الاشتغال، ويجوز أن يكون منصوب المحل بـ﴿كَانَتْ﴾ أو بـ﴿حَاضِرَةً﴾، و﴿إِذْ تَأْتِيَهُمْ﴾ منصوب بـ﴿يَعْدُوتِ﴾، ويجوز أن يكون بدلاً بعد بدل.

﴿شُرْعًا﴾ ظاهرة على وجه الماء، وعن الحسن: (تشرع الحيتان على أبوابهم كأنها الكباش البيض)^(١)، يقال: شرع علينا فلان: إذا دنا منا وأشرف علينا. ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك البلاء نبلوهم بسبب فسقهم.

﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾ معطوف على ﴿إِذْ يَعْدُوتِ﴾ وإعرابه إعرابه.

﴿أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ أي: جماعة من أهل القرية من صلحائهم يثسوا من قبولهم وعظهم لآخرين كانوا ينهونهم ويعظونهم.

﴿لَمْ يَعْظُوا قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ أي: ختمهم في الدنيا بسبب معصيتهم ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الآخرة.

قال الواعظون: ﴿مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكَ﴾ أي: موعظتنا معذرة إلى الله، وتأدية لفرضه في النهي عن المنكر ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ولطمعنا أن يتقوا ويرجعوا. وقرئ: معذرة - بالنصب - أي: وعظناهم معذرة، أو اعتذرنا معذرة.

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْبَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ يعني: أهل القرية، أي تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي

لما ينسأه ﴿أَجْمَعًا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ أي: شديد.

ولم يذكر الفرقة الثالثة التي قالت: ﴿لَمْ نَعْظُوهُمْ﴾ أهي من الناجية أم من الهالكة. واختلف في ذلك: فقيل: هلكت الفرقتان ونجت الفرقة الناهية^(١)، وروي ذلك عن الصادق عليه السلام^(٢)، وقيل: نجت الفرقتان وهلكت الواحدة وهي الآخذة للحيثان^(٣)، لأن الناهي إذا علم أن النهي لا يؤثر في المنهي سقط عنه النهي. وقرئ: بعذاب بيس على تخفيف العين من بشس ونقل حركتها إلى الفاء، وقلب الهمزة ياء كذيب في ذئب، وقرئ - أيضاً - بالهمزة، وقرئ: بيس، على وزن فيعل فيكون وصفاً كضيقم.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾ أي: تكبروا عن ترك ما نهوا عنه.

﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً﴾ عبارة عن مسخهم قردة.

﴿خَسِيفَ﴾ مطرودين مبعدين، وقيل: إتهم بقوا كذلك ثلاثة أيام ينظر إليهم الناس ثم هلكوا ولم يتناسلوا^(٤).

وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكَ لِبَعَثَنَّا عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ
سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ
(١٧٧) وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ
دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١١٨)

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ٩: ٦٧.

(٢) الكافي ج ٨: ١٥٨.

(٣) عن السدي وغيره. تفسير الطبري ج ٩: ٦٤.

(٤) عن ابن عباس. الكشف والبيان ج ٤: ٢٩٨.

هو تفعل من الإيذان وهو الإعلام. ومعناه: واذكر ﴿وَإِذْ﴾ عزم ﴿رَبُّكَ﴾ لأن العازم على الأمر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله، وأجري مجرى فعل القسم كـ ﴿عَلِمَ اللَّهُ﴾^(١) و ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾^(٢)، ولذلك أجيب بها بيجاب به القسم وهو قوله: ﴿لَيَبْعَنَّ﴾، فكانه قال: ﴿وَإِذْ﴾ كتب ﴿رَبُّكَ﴾ على نفسه وأوجب ﴿لَيَبْعَنَّ﴾ على اليهود ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ فكانوا يؤدون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث الله محمداً ﷺ [ثم ضربها عليهم]^(٣) فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر.

ومعنى ﴿لَيَبْعَنَّ﴾: ليسلطن عليهم كقوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾^(٤).
﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ أي: فرقناهم في البلاد فرقاً وجماعات شتى، فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم.

﴿مِنْهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وهم الذين آمنوا بالله ورسوله.
﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: ومنهم ناس دون ذلك الوصف أي: منحطون عنه، فقوله: ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾ في محل الرفع، لأنه صفة لموصوف محذوف، ونحوه قوله: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾^(٥) أي: وما منا أحد إلا له مقام.
﴿وَبَوَّأْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ بالنعم والنقم والمنح والمحن.

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) آل عمران: ١٨.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) الإسراء: ٥.

(٥) الصافات: ١٦٤.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ينتهون فينبون^(١).

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى
وَيَقُولُونَ سِغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ
مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْذَّارُ
الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يَمَسُكُونَ
بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد المذكورين ﴿خَلْفٌ﴾ وهم الذين كانوا في
زمن رسول الله ﷺ. قال الفراء^(٢): يقال: خَلَفَ صدق، وخَلَفَ سوء. بالسكون^(٣)،
قال لبيد:

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْثَانِهِمْ وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ^(٤)

﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ بقيت التوراة في أيديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويدرسونها
ولا يعملون بها.

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي: متاع هذا الشيء الأدنى، يريد الدنيا وما
يتمتع به منها. وفي قوله: ﴿هَذَا الْأَدْنَى﴾ تحقير وتخسيس، وهو: إما من الدنو
بمعنى القرب، وإما من الدناءة وسقوط الحال. والمراد: ما كانوا يأخذونه من
الرشا في الأحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة.

(١) في أ: يتنبهون فينتبهون.

(٢) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي، إمام العربية، كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي،
مات سنة ٢٠٧ هـ عن سبع وستين سنة. ينظر: بغية الوعاة ج ٢: ٣٣٣.

(٣) معاني القرآن للفراء ج ١: ٣٩٩.

(٤) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ٣٦.

﴿وَيَقُولُونَ سَيُعْفِرُ لَنَا﴾ أي: لا يؤاخذنا الله بما أخذنا.

﴿وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾ الواو للحال، أي: يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون إلى مثل فعلهم.

﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين الميثاق في التوراة أن لا يكذبوا على الله ولا يضيفوا إليه إلا ما أنزله، كأنه قيل: ألم يقل لهم: أن لا تقولوا على الله إلا الحق.

﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ وقرأوا ما فيه فهم ذاكرون لذلك.

﴿وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ من ذلك العرض الحقيق ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ محارم الله.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قرئ بالياء والتاء.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ مرفوع بالابتداء، وخبره: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾، والمعنى: لا نضيع أجرهم، وضع الظاهر موضع المضمَر، لأنَّ المصلحين في معنى ﴿الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾. ويجوز أن يكون مجروراً عطفاً على ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، ويكون قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ اعتراضاً.

وَإِذْ نَقَعْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا

ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾

﴿نَقَعْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ قلعناه ورفعناه كقوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾^(١).

والظلة: كل ما أظلك من سقيفة.

﴿وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ وعلموا أنه ساقط عليهم، وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة، فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم، وكان فرسخاً في

فرسخ، وقيل لهم: إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم، فلما نظروا إلى الجبل خزوا سجداً على أحد شقي وجوههم ينظرون إلى الجبل فرقاً من سقوطه.

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَكُمْ يَقْوَةٌ﴾ على إرادة القول، أي: وقلنا: خذوا، أو قائلين:

خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة أي: بجذ وعزم على احتمال تكاليفه.

﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ من الأوامر والنواهي ولا تنسوه.

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ
إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ
قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾
وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

وقرئ: ذرياتهم. ومن أفرد فللاستغناء عن جمعه لوقوعه على الجمع، ألا

ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾. ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بدل من ﴿بَنِي
آدَمَ﴾ بدل البعض من الكل.

ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم: إخراجهم من أصلابهم، وقوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ وقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ من باب التمثيل. والمعنى في
ذلك إنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته، وشهدت بها عقولهم التي ركبها فيهم وجعلها
مميزة بين الضلالة والهداية، فكانه أشهدهم ﴿عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ وقررهم وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ
بِرَبِّكُمْ؟﴾ وكأنهم ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أنت ربنا ﴿شَهِدْنَا﴾ على أنفسنا وأقرنا بربوبيتك.

﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ مفعول له، أي: نصبنا الأدلة التي تشهد العقول على صحتها

كراهة أن تقولوا ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ لم ننبه عليه، ﴿أَوْ﴾
كراهة أن ﴿نَقُولُوا﴾: ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدينا

بهم، لأنّ نصب الأدلة على التوحيد قائم معهم، فلا عذر لهم في الإعراض عنه والإقبال على تقليد الآباء والافتداء بهم، [كما لا عذر لأبائهم^(١)] في الشرك وقد نصبت الأدلة لهم على التوحيد.

﴿أَفَنُكِّنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك لنا وتقدّمهم فيه.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك التفصيل البليغ ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ لهم.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وإرادة أن يرجعوا عن شركهم نفصلها، وقرئ: أن يقولوا - بالياء ..

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ
الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْفَاوِيسِ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا
وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ
إِنْ تَحِمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾
سَاءَ مَثَلًا لِّلْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ
﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِىٌّ وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

﴿وَأَتْلُ﴾ على اليهود خبر ﴿الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا﴾ هو عالم من علماء بني إسرائيل أوتي علم بعض كتب الله، وقيل: هو من الكنعانيين، واسمه بلعم بن باعورا^(٢).

(١) ساقطة من ج.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ٩: ٨٢.

﴿فَأَنسَلَخَ مِنْهَا﴾ من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره.
﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ فلحقه الشيطان وأدركه وصار قريناً له، أو فأتبعه
خطواته.

﴿فَكَانَ مِنَ الْفَاقِينَ﴾ أي: من الضالين الكافرين. قال الباقري: ((الأصل فيه بلعم، ثم ضربه الله مثلاً لكل مؤثر هواه على هدى الله من أهل
القبلة))^(١).

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أي: لعظمناه ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء
بتلك الآيات.

﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مال إلى الدنيا ورغب فيها، وإنما علّق رفعه
بمشيئة الله تعالى ولم يعلّقه بفعله الذي يستحقّ به الرفع، لأنّ مشيئة الله رفعه تابعة
للزومه الآيات، فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له، فكأنه قيل: ولو لزمها
لرفعناه بها. ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ فاستدرك المشيئة
بإخلاده الذي هو فعله، فوجب أن يكون ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ في معنى ما هو فعله.

﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ أي: فصفته كصفة الكلب في أحسن أحواله،
وهي حال دوام اللهث به واتصاله، سواء حمل عليه أي: شدّ عليه وهيج فطرد
أو ترك غير محمول عليه، وذلك أنّ سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا هيج
وحرك وإلا لم يلهث، والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعاً. فكان حقّ الكلام أن
يقال: ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض فحططناه، ولكن تمثيله بالكلب
في أحسن أحواله في معنى ذلك.

ومحل الجملة الشرطية النصب على الحال، كأنه قيل: كمثل الكلب ذليلاً دائماً الذلة لاهناً في الحالين. وقيل: إنَّ بلعم طلب منه قومه أن يدعوا على موسى ومن معه، فأبى وقال: كيف أدعو على من معه الملائكة!، فألحوا عليه حتى فعل، فخرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب^(١).

﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ من اليهود بعد ما قرأوا نعت رسول الله ﷺ في التوراة، وبشروا الناس بقرب مبعثه وكانوا يستفتحون به.

﴿فَأَقْصَصْ﴾ قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيحذرون مثل عاقبته إذا ساروا بسيرته وزاغوا شبه زيغه، ويعلمون أنك علمته من جهة الوحي فتزداد الحجة لزوماً لهم.

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾ أي: مثل القوم ﴿وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ تقديم المفعول به للاختصاص، فكأنه قيل: وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدّها إلى غيرها.

﴿فَهُوَ الْمُهْتَدَى﴾ فهو محمول على اللفظ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ محمول

على المعنى.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا
أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٦﴾ وَلِلَّهِ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ
سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٧﴾ وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ
وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٧٨﴾

أي: خلقنا ﴿كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ على أنَّ مصيرهم إلى جهنم بسوء اختيارهم، وهم الذين علم الله أنَّه لا لطف لهم. جعلهم سبحانه في أنهم لا يتدبرون أدلة الله وبيّناته بعقولهم، ولا ينظرون إلى مخلوقاته نظر اعتبار، ولا يسمعون ما يتلى عليهم من المواعظ والأذكار، ولا يأتي منهم إلا أفعال أهل النار؛ مخلوقين للنار. ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم التدبّر والتفكر والنظر للاعتبار.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ فإنَّ البهائم إذا زجرت انزجرت، وإذا أرشدت إلى طريق اهتدت، وهؤلاء لا يهتدون إلى شيء من أمور الديانات مع ما ركب فيهم من العقول الدالة على الرشاد الصارفة عن العناد.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَافِقُونَ﴾ الكاملون في الغفلة.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ التي هي أحسن الأسماء، لأنها تتضمن معاني حسنة، بعضها يرجع إلى صفات ذاته كالعالم والقادر والحي والإله، وبعضها يرجع إلى صفات فعله كالخالق والرازق والبارئ والمصور، وبعضها تفيد التمجيد والتقديس كالقدّوس والغني والواحد.

﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ فسّموه بتلك الأسماء.

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ أي: واركعوا الذين يعدلون بأسمائهم عما هي عليه فيسمّون بها أصنامهم، أو يصفونه [بها لا يليق به ويسمّونه بما لا يجوز تسميته به] ^(١).

﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ عن النبي ﷺ: أنَّه كان يقول إذا قرأها: ((هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾

أُمَّةٌ... الآية ﴿١٨١﴾^(٢)، وعن علي عليه السلام قال: ((والذي نفسي بيده، لتفترقن هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة ومن خلقنا أمة يهدون بالحق... الآية، فهذه التي تنجو))^(٣). وعن الباقر والصادق عليهما السلام أنها قالوا: ((نحن هم))^(٤).

وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾
وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَنْفَكُّوْا مَا بِصَاحِبِهِمْ
مِنْ حِجَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ
أَقْرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلاَ
هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾

الاستدراج من الدرجة بمنزلة الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة، والمعنى: سنستدريجهم قليلاً قليلاً إلى الهلاك حتى يقعوا فيه بغتة ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يراد بهم.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ عطف على ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ وهو داخل في حكم السين. ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ سَمَاهُ كِيداً [لأنه شبيه بالكيد]^(٥)، لأنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان.

﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُّوْا﴾ هؤلاء الكفار فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾ بمحمد ﷺ ﴿مِنْ

(١) الأعراف: ١٥٩.

(٢) تفسير الطبري ج ٩: ٩٢.

(٣) تفسير العياشي ج ٢: ٤٣، الدر المنثور ج ٣: ١٤٩.

(٤) تفسير العياشي ج ٢: ٤٢، الكافي ج ١: ٤١٤.

(٥) ساقطة من ط.

جَنَّةٍ ﴿١﴾ أي: جنون، وكانوا يقولون: شاعر مجنون. وعن قتادة: (إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عَلَى الصِّفَا فَدَعَاهُمْ فَخَذَا فَخْذًا يَحْذَرُهُمْ بِأَسِ اللَّهِ، فَقَالَ قَائِلُهُمْ: إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا لِمَجْنُونٍ بَاتَ يَهْوَتْ إِلَى الصَّبَاحِ) (١).

﴿أَوَّلَهُ يَنْظُرُوا﴾ ﴿فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿فِيهَا يَدْلَانِ عَلَيْهِ مِنْ عَظَمِ الْمَلِكِ.

﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس خلقه التي لا يحصرها العدد، وفي ﴿أَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ ولعلمهم يموتون عن قريب، فيسارعوا إلى النظر فيما ينجيهم قبل مغافصة الأجل (٢). و﴿أَنْ﴾ هذه مخففة من الثقيلة، وأصله: وأنه عسى، على أَنَّ الضمير ضمير الشأن.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ ﴿أَي: بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾. والمعنى: لعل أجملهم قد اقترب، فهاهم لا يبادرون إلى الإيمان بالقرآن قبل الفوت؟! وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا؟!.

وقرئ: ويذرهم بالياء والنون، وبالرفع والجزم، والرفع على الاستئناف، والجزم عطف على محل ﴿فَكَلَا هَادِي لَهْ﴾ كأنه قيل: من يضل الله لا يهده أحد ويذرهم.

يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَبَانَ مَرَسْنَهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا
لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ نَقَلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْنَةً
يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ

(١) تفسير الطبري ج ٩: ٩٣.

(٢) مغافصة الاجل: أخذه إياهم على غرة. (الصحيح: مادة غفص)

وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ
إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

الساعة: من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا، وسميت القيامة بـ﴿السَّاعَةِ﴾ لوقوعها بغتة، أو لأنها على طولها عند الله كساعة من ساعات الخلق.

و﴿أَيَّانَ﴾ بمعنى متى، وقيل: اشتقاقه من أي، لأن معناه أي وقت.

و﴿مُرْسَهَا﴾ إرساؤها أو وقت إرسائها أي: إثباتها، ورسو كل شيء ثباته واستقراره، والمعنى: متى يرسيها الله؟.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ أي: علم وقت إرسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحداً من خلقه ليكون العباد على حذر منه، وذلك أدعى لهم إلى الطاعة وأزجر عن المعصية، كما أخفى سبحانه وقت الموت لذلك.

﴿لَا يُحِيطُ بِهَا لَوْ قُنِيَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا تزال خفية لا يكشف خفاء علمها إلا هو وحده إذا جاء بها في وقتها.

﴿ثُقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: أهم شأن الساعة أهل السماوات والأرض من الملائكة والجن والإنس، فكل منهم يود أن يتجلى له علمها، وشق عليه خفاؤها وثقل عليه، أو ثقلت فيها لأن أهليها يتوقعونها ويخافون شدائدتها وأهوالها.

﴿لَا تَأْتِيكَزُ إِلَّا بَغْئَةً﴾ أي: فجأة على غفلة منكم. وفي الحديث: ((إن الساعة تهبج بالناس والرجل يصلح حوضه، والرجل يسقي ماشيته، والرجل يقوم سلعته في سوقه، والرجل يخفض ميزانه ويرفعه))^(١).

﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ أي: كأنك عالم بها، وأصله: كأنك أحفيت في السؤال عنها

حتى علمتها، أي: استقصيت وألحفت، وقيل: إِنَّ ﴿عَنَّا﴾ يتعلّق بـ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾^(٩٦) أي: يسألونك عنها [كأنك حفي أي: عالم بها^(٩٧)]، وقيل: كأنك حفي^(٩٨) بالسؤال عنها تحبه وتؤثره، يعني: إنك تكره السؤال عنها لآته من علم الغيب الذي استأثر الله به.

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه المختص بالعلم بها.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي﴾ هو إظهار العبودية، أي: أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ﴾ ربّي ومالكي من النفع لي والدفع عني.

﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ لكانت حالي على خلاف ما هي عليه، فكنت أستكثر المنافع وأجتنب المضار، ولم أكن غالباً مرة ومغلوباً أخرى في الحروب، ورابحاً وخاسراً في المناجر.

﴿إِنْ أَنَا إِلَّا﴾ عبد أرسلت بشيراً ونذيراً، وما من شأني علم الغيب.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلٌ خَفِيضًا فَهَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيْشُرُّونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاهُ عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمُّونَ ﴿١٩٣﴾

(١) عن الضحاك. تفسير الطبري ج ٩: ٩٦.

(٢) ساقطة من ب.

﴿خَلَقَكُمْ﴾ خطاب لبني آدم.

﴿مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾ وهي نفس آدم عليه السلام.

﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه، أو من جنسها كقوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾^(١).

﴿لَيْسَكُنْ إِلَيْهَا﴾ ليطمئن إليها ويأنس بها، لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه أنس، وذكر ﴿لَيْسَكُنْ﴾ ذهاباً إلى معنى النفس لبيان أن المراد بها آدم، ولأن الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشاها، والتغشي كناية عن الجماع، وكذلك الغشيان والإتيان.

﴿حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفًا﴾ وهو الماء الذي حصل في رحمها خف عليها ولم تستثقله.

﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ أي: استمرت بالحمل على الخفة وقامت به وقعدت كما كانت قبل ذلك، لم يمنعها الحمل عن شيء من التصرف.

﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ أي: حان وقت ثقل حملها كما يقال: أقربت.

﴿دَعَا اللَّهَ﴾ أي: دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذي هو الحقيق بأن يلتجأ إليه فقالا: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ لئن وهبت لنا ولداً سوياً قد صلح بدنه وبرئ، وقيل: ولداً ذكراً^(٢)، لأن الذكورة من الصلاح والجودة. والضمير في ﴿آتَيْتَنَا﴾ و﴿لَنَكُونَنَّ﴾ لهما ولكل من تناسل من ذريتهما.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا﴾ ما طلباه من الولد الصالح السوي.

(١) الشورى: ١١.

(٢) عن الحسن. تفسير الطبري ج ٩: ٩٨.

﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ أي: جعل أولادهما له شركاء، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذلك ﴿فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾ أي: آتى أولادهما، وقد دلّ على ذلك قوله: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ حيث جمع الضمير. ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله: تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد يغوث وما أشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن. وقرئ: جعلاً له شركاء، أي: ذوي شرك وهم الشركاء.

وفي الآية وجه آخر: وهو أن يكون الخطاب لقريش وهم آل قصي، أي: خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية، فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلاً له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار.

﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا﴾ يقدر على خلق شيء ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ لأنّ عبدتهم يخلقونهم فهم أعجز من عبدتهم.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لعبدتهم ﴿نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ فيدفعون عنها ما يعترها من الحوادث.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾ أي: إلى ما هو هدى، أو إلى أن يهدوكم. ﴿لَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ إلى مرادكم وطلبكم، ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله. ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَدْعَوْتُمُوهُمْ أَمْ﴾ صمتم عن دعائهم في أنه لا فلاح معهم.

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ اللَّهُمَّ ارْجُلْ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ

يَهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَاتٌ يَسْمَعُونَ يَهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا
تُنْظَرُونَ ﴿١٩٥﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ تعبدونهم وتسمونهم آلهة ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ﴾ استهزاء بهم، أي: نهاية أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء، فإن ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم لا تفاضل بينكم.

﴿فَادْعُوهُمْ﴾ في مهماتكم ولصرف الأسواء عنكم. ثم أبطل أن يكونوا عباداً أمثالهم بقوله: ﴿أَلَهُمْ أَزْجُلُ يَمْسُونَ يَهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ يَهَا﴾، ثم قال: ﴿قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدوني جميعاً أنتم وشركاؤكم.

﴿فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ فإني لا أبالي بكم. وهذا لا يقوله إلا من هو واثق بعصمة الله، وكانوا قد خوفوه بألهتهم فأمر أن يجيبهم بذلك.

إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ
يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُمْ
يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَقْوَ أَمْرًا بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ
عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾

﴿إِنَّ﴾ ناصري وحافظي ودافع شرّكم عني ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ﴾ القرآن وأعزّني برسالته ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ ومن عادته أن ينصر المطيعين له الصالحين من عباده.

﴿وَتَرْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يشبهون الناظرين إليك، لأنهم صوروا

أصنامهم بصورة من يقلب حقيقته إلى الشيء ليراه.

﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ وهم لا يدركون المرئي.

﴿خُذِ الْعَقَوْ﴾ أي: خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما يأتي منهم

من غير كلفة، ولا تداهمهم، واقبل الميسور منهم، ونحوه قوله ﷺ: ((يسرّوا ولا تعسّروا))^(١). أمر سبحانه بالتسامح وترك الاستقصاء في القضاء والاقتضاء.

﴿وَأُمِّرْ بِالْعُرْفِ﴾ بالمعروف والجميل من الأفعال والحميد من الخصال.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم، وأعرض عما

يسوءك منهم. وقيل: إنه لما نزلت الآية سأل جبرئيل، فقال: لا أدري حتى أسأل،

ثم أتاه فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك،

وتعفو عمن ظلمك^(٢). وعن الصادق ﷺ: ((أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق، وليس

في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها))^(٣).

وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ

تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ

ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ

إِنَّمَا أَتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى

وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾

﴿وَأَمَّا﴾ ينخسناك ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ نخس في القلب يوسوسك على خلاف

(١) صحيح البخاري ج ١: ٢٤١، رسائل الشريف المرتضى ج ٢: ٢٤٦.

(٢) تفسير الطبري ج ٩: ١٠٥.

(٣) الكشف والبيان ج ٤: ٣١٨.

ما أمرت به ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ولا تطعه، وجعل النزغ نازغاً مثل قولهم: جدّ جدّه. والنزغ والنسغ والنخس بمعنى، كأنّه ينخس الإنسان حين يغريه على المعاصي. وقرئ: طيف و﴿طَتِيفٌ﴾ وهو مصدر قولهم: طاف به الخيال يطيف طيفاً، أو هو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف ك(لَيْن)، أو من طاف يطوف ك(هَيْن). وهذا تأكيد وتقرير لما تقدّم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان، وأنّ المتقين هذه عادتهم ﴿إِذَا﴾ أصابهم أدنى لمة ﴿مَنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ ما أمر الله به ونهى عنه، فأبصروا الرشد ودفعوا الوسوسة.

وأما إخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فإنّ الشياطين ﴿يَمُدُّوهُمْ فِي﴾ أَلْفَى ﴿أي: يكونون مدداً لهم ويزيدونهم فيه. وقرئ: يمدونهم، من الإمداد، وفي الشواذ: يبادونهم، والمعنى: يعاونونهم.

﴿ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ﴾ أي: لا يمسكون عن إغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا. وقوله: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ﴾ كقول الشاعر:

قَوْمٌ إِذَا الْخَيْلُ جَالُوا فِي كَوَائِبِهَا فَوَارِسُ الْخَيْلِ لَا مِيلَ وَلَا قَرْمٌ^(١)

في أنّ الخبر جرى على غير من هو له.

ويجوز أن يراد بالإخوان: الشياطين ويرجع الضمير إلى ﴿الْجَاهِلِينَ﴾ فيكون الخبر جارياً على من هو له. والأول أوجه، لأنّ ﴿إِخْوَانَهُمْ﴾ في مقابلة ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، وجاز جمع الضمير في ﴿إِخْوَانَهُمْ﴾ والشيطان مفرد لأنّ المراد به الجنس، فهو كقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ﴾^(٢).

(١) البيت لزياد بن منقذ العبدى. ديوان الحماسة: ٤٣٥، وفيه: وهم إذا الخيل حالوا....

(٢) البقرة: ٢٥٧.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِثَآئِفَةٍ﴾ مقترحة ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ اجتبى الشيء: إذا جباه لنفسه بمعنى جمعه، كقوله: اجتمعته، أو جبى إليه فاجتبهه أي: أخذه، والمعنى: هلا اجتمعها افتعالاً من عند نفسك، لأنهم كانوا يقولون: إن هذا إلا إفك مفترى، أو هلا أخذتها منزلة عليك مقترحة.

﴿قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ ولست بمفتعل للآيات، أو لست بمقترح لها.

﴿هَٰذَا بَصَائِرُ﴾ أي: هذا القرآن حجج بيّنة ودلائل واضحة يعود الناس بها بصراء بعد العمى، أو هو بمنزلة بصائر القلوب.

وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾
وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنْ
الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ
رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يُسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

هذا الظاهر يوجب استماع القرآن والإنصات له وقت قراءته في الصلاة وغير الصلاة، وقيل: إنه في الصلاة خاصة خلف الإمام الذي يؤتم به إذا سمعت قراءته، وكان المسلمون يتكلمون في الصلاة فتزلت^(١)، ثم صار سنة في غير الصلاة أن ينصت القوم في المجلس الذي يقرأ فيه القرآن. وقيل: معناه: إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له^(٢). قال الصادق عليه السلام: ((إذا قرئ عندك القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع))^(٣).

(١) أسباب النزول: ١٥٩.

(٢) عن الجبائي. التبيان ج ٥: ٨١.

(٣) تفسير العياشي ج ٢: ٤٤.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لترحموا بذلك.

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل.

﴿تَضَرَّعًا وَخِيفَةً﴾ أي: متضرعاً وخائفاً.

﴿وَدُونَ الْجَهْرِ﴾ ومتكلماً كلاماً دون الجهر، لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص، وأبعد من الرياء، وأقرب إلى القبول.

﴿بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ بالغدوات والعشيات لفضل هذين الوقتين. وقيل: المراد به دوام الذكر واتصاله.

﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذكر الله اللاهين عنه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ وهم الملائكة، والمعنى في ﴿عِنْدَ﴾: دنو المنزلة والزلفة والقرب من فضل الله ورحمته، لتوفرهم على طاعته.

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ مع جلالة قدرهم وعلو أمرهم.

﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ ينزهونه عما لا يليق به.

﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ ويختصونه بالسجود والعبادة، وهذا أول سجدة القرآن.

سورة الأنفال

مدينة، وهي ست وسبعون آية بصري، خمس كوفي. ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ و﴿مَفْعُولًا﴾ الأول بصري، ﴿بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ كوفي.

في خبر أبي: ((ومن قرأ (سورة الأنفال وبراءة) فأنا شفيع له وشاهد له يوم القيامة أنه بريء من النفاق، وأُعطي من الأجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات، ومحى عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان العرش وحملته يصلون عليه أيام حياته في دار الدنيا))^(١)، قال الصادق عليه السلام: ((من قرأها في كل شهر لم يدخله نفاق أبداً، وكان من شيعة أمير المؤمنين حقاً، ويأكل يوم القيامة من موائد الجنة معهم حتى يفرغ الناس من الحساب))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾

قرأ ابن مسعود وعلي بن الحسين زين العابدين والباقر والصادق عليه السلام: يسألونك

(١) الكشف والبيان ج ٤: ٣٢٤.

(٢) تفسير العياشي ج ٢: ٤٦.

الأنفال. وهذه القراءة مؤدية للسبب في القراءة الأخرى التي هي ﴿عَنِ الْأَنْفَالِ﴾، وذلك أنهم إنما سألوه عنها استعلاماً لحالها، هل يسوغ طلبها؟. وفي القراءة بالنصب تصريح بطلبها، وبيان عن الغرض في السؤال عنها.

والنفل: الزيادة على الشيء، قال لبيد:

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَفْلٌ وَإِذْنِ اللَّهِ رَيْثِي وَعَجَلٌ^(١)

قال الصادق عليه السلام: ((الأنفال كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال، وكل أرض انجلى أهلها عنها بغير قتال أيضاً. وسماها الفقهاء فيثاً. والأرضون الموات، والآجام، وبطون الأودية، وقطائع الملوك، وميراث من لا وارث له، وهي لله والرسول ولن قام مقامه بعده))^(٢).

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ باتقاء مخالفة ما يأمركم هو ورسوله به.

﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ حقيقته أحوال بينكم، والمعنى: أصلحوا ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة واتفاق ومودة، ونحوه: ذات الصدور، وهي مضمراتها.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾
أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ١٣٩.

(٢) ينظر: الوسائل ج ٦: باب ١ من أبواب الأنفال.

أي: ﴿إِنَّمَا﴾ الكاملون في الإيمان ﴿الَّذِينَ﴾ من صفتهم أنهم ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ عندهم واقتداره وأليم عقابه على المعاصي ﴿وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: خافت ﴿وَإِذَا ثَلِثَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ أي: ازدادوا بها يقيناً وطمأنينة نفس، وتصديقاً إلى تصديقهم بها أنزل قبل ذلك من القرآن.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وإليه يفوضون أمورهم فيها يخافون ويرجون.

وخصّ الصلاة والزكاة بالذكر لعظم شأنهما وتأكد الأمر فيهما.

﴿أُولَٰئِكَ﴾ المستجمعون لهذه الخصال ﴿هُمْ﴾ الذين استحقوا إطلاق اسم

الإيمان على الحقيقة.

و﴿حَقًّا﴾ صفة لمصدر محذوف، أي: إيماناً حقاً، أو هو مصدر مؤكد للجملة التي هي ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ كما تقول: هو عبد الله حقاً، أي: حق ذلك حقاً.

﴿دَرَجَتٌ﴾ شرف وكرامة وعلو رتبة ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ وتجاوز لسيئاتهم

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ نعيم الجنة، أي: منافع دائمة، على سبيل التعظيم، وهذا

معنى الثواب.

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

لَكَرِهُوا ⑤ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ

إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ⑥ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ

أَنَّهُمَا لَكُمْ وَتُؤَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ

وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ⑦

لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ⑧

الكاف في محلّ الرفع على أنّه خبر مبتدأ محذوف، أي: هذه الحال كحال

إخراجك، والمعنى: إنَّ حالهم في كراهة ما حكم الله في الأنفال مثل حالهم في كراهة خروجك من بيتك للحرب. ويجوز أن يكون في محلِّ النصب على أنَّه صفة لمصدر الفعل المقدَّر في قولك: الأنفال لله والرسول، أي: الأنفال استقرت لله والرسول، وثبتت مع كراهتهم ثباتاً مثل ثبات إخراج ربِّك إِيَّاكَ من بيتك مع كراهتهم، فعلى هذا لا يكون الوقف من قوله: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ﴾ إلى قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾. وعلى الأوَّل جاز الوقف على قوله: ﴿وَالرَّسُولِ﴾ وقوله: ﴿مُؤْمِنِينَ﴾.

و﴿مَنْ يَبْتَغِ﴾ يريد بيته بالمدينة، أو المدينة نفسها، لأنَّها مهاجرة ومسكنه. ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: إخراجاً ملتبساً بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه، وهو الجهاد.

﴿وَلَنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكْرَهُوْنَ﴾ في موضع الحال، أي: أخرجك في حال كراهتهم.

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ فيما دعوتهم إليه، وهو تلقي النفير، وهو جيش قريش لإيثارهم عليه تلقي العير.

﴿بَعْدَ مَا بَيَّنَّ﴾ بعد إعلام رسول الله بأنَّهم ينصرون.

وجداهم أنَّهم قالوا: ما خرجنا إلا للعير، وذلك: أنَّ عير قريش أقبلت من الشام معها أربعون ركباً منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص، فأخبر جبرئيل رسول الله ﷺ فأخبر المسلمين، فأعجبهم تلقي العير، فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم، فنادى أبو جهل فوق الكعبة: يا أهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول، عيركم، أموالكم، إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبداً. وخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير، وفي المثل السائر: لا في العير ولا في النفير^(١)، فقبل

له: إِنَّ الْعِيرَ أَخَذَتْ طَرِيقَ السَّاحِلِ وَنَجْتَ، فارجع بالناس إلى مكة، فقال: لا والله حتى ننحر الجزر ونشرب الخمر ببدر، فتسامع العرب بأنَّ مُحَمَّدًا لم يصب العير، وَأَنَا أَغْضَضْنَاهُ، فمضى بهم إلى بدر - وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوماً في السنة - ونزل جبرئيل فقال: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ وَعْدَكُمْ ﴿إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾: إما العير وإما قريشاً، فاستشار النبي ﷺ أصحابه وقال: ما تقولون؟ إن القوم قد خرجوا من مكة فالعير أحب إليكم أم النفير؟ قالوا: بل العير أحب إلينا من لقاء العدو. فتغيّر وجه رسول الله ﷺ وقال: إِنَّ الْعِيرَ قَدْ مَضَتْ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ وَهَذَا أَبُو جَهْلٍ قَدْ أَقْبَلَ، فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو، فقام رجال من أصحابه وقالوا، ثُمَّ قَامَ الْمُقَدِّدُ بْنُ عَمْرٍو وقال: والله لو أمرتنا أن نخوض بحر الغضا وشوك المهراس لخضناه معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾^(١) ولكننا نقول: امض لما أمرك ربك فإننا معك مقاتلون مادامت منا عين تطرف، وقام سعد بن معاذ وقال: يا رسول الله امض لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، ولعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله، ففرح رسول الله بقوله، وقال: سيروا على بركة الله وأبشروا، فإنَّ الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنِّي أنظر إلى مصارع القوم^(٢).

وقوله: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ تشبيه حالهم بحال من يعتل^(٣) إلى القتل وهو ناظر إلى أسباب الموت لا يشك فيه.

(١) المائدة: ٢٤.

(٢) ينظر: مغازي الواقدي ج ١: ١٩ - ٤٩.

(٣) يعتل: يجذب جذباً عنيفاً. (الصحاح: مادة عتل)

و﴿إِذْ﴾ منصوب بإضمار (اذكر)، و﴿أَنهَا لَكُمْ﴾ بدل من ﴿وَإِذْ﴾
الطَّافَتَيْنِ.

و﴿غَيْرِ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ العير، لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارساً،
والشوكة: الحدة، مستعارة من حدة الشوك، أي: تتمنون أن يكون العير لكم، ولا
تريدون الطائفة الأخرى التي هي ذات الشدة والحدة.

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ﴾ أي: يشته، بأن يعز الإسلام ويعلي كلمته،
ويهلك وجوه قريش على أيديكم ﴿بِكَلِمَتِهِ﴾ بآياته المنزلة في محاربتهم ﴿وَيَقْطَعَ﴾
دابر الكافرين ﴿بِاسْتِصْلَاهُمْ وَقَتْلِهِمْ وَأَسْرِهِمْ وَطَرَحِهِمْ فِي قَلْبِ بَدْرٍ﴾ والدابر:
الآخر، من دبر: إذا أدبر. والمعنى: إنكم تريدون الفائدة العاجلة، والله يريد ما
يرجع إلى علو أمور الدين ونصرة الحق، ولذلك اختار لكم الطائفة الأخرى ذات
الشوكة، وغلب كثرتهم بقتلكم، وأذلهم وأعزكم.

وقوله: ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ﴾ تعلق بمحذوف، تقديره: ليحق الحق ويبطل الباطل
فعل ذلك.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ
الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ
بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِن عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿١٠﴾ إِذْ يَغْشَىٰكُمْ الْغَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ
قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ
أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِيَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا

الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ بدل من ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ﴾، وقيل: إنه يتعلق بقوله: ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُطْلِلَ الْبَاطِلَ﴾. واستغاثتهم: إن رسول الله ﷺ لما نظر إلى المشركين وهم ألف، وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف، استقبل القبلة ومد يديه يدعو: ((اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض)) فما زال كذلك حتى سقط رداؤه من منكبته^(١).

﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ فأغاثكم وأجاب دعوتكم ﴿أَنِّي مُبْعِدُكُمْ﴾ أصله: بأنِّي ممدكم، فحذف الجار.

وقرئ: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ بكسر الدال وفتحها، من قولك: ردفه: إذا تبعه، وأردفته إياه: إذا أتبعته، ويقال: أردفته وأتبعته: إذا جئت بعده. فعلى الأول يكون معنى مردفين - بكسر الدال -: متبعين بعضهم بعضاً، أو متبعين أنفسهم المؤمنين. وعلى الثاني يكون معناه: متبعين بعضهم لبعض، أو متبعين للمؤمنين يحفظونهم. ومن قرأ بفتح الدال فمعناه: متبعين أو متبَّعين.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي: وما جعل الله إمدادكم بالملائكة ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾ أي: بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني إسرائيل. والمعنى: أنكم استغثتم ربكم وتضرعتم، فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر، وتسكيناً منكم، وربطاً

على قلوبكم.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي: وما النصر بالملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله، ينصر من يشاء، قلّ العدد أم كثر.
 ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾ بدل ثان من ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ﴾، أو منصوب بالنصر أو بما جعله الله، وقرئ: يغشيكم، بالتخفيف والتشديد، ونصب النعاس والضمير لله عز وجل.

و﴿أَمَنَةً﴾ مفعول له، و﴿وَمَنَّهُ﴾ صفة ل﴿أَمَنَةً﴾، أي: أمنة حاصلة لكم من الله. والمعنى: إذ تنعمون لأمنكم الحاصل من الله بإزالة الرعب من قلوبكم.
 ﴿وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: مطراً.
 و﴿رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾: وسوسته إليهم. وذلك أنّ المشركين قد سبقوهم إلى الماء، ونزل المسلمون في كتيب أعفر تسوخ فيه الأقدام وناموا، فاحتلم أكثرهم، فتمثل لهم إبليس وقال: يا أصحاب محمد أنتم تزعمون أنكم على الحق وأنتم تصلون على جنابة وقد عطشتم، ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء، وهاهم الآن يمشون إليكم فيقتلونكم ويسوقون بقيتكم إلى مكة، فحزنوا لذلك. فأنزل الله المطر فمطروا ليلاً حتى جرى الوادي، واغتسلوا وتوضأوا، واتخذوا الحياض على عدوة الوادي، وتلبّد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبت الأقدام عليه، وزالت وسوسة الشيطان.

والضمير في ﴿يُؤَيِّدُ﴾ للماء، أو ليربط، لأنّ الجرأة تثبت [القدم]^(١) في مواطن الحرب.

﴿إِذْ يُوحَىٰ﴾ يجوز أن يكون بدلاً ثالثاً من ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ﴾، وأن ينتصب به ﴿وَيُثَبِّتَ﴾.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أعينكم على التثبيت فثبتوهم.

وقوله: ﴿سَأَلْتِي ... فَأَضْرِبُوا﴾ يجوز أن يكون تفسيراً لقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا﴾، ولا معونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب الكفار، ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم، ويجوز أن يكون غير تفسير، وأن يراد بالتثبيت أن يظهروا ما يتقن به المؤمنون أنهم أمدوا بهم.

﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ التي هي المذابح، وقيل: أراد الرؤوس^(١). والبنان: الأصابع، يريد به الأطراف. والمعنى: ﴿فَأَضْرِبُوا﴾ المقاتل والأطراف من اليدين والرجلين. ويجوز أن يكون من قوله: ﴿سَأَلْتِي ...﴾ إلى قوله: ﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾ عقيب قوله: ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تلقيناً للملائكة ما يثبتونهم به، أي: قولوا لهم قولي: ﴿سَأَلْتِي﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما وقع بهم من القتل والعقاب العاجل، أي: ذلك العقاب وقع بهم بسبب مشاققتهم. والمشاقة مشتقة من الشق لأن كلا المتعادين في شق خلاف شق صاحبه. والكاف في ﴿ذَلِكَ﴾ لخطاب الرسول أو لخطاب كل أحد، وفي ﴿ذَلِكَ﴾ للكفرة على طريقة الالتفات. و﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ، و﴿وَإِنَّهُمْ﴾ خبره.

و﴿ذَلِكَ﴾ في محلّ الرفع أيضاً، أي: ذلكم العقاب أو العقاب ذلكم ﴿فَذَوْوُهُ﴾، ويجوز أن يكون في محلّ النصب على تقدير: عليكم ذلكم ﴿فَذَوْوُهُ﴾، كقولك: زيداً فاضربه.

(١) عن عكرمة. تفسير الطبري ج ٩: ١٣٢.

﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ عطف على ﴿ذَلِكَ﴾ في الوجهين، أو نصب على أن (الواو) بمعنى (مع)، أي: ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة، فوضع الظاهر موضع الضمير.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُهُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ
الْأَذْبَارَ ⑩ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ
مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ⑪ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا
رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ
بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ⑫

الزحف: الجيش الذي يرى لكثرته كأنه يزحف أي: يدب ديباً، من زحف الصبي: إذا دب على استه، سمي بالمصدر، والجمع زحوف. والمعنى: إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تفروا، فضلاً عن أن تساووه في العدد أو تدانوه. فيكون ﴿زَحَفًا﴾ حالاً من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ويجوز أن يكون حالاً من الفريقين، أي: إذا لقيتموهم متزاحفين أنتم وهم، أو حالاً من المؤمنين، كأنهم أخبروا بما سيكون منهم يوم حنين^(١) حين ولّوا مدبرين وهم زحف اثنا عشر ألفاً. وفي قوله: ﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ﴾ أمانة عليه.

﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ هو الكر بعد الفر، يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه، وهو نوع من مكائد الحرب ﴿أَوْ مُتَحَيِّرًا﴾ أي: أو منحازاً ﴿إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾ إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها. وانتصابها على الحال و﴿إِلَّا﴾ لغو، أو على الاستثناء من المولين، أي: ومن يولهم إلا رجلاً منهم متحرفاً أو متحيزاً.

(١) ينظر: مغازي الواقدي ج ٣: ٨٨٥ وما بعدها.

ووزن متحيز متفيعل لا متفعل، لأنه من حاز يحوز، فبناء متفعل منه متحوز.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ الفاء جواب شرط محذوف، تقديره: إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوههم ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ قَتْلَهُمْ﴾ بأن أنزل الملائكة، وألقى الرعب في قلوبهم وقوى قلوبكم.

﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ أنت يا محمد ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ وذلك أن قريشاً لما جاءت بخيلائها أتاه جبرئيل فقال: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، فقال لعلي عليه السلام: ((أعطني قبضة من حصباء الوادي)) فأعطاه، فرمى بها في وجوههم، وقال: ((شاهت الوجوه))، فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه، فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ رَمْيَ﴾ حيث أثرت الرمية ذلك الأثر العظيم. أثبت الرمي لرسول الله لأنه وجد منه صورة، ونفاه عنه معنى لأن أثره الذي لا يدخل في قدرة البشر فعل الله عزّ وعلا، فكأنه فاعل الرمية على الحقيقة، وكأنها لم توجد من الرسول أصلاً. وقرئ: ولكن الله قتلهم، ولكن الله رمى.

﴿وَلِيُسَبِّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وليعطهم ﴿بَلَاءً﴾ عطاء ﴿حَسَنًا﴾ جميلاً، قال زهير:
وَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو^(١)

والمعنى: وللإحسان إلى المؤمنين والإنعام عليهم فعل ما فعل، ولم يفعله إلا لذلك.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم.

ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْهِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ

(١) شعر زهير بن أبي سلمى: ٤٠، وصدّره: رأى الله بالإحسان ما فعلا بكم.

وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿١١﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ
 وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿١٢﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ
 لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٣﴾

﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى البلاء الحسن، ومحله الرفع، أي: الغرض ذلكم،
 ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ﴾ عطف على ﴿ذَلِكُمْ﴾ يعني: إن الغرض إبلاء المؤمنين
 وتوهين كيد الكافرين. وقرئ: موهن - بالتشديد - وقرئ على الإضافة، وعلى
 الأصل الذي هو التنوين والإعمال.

﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ خطاب لأهل مكة على طريق
 التهكم، وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم
 انصر أعلى الجندين وأهدى الفتتين وأكرم الحزبين. وروى: أَنَّ أبا جهل قال يوم
 بدر: اللهم أيتنا كان أهجر وأقطع للرحم فأحنه^(١) اليوم^(٢)، أي: فأهلكه. وقيل:
 ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا﴾ خطاب للمؤمنين و﴿وَأِنْ تَنْهَوْا﴾ للكافرين^(٣)، أي: وإن تنتهوا
 عن عداوة رسول الله ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا﴾ لمحاربته ﴿نَعُدُّ﴾ لنصرته
 عليكم. وقرئ: وَأَنَّ اللَّهَ - بالفتح - على: وَلَآنَ الله مع المؤمنين كان ذلك، وبالكسر
 وهو الأوجه، ويقويه قراءة عبد الله: والله مع المؤمنين.

وقرئ: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا﴾ بحذف التاء وإدغامها في التاء، والضمير في ﴿عَنْهُ﴾
 لرسول الله، لأن المعنى: أطيعوا رسول الله، كقوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ

(١) أحنه: أهلكه. (الصحيح: مادة حين)

(٢) تاريخ الطبري ج ٢: ٢٨١.

(٣) الكشف والبيان ج ٤: ٣٤٠.

يُرْضَوْهُ ﴿٢١﴾، ولأن طاعة الله وطاعة الرسول شيء واحد، ورجوع الضمير إلى أحدهما رجوع إليهما، كما تقول: الإحسان والإجمال لا ينفع في فلان.

﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ دعاءه لكم.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ﴾ ادعوا السماع ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين.

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فَتَنَهُ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

﴿إِنَّ شَرَّ﴾ من يدب على وجه الأرض، أو إن شر البهائم، جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ﴿الصُّمُّ الْبُكْمُ﴾ أي: الذين هم صم عن الحق لا يسمعون، بُكْم لا يقرؤن به.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ﴾ في هؤلاء الصم البكم ﴿خَيْرًا﴾ أي: انتفاعاً باللفظ ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ للطف بهم حتى يسعوا سماع المصدقين ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا﴾ وأعرضوا. وفي هذا دلالة على أنه سبحانه لا يمنع أحداً اللطف، وإنما لا يلفظ لمن يعلم أنه لا ينتفع به. وقال الباقر (عليه السلام): ((هم بنو عبد الدار لم يُسلم منهم غير مصعب

بن عمير وسويد بن حرملة))^(١) كانوا يقولون: نحن صمٌ بكمٌ عما جاء به محمد، وقد قتلوا جميعاً بأحد، كانوا أصحاب اللواء.

﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ وخذ الضمير، لأنَّ استجابة رسول الله استجابة الله، والمراد بالاستجابة: الطاعة والامتثال ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من علوم الدين والشرائع، لأنَّ العلم حياة والجهل موت. وقيل: لمجاهدة الكفار^(٢) وللشهادة^(٣) لقوله: ﴿بَلْ أَخْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٤).

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ أي: يملك على المرء قلبه فيغيّر نياته ويفسخ عزائمه، ويبدله بالذكر نسياناً وبالنسيان ذكراً، وبالخوف أمناً وبالأمن خوفاً، وقيل: معناه: إنَّ المرء لا يستطيع أن يكتُم الله بقلبه شيئاً^(٥) وهو يطلع على ضمائره وخواطره، فكأنَّه بينه وبين قلبه، وقيل: معناه: أنه يميت المرء فتفوته الفرصة التي هو واجدها، وهي التمكن من إخلاص القلب ومعالجة أدوائه ورده سليماً كما يريد الله، فاعتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم، واعلموا أنَّكم ﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيثيبكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة. وعن الصادق عليه السلام: ((يحول بين المرء وبين أن يعلم أنَّ الباطل حق))^(٦).

(١) التبيان ج ٥: ١١٧.

(٢) عن ابن إسحاق. معالم التنزيل ج ٢: ٥٢.

(٣) عن القتيبي. معالم التنزيل ج ٢: ٥٢.

(٤) آل عمران: ١٦٩.

(٥) عن قتادة. تفسير الطبري ج ٩: ١٤٣.

(٦) كتاب التوحيد: ٢٩١.

﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً﴾ أي: بلية، وقيل: ذنباً^(١)، وقيل: عذاباً^(٢)، وقيل: هو إقرار المنكر بين أظهرهم^(٣).

وقوله: ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾ لا يخلو أن يكون جواباً للأمر، أو نهياً بعد أمر معطوفاً عليه بحذف الواو، أو صفة لـ ﴿فِتْنَةً﴾. فإذا كان جواباً فالمعنى: إن أصابتكم لا تصيب الظالمين ﴿مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ ولكنها تعمكم، [ولأنها جاز دخول النون في جواب الأمر لأنّ فيه معنى النهي]^(٤)، كما تقول: إنزل عن الدابة لا تطرحك، ويجوز: لا تطرحتك. وإذا كانت نهياً بعد أمر فكأنه قيل: واحذروا بلية أو ذنباً أو عقاباً، ثم قيل: لا تعرضوا للظلم فتصيب البلية أو العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة. وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول كأنه قيل: ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً﴾ مقولاً فيها: ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾، ونظيره قول الشاعر:

حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَاخْتَلَطَ جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذُّنْبَ قَطَّ^(٥)

أي: بمذق يقال فيه هذا القول، لأنّ فيه لون الزرقة التي هي للذنب، ويعضده قراءة ابن مسعود: لتصيين، على جواب القسم المحذوف، وتكون (من) للتبيين على هذا، لأنّ المعنى: لا تصيينكم أو لتصيينكم خاصة على ظلمكم، لأنّ الظلم أقبح منكم من سائر الناس.

وعن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: ((من ظلم علياً

(١) الكشف ج ٢: ٢١١.

(٢) عن الجبائي. التبيان ج ٥: ١٢١.

(٣) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ٩: ١٤٤.

(٤) ساقطة من ج.

(٥) لم أعثر على قائله في المصادر المتوفرة.

مقعدي هذا بعد وفاتي، فكأنها جحد نبوتي ونبوة الأنبياء قبلي)) أورده الحاكم أبو القاسم الحسكاني^(١) في كتاب شواهد التنزيل مرفوعاً^(٢). وعن ابن عباس أيضاً: أنه سئل عن هذه الفتنة، فقال: (أبهما ما أبهم الله)^(٣)، وعن السدي: (نزلت في أهل بدر فاقتلوا يوم الجمل)^(٤).

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطِفَكُمْ النَّاسُ فَتَأْوِنَكُمْ وَإِيْدَكُمْ بِضُرِّهِمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٦﴾ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾

﴿وَأَذْكُرُوا﴾ معاشر المهاجرين ﴿إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ أي: وقت كونكم أقلّة أذلة، ف﴿إِذْ﴾ هنا مذكور مفعول به وليس بظرف.

﴿مُسْتَضْعَفُونَ﴾ تستضعفكم قريش ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: أرض مكة قبل الهجرة ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَخَطِفَكُمْ النَّاسُ﴾ أي: يستلبكم المشركون من العرب إن خرجتم منها ﴿فَتَأْوِنَكُمْ﴾ إلى المدينة ﴿وَإِيْدَكُمْ بِضُرِّهِمْ﴾ أي: قواكم بمظاهر النصر بإمداد الملائكة يوم بدر ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني: الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ

(١) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد القرشي العامري الحنفي الحاكم، ويعرف بابن الحذاء، شيخ متقن ذو عناية تامة بعلم الحديث، وكان معتمراً عالي الإسناد، توفي بعد سنة ٤٧٠ هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ ج ٣: ١٢٠٠.

(٢) شواهد التنزيل ج ١: ٢٠٦.

(٣) مجمع البيان ج ٣-٤: ٥٣٤.

(٤) تفسير الطبري ج ٩: ١٤٤.

تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ إرادة أن تشكروا هذه النعم. وعن قتادة: (كانت العرب أذلّ الناس، وأشقاها عيشاً، وأعراهم جلدًا، يؤكلون ولا يأكلون، فمكّن الله لهم في البلاد، ووسّع عليهم في الرزق والغنائم، وجعلهم ملوكاً) (١).

ومعنى الخون: النقص، كما أنّ معنى الوفاء: التمام، ومنه تخونه أي: تنقصه، ثم استعمل في ضد الأمانة والوفاء، لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه، والمعنى: لا تخونوا الله بترك أوامره، والرسول بترك سنته وشرائعه، و﴿أَمْنَتِكُمْ﴾ فيما بينكم بأن لا تحفظوها ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وبال ذلك وعقابه، وقيل: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم تخونون (٢)، يعني: إنّ الخيانة توجد منكم عن عمد. ويحتمل أن يكون ﴿وَتَخُونُوا﴾ جزءاً داخلاً في حكم النهي، وأن يكون نصباً بإضمار (أن)، نحو: لا تأكل السمك وتشرب اللبن.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَمْلَأَكُمْ وَأَوَّلَدَكُمْ فَتَنَةٌ﴾ جعلهم فتنة، لأنهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الإثم أو العذاب، أو يريد: محنة من الله ليلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فعليكم أن تزهّدوا في الدنيا، ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد، ولا تؤثرهما على نعيم الأبد.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنَقَّوْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٧﴾
وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِرِينَ ﴿٢٨﴾

(١) تفسير الطبري ج ٩: ١٤٥.

(٢) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ٩: ١٤٧.

﴿فُرْقَانًا﴾ أي: فتحاً ونصراً، كقوله: ﴿يَوْمَ الْقُرْقَانِ﴾^(١) لأنه يفرق بين الحق بإعزاز أهله والباطل بإذلال أهله، أو هداية ونوراً وتوفيقاً وشرحاً للصدور، أو بياناً وظهوراً يشهر أمركم في أقطار الأرض.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لما فتح الله عليه، ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر النعمة الجليلة في إنجائه منهم واستيلائه عليهم، أي: واذكر إذ يمكرون بك حين اجتمعوا في دار الندوة وتآمروا في أمرك، فقال بعضهم: نحسبه في بيت ونلقي إليه الطعام والشراب، وقال بعضهم: نحمله على جمل ونخرجه من بين أظهرنا، وقال أبو جهل: نأخذ من كل بطن غلاماً ونعطيه سيفاً صارماً فيضربونه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم، فإذا طلبوا العقل عقلناه، فقال إبليس: وكان قد دخل عليهم في صورة شيخ من أهل نجد: هذا الفتى أجودكم رأياً. فتفرقوا على رأيه مجمعين على قتله^(٢).

وعن ابن عباس: ﴿لِيُقَيِّدُوكَ﴾: ليقيدوك ويوثقوك^(٣)، وقيل: ليشخنوك بالضرب والجرح^(٤) من قولهم: ضربوه حتى أثبتوه لا حراك به، وفلان مثبت وجعاً.

﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ ويخفون المكائد ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ ويخفي الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة.

(١) الأنفال: ٤١.

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام ج ٢: ١٢٤-١٢٦.

(٣) تفسير الطبري ج ٩: ١٤٨.

(٤) عن أبان بن تغلب وغيره. الكشف والبيان ج ٤: ٣٥٠.

﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِبِينَ﴾ أي: مكره أنفذ من مكر غيره، أو لأنه لا ينزل إلا

ما هو حق وعدل.

وَإِذَا نُنْتَلَى عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَهُ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كُنَّا اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَفَنُّونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾

﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ قائله: النضر بن الحارث بن كلدة، وأسر يوم بدر فقتله النبي ﷺ صبراً بيد علي عليه السلام، وإنما قاله صلفاً ونفاجة، فإنهم لم يتوانوا في مشيتهم لو استطاعوا ذلك، وإلا فما منعهم أن يشاؤوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالمعجز حتى يغلبوه مع فرط حرصهم على قهره وغلبته؟!

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ قاله النضر أيضاً، وذلك أنه جاء بحديث

رستم وإسفنديار من بلاد فارس، وزعم أن هذا مثل ذلك.

وهو القائل: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: إن كان القرآن هو الحق

فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل، أو بعذاب آخر. ومراده أن ينفي كونه حقاً، وإذا انتفى كونه حقاً لم يستوجب منكزه عذاباً، فكان تعليق العذاب بكونه حقاً مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال.

﴿لِيُعَذِّبَهُمُ﴾ اللام لتأكيد النفي، والدلالة على أن تعذيبهم وهو بين أظهرهم

غير مستقيم في الحكمة، ومن قضية حكمة الله أن لا يعذب قوماً عذاب استئصال ونبههم بين أظهرهم. وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم بدلالة قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾، فكأنه قال: ما يعذبهم وأنت فيهم، وهو معذبهم إذا فارقتهم ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ﴾.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ في موضع الحال، أي: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ مُعَذِّبُهُمْ﴾ وفيهم من يستغفر، وهم المسلمون بين أظهرهم من المستضعفين الذين تخلفوا بعد خروج رسول الله ﷺ وهم على عزم الهجرة، وقيل: معناه نفي الاستغفار عنهم، أي: ولو كانوا ممن يؤمن بالله ويستغفر لما عذبهم، ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون^(١).

﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ وأي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم، يعني: لاحظ لهم في ذلك ﴿وَهُمْ﴾ معذبون لا محالة، وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم ﴿يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أولياءه ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي: وما استحقوا مع شركهم بالله وعداوتهم لرسوله أن يكونوا ولاء أمره ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ﴾ إنما يستحق ولايته من كان تقياً من المسلمين ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كأنه استثنى من يعلم ويعاند، أو أراد بالأكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم.

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا

ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ
 جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣١﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
 الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ
 أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٢﴾

المكاء: الصغير، والتصديّة: التصفيق، وهو ضرب اليد على اليد، وهو تفعله
 من الصدى، والمعنى: إنهم وضعوا المكاء والتصديّة موضع الصلاة، كما أنّ الشاعر
 في قوله:

مَا كُنْتُ أَحْشَى أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ أَدَاهِمَ سُوداً أَوْ مُحْدَرَجَةً سُمُراً^(١)

وضع القيود والسيّاط موضع العطاء.

وذلك أنّهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين أصابعهم يصفقون
 فيها ويصفقون، وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله ﷺ في صلاته يخلطون
 عليه.

﴿فَذَوْقُوا﴾ عذاب القتل والأسر يوم بدر.

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفركم.

﴿تُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ نزلت في المطعمين يوم بدر، وكان كل يوم يطعم واحد
 منهم عشر جزور، وقيل: إنهم قالوا لكل من كانت له تجارة في العير: أعينوا بهذا
 المال على حرب محمد لعننا ندرك منه ثأرنا بما أصيب منا ببدر^(٢)، [وقيل: نزلت
 في أبي سفيان وقد استأجر ليوم أحد ألفين من الأحابيش سوى من استجاش من

(١) شرح ديوان الفرزدق ج ١: ٢٢٧.

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣: ٦٤.

العرب^(١) [٢].

﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: كان غرضهم في الإنفاق الصدّ عن اتباع محمد ﷺ

وهو سبيل الله.

﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ ثم تكون عاقبة إنفاقها حسرة ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ آخر الأمر يغلبهم المؤمنون، والكافرون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾. ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ﴾ الفريق ﴿الْخَبِيثَ مِنَ﴾ الفريق ﴿الطَّيِّبِ وَبَجَعَلِ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ﴾ فوق ﴿بَعْضِ﴾ في جهنم يضيقها عليهم ﴿فَيَرْكُمُهُ﴾ عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكموا، كقوله: ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾^(٣)، وقيل: نفقة الكافر من نفقة المؤمن، ويجعل نفقة الكافر بعضها على بعض فوق بعض فيركمه ويجمعه جميعاً فيجعله في جهنم يعاقبهم به^(٤)، كما قال: ﴿يَوْمَ يُجْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ... الْآيَةِ﴾^(٥). وقرئ: ﴿لِيَمِيزَ﴾ على التخفيف.

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ
يُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُلْ لَّهُمْ حَقٌّ
لَا تَكُونُ فِتْنَةٌ وَيَكُونُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ فَإِنْ أُنْتَهُوا
فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٤٠﴾

(١) عن سعيد بن جبیر وغيره. تفسير الطبري ج ٩: ١٥٩.

(٢) ساقطة من أ، ب، ط.

(٣) الجن: ١٩.

(٤) عن مقاتل. تفسير السمرقندي ج ٢: ٢١.

(٥) التوبة: ٣٥.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: قل لأجلهم هذا القول وهو ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾، ولو كان بمعنى خاطبهم به لقل: إن تنتهوا. بالتاء. يغفر لكم، أي: إن ينتهوا عما هم عليه بالدخول في الإسلام ﴿يُغْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من الشرك وعداوة الرسول ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ لعداوته وقتاله ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ الذين تحزبوا على أنبياء الله في تدميرهم، فليتوقعوا مثل ذلك إن لم ينتهوا.

﴿وَقَنِيْلُوهُمْ حَقًّا لَا تَكُونُ فِتْنَةً﴾ أي: إلى أن لا يوجد فيهم شرك ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ كُفِلَهُ لِلَّهِ﴾ ويضمحل كل دين باطل ويبقى دين الإسلام وحده. قال الصادق عليه السلام: ((لم يحج تأويل هذه الآية، ولو قد قام قائمنا بعد سيري من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية، وليبلغن دين محمد ﷺ ما بلغ الليل حتى لا يكون شرك على ظهر الأرض))^(١).

﴿فَإِنْ أَنْتَهُوا﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يشيهم على توبتهم وإسلامهم. وقرئ: تعملون. بالتاء. فيكون المعنى: فإن الله بما تعملون من الجهاد في سبيله ﴿بَصِيرٌ﴾ يجازيكم عليه أحسن الجزاء.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ولم ينتهوا فثقوا بولاية الله ونصرته.

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآلِ النَّبِيِّ إِنْ كُنْتُمْ آمِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْمُدَوَّنِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْمُدَوَّنِ الْفُصُوى وَالرَّكْبِ اسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ

لَا تَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ
مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ
وَإِنَّا لِلَّهِ لَسَمِيعٌ عَلَيْهِ ﴿١٢﴾

(ما) موصولة، و﴿مَنْ شِئَ﴾ بيانه، ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ﴾ مبتدأ، وخبره محذوف تقديره: فواجب، أو فحق أن ﴿لِلَّهِ مُخْسَدٌ﴾.

قال أصحابنا: رضوان الله عليهم أجمعين: إنَّ الخمس يقسم على ستة أسهم - كما في الآية -: سهم لله، وسهم للرسول ﷺ، وسهم لذوي القربى، فهذه الأسهم الثلاثة اليوم للإمام القائم مقام الرسول ﷺ، وسهم لتمامي آل محمد، وسهم لمساكينهم، وسهم لأبناء سبيلهم، لا يشركهم في ذلك غيرهم، لأنَّ الله سبحانه حرّم عليهم الصدقة لكونها أوساخ الناس وعرضهم من ذلك الخمس^(١). وروى ذلك الطبري^(٢) عن عليّ بن الحسين زين العابدين ومحمد بن عليّ الباقر صلوات الله عليهما^(٣). ورووا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قيل له: إنَّ الله تعالى قال: ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ﴾ فقال: ((أيتامنا ومساكيننا))^(٤).

وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ تعلق بمحذوف يدلّ عليه ﴿وَأَعْلَمُوا﴾، والمعنى: إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنَّ الخمس من الغنيمة يجب التقرب به،

(١) ينظر: الوسائل ج ٦ باب ١ من أبواب قسمة الخمس.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، صاحب التصانيف المشهورة في التفسير والتاريخ، ولد بآمل سنة ٢٢٤ هـ واستوطن بغداد وأقام بها إلى حين وفاته سنة ٣١٠ هـ. ينظر: طبقات المفسرين ج ٢: ١٠٦.

(٣) تفسير الطبري ج ١٠: ٧، وفيه عن زين العابدين عليه السلام فقط.

(٤) الكشف والبيان ج ٤: ٣٦١.

فاقطعوا عنه أطعاعكم واقتنعوا بالأخماس الأربعة.

﴿وَمَا أَرْزَلْنَا﴾ معطوف على ﴿بِإِلَهِ﴾ أي: إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل ﴿عَلَىٰ عِبَادِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ يعني: يوم بدر.

و﴿الْجَمْعَانِ﴾: الفریقان من المسلمين والكافرين، والمراد: ما أنزل من الآيات والملائكة والفتح يومئذ.

﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾، والعدوة: شط الوادي، بالكسر والضم، و﴿الدُّنْيَا﴾ و﴿الْقُصُوفِ﴾ تأنيث الأدنى والأقصى، والقياس أن تقلب الواو ياء كالعليا، إلا أن القصوى جاءت على الأصل شاذاً كالقود. والعدوة الدنيا مما يلي المدينة، والعدوة القصوى مما يلي مكة.

﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ يعني أبا سفيان والعير ﴿أَسْفَلَ﴾ نصب على الظرف، معناه: مكاناً أسفل من مكانكم يقودون العير بالساحل، ومحله رفع لأنه خبر المبتدأ.

والفائدة في ذكر هذه المراكز، الإخبار عن الحال الدالة على قوة المشركين وضعف المسلمين، وأن غلبتهم على مثل هذه الحال أمر إلهي لم يتيسر إلا بحوله وقوته، وذلك أن العدو القصوى كان فيها الماء، ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار^(١) تسوخ فيها الأرجل، وكانت العير وراء ظهورهم مع كثرة عددهم، وكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتحملهم على أن لا يرحوا مواطنهم ويبدلوا نهاية نجدتهم، وفيه تصوير ما دبّره عزّ اسمه من أمر وقعة بدر ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ من إعزاز دينه وإعلاء كلمته.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾ أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون

(١) الخبار: الأرض الرخوة ذات الحجرة. (الصحاح خبر)

فيه للقتال، لخالف بعضكم بعضاً، فثبّطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد، وثبّطهم ما في قلوبهم من الرعب، فلم يتفق لكم من اللقاء ما وفقه الله.

﴿لَيَقْضَى﴾ متعلّق بمحذوف، أي: ليقضي أمراً كان واجباً أن يفعل، دبر ذلك، وقوله: ﴿لَيَهْلِك﴾ بدل منه، واستعير الهلاك والحياة للكفر والإسلام، أي: ليصدر كفر من كفر عن وضوح بيّنة وقيام حجة عليه، ويصدر إسلام من أسلم عن يقين وعلم بأنّه الدين الحقّ الذي يجب التمسك به.

﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعلم كيف يدبر أموركم.

إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرْنٰكُهُمْ كَثِيراً
لَفَسَلَتُمْ وَلَنَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلَيْهِ
بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ
قَلِيلاً وَلْيَقَلِّلْكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا
وَالِىَ اللَّهُ تَرْجِعَ الْأُمُورَ ﴿١١﴾

﴿إِذْ﴾ نصب بإضمار اذكر، أو هو بدل ثان من ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾، أو متعلّق بقوله: ﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك.

﴿فِي مَنَايِكَ﴾ أي: في رؤياك، وذلك أنّ الله سبحانه أراهم إياه في رؤياه قليلاً، فأخبر بذلك أصحابه فكان تشجيعاً لهم، وعن الحسن: ﴿فِي مَنَايِكَ﴾: في عينك لأنّها مكان النوم^(١). والفشل: الجبن، أي: لجبتم وهبتم الإقدام، ولتنازعتم في الرأي وتفرقت كلمتكم فيما تصنعون.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ أي: أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع ﴿إِنَّهُ عَلَيْهِ

بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٥﴾ يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ أي: يبصركم إياهم، و﴿قَلِيلًا﴾ نصب على الحال. وإِنَّمَا قَلَّلَهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ تصديقاً لرؤيا رسول الله ﷺ. وعن ابن مسعود: لقد قَلَّلُوا فِي أَعْيُنِنَا حَتَّى قُلْتُ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِي: أَتَرَاهُمْ سَبْعِينَ؟ قَالَ: أَرَاهُمْ مَائَةً، فَأَسْرَنَا رَجُلًا مِنْهُمْ فَقُلْنَا: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: أَلْفًا^(١).

﴿وَيَقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ حتى قال قائل منهم: إِنَّمَا هُمْ أَكَلَةٌ جَزُورٌ^(٢)، وَإِنَّمَا قَلَّلَهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ليجترئوا عليهم قبل اللقاء، ثم كثرهم فيها بعد اللقاء لتفجأهم الكثرة فيها، وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم، وذلك قوله: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾^(٣)، ويمكن أن يكونوا قد أبصروا الكثير قليلاً بأن ستر الله عنهم بعض أولئك بساتر.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٦﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا
تَنَزَّعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ
﴿٤٧﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِشَاءَ
النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٨﴾

أي: إذا حاربتم جماعة كافرة، وإِنَّمَا لم يصفهم لأن المؤمنين لا يحاربون إلا الكفار، واللقاء اسم للقتال غالب.

(١) تفسير الطبري ج ١٠: ١٠.

(٢) القائل أبو جهل. تاريخ الطبري ج ٢: ٢٧٩.

(٣) آل عمران: ١٣.

﴿فَاقْبُتُوا﴾ لقتالهم ولا تفروا ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ في مواطن القتال، مستعينين به مستظهرين بذكره ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ أي: تظفرون بمرادكم من النصرة والثوبة.

﴿وَلَا تَنَزَعُوا﴾ أي: لا تتنازعا فيما بينكم فتضعفوا عن قتال عدوكم، و﴿تَفْسَلُوا﴾ منصوب بإضمار (أن).

والريح: الدولة، شبت في نفوذ أمرها بالريح وهبوبها، قالوا: هبت رياح فلان: إذا دالت له الدولة ونفذ أمره، وقيل: لم يكن قط نصر إلا بريح يبعثها الله^(١). وفي الحديث: ((نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور))^(٢).

﴿كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ هم أهل مكة خرجوا ليحموا غيرهم، فاتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة^(٣): أن ارجعوا فقد سلمت غيركم، فأبى أبو جهل وقال: حتى نقدم بدماء نأخذ بها الخمر وتعزف علينا القيان، فذلك بطرهم، ورنائهم الناس إطعامهم، فوافوها فسقوا كأس الحمام مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان.

وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ
مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِئَتَانِ نَكَصَ
عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي
أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٨﴾

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ١٠: ١٢.

(٢) صحيح مسلم ج ٣: ٢٧، الجعفریات ج ٢: ١٣٦.

(٣) الجحفة: قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وبينها وبين المدينة ست مراحل وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمشوا على المدينة. معجم البلدان ج ٢: ١١١.

قيل: إن قريشاً لما اجتمعت للمسير ذكرت ما بينها وبين كنانة من الحرب فكاد ذلك يشنيهم، فتمثل لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم الكناني - وكان من أشrafهم - فقال: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ﴾ وإني مجيركم من بني كنانة، فلما رأى الملائكة تنزل ﴿تَكْصُ﴾، ولما نکص قال له الحارث بن هشام - وكانت يده في يده -: إلى أين؟ أخذلنا في هذه الحال؟ فقال: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ ودفع في صدره وانطلق، وانهمزوا، فلما بلغوا مكة قالوا: هزم الناس سراقه، فبلغ ذلك سراقه، فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم^(١).

إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ
دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
(٤٩) وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرِيحُونَ
بُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا
فَدَمْتَ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ (٥١)

﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ﴾ بالمدينة ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ الشاكون في الإسلام ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ يعنون المسلمين، أي: اغترّوا بدِينهم وأنهم ينصرون من أجله، فخرجوا مع قتلهم إلى قتال المشركين مع كثرتهم.
﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب ينصر الضعيف على القوي، والقليل على الكثير.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ أي: ولو عاينت وشاهدت، لأن (لو) يرد المضارع إلى معنى الماضي، كما أن (إن) ترد الماضي إلى معنى الاستقبال، و﴿إِذْ﴾ نصب على الظرف، وقرئ: يتوفى - بالياء والتاء ..

و﴿يَضْرِبُونَ﴾ حال، وعن مجاهد: ﴿أَذْبَرُهُمْ﴾: أَسْتَاهِمَ ولكن الله كريم يَكْتِي^(١)، وقيل: يضربون ما أقبل منه وما أدبر، والمراد به قتلى بدر^(٢). و﴿ذُوقُوا﴾ معطوف على ﴿يَضْرِبُونَ﴾ على إرادة القول، أي: ويقولون: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ بعد هذا في الآخرة. وقيل: كانت مع الملائكة مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبب النار في جراحاتهم^(٣).

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الله، ومن كلام الملائكة، و﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ، و﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ﴾ خبره، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ عطف عليه، أي: ذلك العذاب بسببين: بسبب كفركم ومعاصيكم، وبأن الله يعذب الكفار بالعدل، لأنه لا يظلم عباده في عقوبتهم. وقد بالغ في نفي الظلم عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ يَظْلِمُ لَعَلَّيْدٍ﴾.

كَذَابِ ءَالِ فِرْعَوْنَ^١ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغِيرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَابِ ءَالِ فِرْعَوْنَ^٢ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ^٣ وَكُلَّ كَاثِبٍ ظَالِمٍ ﴿٥٤﴾

الكاف في محل الرفع، أي: دأب هؤلاء مثل دأب ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾. ودأبهم: عاداتهم وعملهم الذي دأبوا فيه، أي: داوموا عليه، و﴿كَفَرُوا﴾ تفسير لدأب آل

(١) تفسير الطبري ج ١٠: ١٧.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١٠: ١٧.

(٣) الكشف والبيان ج ٤: ٣٦٧.

فرعون.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما حلّ بهم، أي: ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب بسبب ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ لا يصحّ في حكمته أن يغيّر نعمته عند ﴿قَوْمٍ حَتَّى يُعِيرُوا مَا﴾ بهم من الحال، وعن السدي: (النعمة محمد ﷺ) أنعم الله به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله إلى الأنصار^(١).

﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما يقول مكذبو الرسل ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بما يفعلون.
﴿كَذَابٍ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ تكرير للتأكيد. وفي قوله: ﴿بَاتَيْنَ رَبَّهُمْ﴾ زيادة دلالة على كفران النعم. وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب.
﴿وَكُلُّكُمْ ظَالِمِينَ﴾ أي: وكل من غرقى آل فرعون وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بكفرهم ومعاصيهم.

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾
الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾
فَإِذَا تَشَفَّعْنَاهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهَمَّ مَن خَلَفَهُمْ
لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْزِلْ
إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنْ أَلَّ اللَّهُ لَا يَحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أصرّوا على الكفر فلا يتوقع منهم إيمان، وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله ﷺ على أن لا يبالئوا عليه عدواً، فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوا عليه الأحزاب يوم الخندق.

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: الذين عاهدتهم من الذين كفروا، جعلهم شرّ الدواب لأن شرّ الناس الكفار، وشرّ الكفار المصرون منهم، وشرّ المصريّن الذين ينقضون العهد.

﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ أي: لا يخافون عاقبة الغدر، ولا يبالون ما فيه من العار والنار.

﴿فَأَمَّا تَتَقَفْتُمْ﴾ أي: تصادفتهم ﴿فِي الْحَرْبِ﴾، والمعنى: إن ظفرت بهم وأدركتهم ﴿فَشَرِدَ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: ففرّق عن محاربتك ومناصبتك من وراءهم من الكفرة بقتلهم شرّ قتلة، حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد، اعتباراً بهم واتعاضاً بحالهم.

﴿وَأَمَّا تَخَافَتْ مِنْ قَوْمٍ﴾ معاهدين ﴿خِيَانَةً﴾ ونكثاً للعهد ﴿فَأَنذِرْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: فاطرح إليهم العهد ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ على طريق مقتصد مستو، وذلك بأن تخبرهم بنبد العهد إخباراً ظاهراً مكشوفاً، وتبين لهم أنك قطعت ما بينك وبينهم، ولا تبدأهم بالقتال وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ فلا تخنهم بأن تناجزهم القتال من غير إعلامهم بالنبد، وقيل: معناه على استواء في العلم بنقض العهد. والجار والمجرور في موضع الحال، كأنه قيل: فانبذ إليهم ثابتاً على طريق قصد سوي، أو حاصلين على استواء في العلم على أنها حال من النابذ والنبوذ إليهم معاً.

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٨﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا

﴿نُظْلِمُونَ﴾ ٦٠ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ

هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

﴿سَبَقُوا﴾ أي: فاتوا من أن يظفر بهم.

﴿لَانْتَهُمْ لَا يَعْجِزُونَ﴾ أي: لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزاً عن إدراكهم. وقرئ: أنهم - بالفتح - بمعنى لأنهم، وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل، إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح. والمعنى: لا تحسبن يا محمد الكافرين قد فاتوك فإن الله يظفرك بهم ويظهرك عليهم، وفي الشواذ قراءة ابن محيصن^(١): لا يعجزون - بكسر النون، وقرئ: ولا يحسبن - بالياء - على أن الفعل لـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، كأنه قيل: لا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا، فحذفت (أن)، كقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾^(٢)، أو على أن المعنى: ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا.

والقوة: كل ما يتقوى به في الحرب من العدد، والرباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، ويجوز أن يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المrabطة، ويجوز أن يكون جمع رباط كفصال جمع فصيل.

﴿تُرْهِبُونَ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد، يقال: أرهبته ورهبته، أي: تخيفون بما تعدونه ﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ يعني أهل مكة.

﴿وَأَخْرَيْنَ﴾ أي: وترهبون كفاراً آخرين ﴿مِنْ﴾ دون هؤلاء ﴿لَا نَعْلَمُونَهُمْ﴾

(١) محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولا هم المكي المقرئ، كان له اختيار في القراءة خرج به عن إجماع أهل بلده فرغب الناس عن قراءته، قيل: إنه مات سنة ١٢٣ هـ وقيل ١٢٢ هـ. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج ٢: ١٦٧.

لأنهم يصلّون ويصومون ويقولون: لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾
لأنه المطلاع على الأسرار ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ في الجهاد يوفر عليكم ثوابه ﴿وَأَنْتُمْ
لَا تَظْلَمُونَ﴾ لا تنقصون شيئاً منه.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ جنح له وإليه: مال، والسلام - بفتح السين وكسرهما -:
الصلح، يؤث تأنيث نقيضها وهي الحرب، قال:

السُّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيتَ بِهِ وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرْعٌ^(١)

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ولا تخف من خديعتهم ومكرهم، فإن الله عاصمك
وكافيك من مكرهم.

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ
وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْتِهِمْ
إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٣﴾ يَتَأَيَّأُ الْإِنِّي حَسْبَكَ اللَّهُ وَمَنْ أَتَّبَعَكَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ يَتَأَيَّأُ الْإِنِّي حَرِضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ
إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَادِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ
مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا
يَفْقَهُونَ ﴿١٥﴾ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا
فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ
أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِرِينَ ﴿١٦﴾

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ في الصلح بأن يقصدوا به دفع أصحابك عن

القتال حتى يقوى أمرهم فيبدؤوكم بالقتال من غير استعداد منكم.

﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ أي: محسبك الله ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ﴾ أي: قواك ﴿بِضُرٍّ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين ينصرونك على أعدائك، يريد الأنصار وهم: الأوس والخزرج.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ مَا أَلَّفْتَ﴾ حتى صاروا متحابين متوآدين بعد ما كان بينهم من التضامن والتحارب ولم يكن لبغضائهم أمد، فأنساهم الله ذلك كله حتى تصافوا وعادوا إخواناً.

﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ لما أمكنك التآليف ﴿بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ وإزالة ضغائن الجاهلية عنهم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بالإسلام.

﴿وَمَنْ أَتَّبَعَكَ﴾ الواو بمعنى (مع)، وما بعده منصوب، لأن عطف الظاهر المجرور على المكنى قبيح، والمعنى: كفاك وكفى متبعيك ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الله ناصراً، أو يكون في محل الرفع أي: كفاك الله وكفاك المؤمنون، وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال^(١).

والتحريض: المبالغة في الحث على الأمر، من الحرص وهو أن ينهكه المرض حتى يشفى على الموت، وهذه عدة من الله بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بتأييد الله.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: بسبب أن الكفار جهلة يقاتلون على غير احتساب ثواب كالبهائم.

وعن ابن جريج^(١): (كان عليهم أن لا يفروا^(٢)) ويثبت الواحد للعشرة^(٣). وكان رسول الله ﷺ بعث حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين راكباً، فلقي أبا جهل في ثلاثمائة راكب، فثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة، فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين^(٤). وقرئ: ضعفاً - بفتح الضاد وضمها - وضعفاء جمع ضعيف، وقرئ: يكن في الموضعين بالياء والتاء، والمراد بالضعف: الضعف في البدن، وقيل: في البصيرة والاستقامة في الدين، وكانوا متفاوتين في ذلك.

مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْخِزَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ
عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ
مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ فَكُلُوا مِنَّمَا غَنِمْتُمْ
حَلَالًا طَيِّبًا وَانْقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩﴾

الإثخان: كثرة القتل والمبالغة فيه، من قولهم: أثختته الجراحات حتى أثبتته، وأصله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة. والمعنى: ﴿مَا﴾ استقام ﴿لِنَبِيِّ﴾ وما صح له ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى﴾ يذل الكفر ويضعفه بإشاعة القتل في أهله، ويعز الإسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر، وكان هذا يوم بدر، فلما كثر المسلمون نزل: ﴿فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ﴾^(٥). وروي: أن رسول الله ﷺ أتى بسبعين أسيراً فيهم العباس عمه وعقيل بن أبي طالب، ولم يؤسر أحد من أصحاب رسول الله ﷺ.

(١) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي الأموي مولاهم، ولد سنة نيف وسبعين، مات سنة ١٥٠ هـ. ينظر: طبقات المفسرين ج ١: ٣٥٢.

(٢) في أ، ج: ينفروا.

(٣) تفسير الطبري ج ١٠: ٢٧.

(٤) ينظر: مغازي الواقدي ج ١: ٩.

(٥) محمد: ٤.

و﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ حطامها، سمي بذلك لأنه حدث قليل اللبث، يريد الفداء. والخطاب للمؤمنين الذين رغبوا في أخذ الفداء من الأسرى.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ أي: تريدون عاجل الحظ من عرض الدنيا، والله يريد لكم ثواب الآخرة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يغلب أولياءه على أعدائه، ويتمكنون منهم قتلاً وأسراً ويطلق لهم الفداء، ولكنه ﴿حَكِيمٌ﴾ يؤخر ذلك وهم يعملون.

﴿لَوْلَا كَتَبَ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: حكم منه ﴿سَبَقَ﴾ إثباته في اللوح بإباحة الغنائم لكم ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا﴾ استحللتم قبل الإباحة ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، وقيل: لولا كتاب من الله في القرآن أنه لا يعذبكم والنبي بين أظهركم.

﴿فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ هذا إباحة للفداء لأنه من جملة الغنائم، وقيل: إنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم إليها، فنزلت الآية^(١). ومعنى الفاء التسبيب، أي: قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم.

و﴿حَلَلًا﴾ نصب على الحال من المغموم، أو صفة للمصدر، أي: أكلاً حلالاً.

يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

وقرئ: ﴿مِنَ الْأَسْرَىٰ﴾ وهو أقيس من الأسارى، لأن الأسير فعيل بمعنى مفعول، وذلك يجمع على فعلى نحو جرحى وقتلى، وقالوا: أسارى، تشبيهاً بـ(كسالى)، كما شبهوا (كسلى) بـ(أسرى).

﴿قُلْ لَيْسَ فِي أَيْدِيكُمْ﴾ أي: لمن في ملكتكم، فكأن أيديكم قابضة عليهم ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ خلوص عقيدة وصحة نية في الإيمان ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾ من الفداء: إما أن يخلفكم أضعافه في الدنيا أو يشيكم في الآخرة. وروي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال للعباس: ((افد ابني أخويك)) عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث، فقال: أتركني أتكفف قريشاً ما بقيت؟ قال: فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل، وقلت: إن حدث بي حدث فهو لك وللفضل وعبد الله وقثم؟ فقال العباس: وما يدريك؟ قال: أخبرني به ربي، قال: أشهد أنك صادق، وأن لا إله إلا الله، وأنت عبده ورسوله، والله لم يطلع عليه أحد إلا الله، ولقد دفعت إليها في سواد الليل، ولقد كنت مرتاباً في أمرك، فأما إذ أخبرتني بذلك فلا ريب. قال العباس: فأبدلني الله خيراً من ذلك: لي الآن عشرون عبداً إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفاً، وأعطاني زمزم، وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا أنتظر المغفرة من ربي^(١).

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَخِيَانَتَكَ﴾ نكت ما بايعوك عليه، ومنع ما ضمنوا من الفداء ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ بأن خرجوا إلى بدر وقاتلوا مع المشركين ﴿فَأَمْكَنَ﴾ الله ﴿مِنْهُمْ﴾ وسمكن منهم إن أعادوا الخيانة.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَبَالٍ لِيْنِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ
وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا
مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ
إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٤﴾

﴿هَاجَرُوا﴾ أي: فارقوا أوطانهم وقومهم حباً لله ولرسوله، وهم المهاجرون من مكة إلى المدينة.

﴿وَالَّذِينَ﴾ آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم هم الأنصار.
﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بَعْضٍ﴾ أي: يتولى بعضهم بعضاً في الميراث. وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالمواخاة الأولى حتى نسخ ذلك بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾. وقرئ: من ولايتهم - بالفتح والكسر، قال الزجاج: هي بفتح الواو من النصرة والنسب، وبالكسر هي بمنزلة الإمارة^(١). والوجه في الآية أنه شبه تولى بعضهم بعضاً بالصناعة والعمل، لأن كل ما كان من هذا الجنس فمكسور كالصياغة والكتابة، وكأن الرجل بتولية صاحبه يباشر أمراً ويزاول عملاً.

﴿وَإِنْ أَسْتَنْصَرُكُمْ﴾ أي: وإن طلب المؤمنون الذين لم يهاجروا منكم النصرة لهم على الكفار ﴿فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ لهم ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ وعهد، فلا يجوز لكم نصرهم عليهم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلَى بَعْضٍ﴾ معناه نهي المسلمين عن موالة الكفار

ومعاونتهم وإن كانوا أقارب، وأن يتركوا يتولى بعضهم بعضاً.

﴿لَا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: إن لا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضاً حتى في التوارث، تفضيلاً لنسبة الإسلام على نسبة القرابة، ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار تحصل ﴿فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ ومفسدة كبيرة، لأن المسلمين ما لم يكونوا يداً واحدة على أهل الشرك كان الشرك ظاهراً، وتجراً أهله على أهل الإسلام ودعوهم إلى الكفر.

ثم عاد سبحانه إلى ذكر المهاجرين والأنصار وأثنى عليهم بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ لأنهم حققوا إيمانهم بالهجرة والنصرة والانسلاخ من الأهل والمال لأجل الدين.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ﴾ يريد: اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة، كقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ... الْآيَةَ﴾^(١).

﴿فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ من جملتكم، وحكمهم حكمكم في وجوب موالاتهم ونصرتهم وإن تأخر إيمانهم وهجرتهم.

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ وأولو القرابات أولى بالتوارث، بعضهم أحق بميراث بعض من غيرهم، وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة.

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في حكمه، وقيل: في اللوح المحفوظ^(٢)، وقيل: في القرآن.

وفيه دلالة على أن من كان أقرب إلى الميت في النسب كان أولى بالميراث.

(١) الحشر: ١٠.

(٢) تفسير ابن عباس ج ٢: ١٧٧.

سورة التوبة

مدينة، وهي مائة وتسع وعشرون آية كوفي، ثلاثون بصري، عدّ البصري: ﴿بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وعن الصادق عليه السلام قال: ((الأنفال وبراءة واحدة))^(١)، وعن علي عليه السلام: ((لم ينزل (بسم الله الرحمن الرحيم) على رأس سورة براءة، لأنّ بسم الله للأمان والرحمة، ونزلت براءة لرفع الأمان ولل سيف))^(٢). وقيل: إنّ السورتين كانتا تدعيان القريبتين، وتعدّان السابعة من السبع الطوال^(٣).

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾
فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ
اللَّهَ يُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذِّنْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ
الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتِغُوا
فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ
وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ

(١) تفسير العياشي ج ٢: ٧٣.

(٢) الدر المنثور ج ٣: ٢٠٩.

(٣) الدر المنثور ج ٣: ٢٠٨.

الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا
إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُنْظِقِينَ ﴿١﴾

﴿بَرَاءَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، و﴿مَنْ﴾ لا ابتداء الغاية. والمعنى: هذه براءة واصلة ﴿مَنْ اللَّهَ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَنْهُمْ﴾، ويجوز أن تكون ﴿بَرَاءَةٌ﴾ مبتدأ وإن كانت نكرة لتخصصها بصفتها، والخبر ﴿إِلَى الَّذِينَ عَنْهُمْ﴾ كما تقول: رجل من قريش في الدار. والمراد: إن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ وأن عهدهم منبوذ إليهم.

﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ هذا خطاب للمشركين، أمروا أن يسبحوا في الأرض أربعة أشهر وهي الأشهر الحرم آمين أين شاؤوا لا يتعرض لهم، وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها. وقيل: إن (براءة) نزلت في شوال سنة تسع من الهجرة والأشهر الأربعة: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم^(١)، وقيل: هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول، وعشر من شهر ربيع الآخر^(٢)، وكانت حرماً لأنهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم، وهو الأصح.

وأجمع المفسرون على أن رسول الله ﷺ حين نزلت (براءة) دفعها إلى أبي بكر ثم أخذها منه ودفعها إلى علي عليه السلام، وإن اختلفوا في تفصيله، وقد شرحناه في الكتاب الكبير^(٣). وعن الباقر عليه السلام قال: ((خطب علي عليه السلام الناس يوم النحر واختلط سيفه فقال: لا يطوفن بالبيت عريان، ولا يحجن البيت مشرك، ومن كانت له مدة فهو

(١) عن الزهري. تفسير الطبري ج ١٠: ٤٤.

(٢) عن الضحاك وغيره. تفسير الطبري ج ١٠: ٤٣.

(٣) مجمع البيان ج ٥-٦: ٣، وانظر الدر المنثور ج ٣: ٢٠٩ - ٢١٠.

إلى مدته، ومن لم يكن له مدة فمدته أربعة أشهر، وقرأ عليهم سورة براءة^(١).
وقيل: إنه قرأ ثلاث عشرة آية من أول براءة^(٢)، وقيل: ثلاثين أو أربعين آية^(٣).

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ أي: لا تفوتونه وإن أمهلكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي
الْكَافِرِينَ﴾ أي: مذلهم في الدنيا بالقتل، وفي الآخرة بالعذاب.

﴿وَأَذَّنَ رَبُّنَا لِلَّهِ﴾ الوجه في رفعه ما ذكرناه في ﴿بَرَاءَةٌ﴾ بعينه، ثم الجملة
معطوفة على مثلها، وهو بمعنى الإيدان كما أنَّ الأمان والعطاء بمعنى الإيمان
والإعطاء. والجملة الأولى إخبار بثبوت البراءة، والجملة الثانية إخبار بوجوب
الإعلام بما ثبت من البراءة الواصلة من الله ورسوله إلى المعاهدين والناكثين لجميع
الناس، من عاهد منهم ومن لم يعاهد.

﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ يوم عرفة، وقيل: يوم النحر^(٤)، لأنَّ فيه تمام الحج
ومعظم أفعاله. وروي أنَّ علياً عليه السلام أخذ رجل بلجام دابته فقال: ما الحج الأكبر؟
فقال: ((هذا، خلَّ عن دابتي))^(٥).

﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ﴾ حذفت الباء تخفيفاً. وقرئ في الشواذ: إنَّ الله - بالكسر -
لأنَّ الأذان في معنى القول ﴿وَرَسُولُهُ﴾ عطف على الضمير في ﴿بَرِيءٌ﴾ أو على
محلَّ (إن) المكسورة واسمها. وقرئ بالنصب عطفاً على اسم (أن)، أو لأنَّ الواو
بمعنى (مع).

(١) تفسير العياشي ج ٢: ٧٤. سيرة ابن هشام ج ٤: ٢٥٦.

(٢) عن مجاهد. الكشف ج ٢: ٢٤٣.

(٣) عن السدي. تاريخ الطبري ج ٣: ١٥٤.

(٤) عن الباقر عليه السلام تفسير العياشي ج ٢: ٧٥، وروي مرفوعاً تفسير الطبري ج ١٠: ٥٣.

(٥) تفسير الطبري ج ١٠: ٥٠.

﴿فَإِنْ تَبَتُّمُ﴾ من الكفر والغدر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الإقامة عليهما ﴿وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِزٌّ مُّعْجِزٌ لِلَّهِ﴾ غير سابقين الله، ولا فائتين بأسه وعذابه.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ استثناء من ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ لأن الاستثناء بمعنى الاستدراك. والمعنى: ولكن الذين لم ينكثوا ولم ينقصوا من شرط العهد ﴿شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من أعدائكم ﴿فَاتَّبَعُوا إِلَهُهُمْ عَاهِدُهُمْ إِلَيَّ﴾ انقضاء ﴿مُدَّتِهِمْ﴾ التي وقع العهد إليها، ولا تجعلوا الوفي كالغادر.

فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ
وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى
يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتْلُغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

أي: ﴿إِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرُ﴾ التي أبيح فيها للناكثين أن يسبحوا في الأرض ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ فضعوا السيف فيهم حيث كانوا وأين وجدوا، في حل أو حرم ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ أي: إيسروهم، والأخذ: الأسير.

﴿وَأَحْضُرُوهُمْ﴾ أي: قيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد، وقيل: حولوا بينهم وبين المسجد الحرام^(١).

﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ أي: كل مر وطريق ترصدونهم به،

وانتصب على الظرف كقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١).

﴿فَخَلَوْا سَبِيلَهُمْ﴾ أي: دعوهم يتصرفون في البلاد، أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم، أو دعوهم يحجوا ويدخلوا المسجد الحرام ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر لهم ما قد سلف من كفرهم وغدرهم.

﴿أَحَدٌ﴾ مرفوع بفعل الشرط، وهو مضمّر يفتره الظاهر، تقديره: وإن استجارك [أحد استجارك]^(٢). والمعنى: وإن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر لا عهد بينك وبينه فاستأمنك لسمع ما تدعو إليه من القرآن والدين فأمنه ﴿فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ ويتدبره، فإن معظم الأدلة فيه ﴿ثُمَّ أُتِلَّغَتْ مَا مَنَّهُ﴾ بعد ذلك، يعني داره التي يأمن فيها إن لم يسلم، ثم قاتله إن شئت من غير غدر ولا خيانة، وهذا الحكم ثابت في كل وقت.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك الأمر بالإجارة بسبب ﴿أَنَّهُمْ قَوْمٌ﴾ جهلة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ الإيمان فأمنهم حتى يسمعوا ويعلموا.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رُسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾
كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ صحيح، ومحال أن يثبت لهم عهد مع إضمارهم الغدر والنكث، فلا تطمعوا في ذلك، ولكن ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ منهم

(١) الأعراف: ١٦.

(٢) ساقطة من ج.

﴿عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة، فترتبوا أمرهم ولا تقاتلوهم.

﴿فَمَا اسْتَقَمُّوا لَكُمْ﴾ على العهد ﴿فَأَسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ على مثله.

﴿كَيْفَ﴾ تكرر لاستبعاد ثبات المشركين على العهد، وحذف الفعل لكونه معلوماً، أي: ﴿كَيْفَ﴾ يكون لهم عهد وحالهم أنهم ﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ ويظفروا بكم بعد ما سبق لهم من الأيمان والمواثيق ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ أي: لا يحفظوا فيكم قرابة ولا عهداً، قال حسان:

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ كَالِ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ^(١)
وقيل: إلّا: حلفاً^(٢)، وقيل: إلّا: إلهاً^(٣).

﴿يُرْضَوْنَكُمْ﴾ كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الباطن الظاهر.
وباء القلوب: مخالفة ما فيها من الأضغان لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَتِيقُونَ﴾ متمردون في الكفر والشرك، لا مروءة تردعهم كما توجد في بعض الكفار من التعفف عما يثلم العرض والتفادي عن النكث.
أَشْتَرَوْا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِتْنَمَ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

(١) ديوان حسان بن ثابت: ٢١٨.

(٢) عن قتادة. تفسير الطبري ج ١٠: ٦٠.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ١٠: ٥٩.

وَأَتُوا الزَّكَاةَ فَخَوَّضَكُمْ فِي الدِّينِ ۖ وَنَقَصُوا آيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَبِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقْدِرُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بِكَذِّبِكُمْ أُولَٰئِكَ مَرَّةً كَفَّرْنَا عَنْهُمْ فَاَللَّهُ أَهَقُ أَنْ نَحْشُرَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

استبدلوا ﴿بِأَيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: بالقرآن والإسلام ﴿ثُمَّناً قَلِيلاً﴾ وهو اتباع الأهواء والشهوات ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم. و﴿الْمُعْتَدُونَ﴾ المجاوزون الغاية في الظلم والكفر.

﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ عن الكفر ونقض العهد، فهم إخوانكم حذف المبتدأ. ﴿وَنَقَصُوا آيَاتِ﴾ ونبينها. وهذا اعتراض، فكأنه قيل: ومن تأمل تفصيلها فهو العالم.

﴿وَإِنْ نَكَثُوا﴾ أي: نقضوا عهودهم بعد أن عقدوها ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ وعابوه ﴿فَقَبِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾ أي: فقاتلوهم، وضع الظاهر موضع المضممر إشعاراً بأنهم إذا نكثوا في حال الشرك تمرداً وطرحاً لعادات الكرام الأوفياء من العرب.

ثم آمنوا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ وصاروا إخواناً للمسلمين ﴿فِي الدِّينِ﴾، ثم رجعوا فارتدوا عن الإسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الإيمان وطعنوا في دين الله، فهم رؤساء الكفر والضلالة والمتقدمون فيه. وعن حذيفة:

(لم يأت أهل هذه الآية بعد)^(١). وقرأ علي عليه السلام هذه الآية يوم الجمل، ثم قال: ((أما والله لقد عهد إلي رسول الله ﷺ وقال لي: يا علي لتقاتلن الفئة الناكثة والفئة الباغية والفئة المارقة))^(٢).

﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ أي: لا عهود لهم يعني: لا يحفظونها. وقرئ بكسر الهمزة، أي: فلا يعطون الأمان بعد النكث والردة، أو لا إسلام لهم ولا إيمان على الحقيقة، ولا اعتبار بما أظهوره من الإيمان.

﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْا﴾ يتعلّق بـ ﴿فَقَاتِلُوا﴾ أي: ليكن غرضكم في مقاتلتهم أن ينتهوا عما هم عليه، وهذا من غاية كرمه سبحانه وفضله.

﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ﴾ دخلت الهمزة للتقرير، ومعناه: الحُصّ على المقاتلة.

﴿تَكْثُرُوا أَيْمَنُهُمْ﴾ التي عقدوها ﴿وَهَكُومًا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ من مكة حين تشاوروا في أمره، حتى أذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه ﴿وَهُمْ بِكَذُوبِكُمْ﴾ بالمقاتلة - والبادئ أظلم - فما يمنعكم أن تقاتلوهم بمثله؟!.

﴿أَتَخَشَّوْنَهُمْ﴾ تفرّيع بالخشية منهم وتوبيخ عليها ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ فقاتلوا أعداءه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فإنّ المؤمن لا يخشى إلا الله.

فَقَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَضْرِبُهُمْ
عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبَ غِظَ
قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ
حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ

(١) تفسير الطبري ج ١٠: ٦٣.

(٢) تفسير العياشي ج ٢: ٧٨.

يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ
خَيْرٌ يِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

ويُخهم بترك القتال، ثم أكد ذلك بالأمر بالقتال فقال: ﴿فَتَلَوْهُمْ﴾، ثم وعدهم أنه ﴿يُعَذِّبُهُمْ﴾ بأيديهم قتلاً، ويخزيهم أسراً، وينصرهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ويشفي ﴿صُدُورَ﴾ طائفة من المؤمنين وهم خزاعة. وعن ابن عباس: (هم بطون من اليمن قدموا مكة وأسلموا فلقوا منهم أذى، فقال لهم رسول الله ﷺ: ((أبشروا فإنَّ الفرج قريب)))^(١).

﴿وَيَذْهَبْ غَيِّظَ قُلُوبِهِمْ﴾ لما لقوا منهم من المكروه، وقد أنجز الله هذه المواعيد كلها لهم، فكان ذلك دليلاً على صحة نبوة نبيه ﷺ.

﴿وَيَرْتَوِبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ استئناف كلام، وفيه إخبار بأنَّ بعض أهل مكة سيتوب عن كفره، وقد كان ذلك - أيضاً - فقد أسلم كثير منهم.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يفعل إلا ما فيه الحكمة.

﴿أَمْ﴾ منقطعة وفي الهزمة معنى التوبيخ، يعني: أنكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يميز المخلصون منكم وهم المجاهدون في سبيل الله لوجه الله، ولم يتخذوا ﴿وَلِجَنَّةٍ﴾ أي: بطانة وأولياء يوالونهم ويفشون إليهم أسرارهم.

﴿وَلَمَّا﴾ معناها التوقع، ودلت على أنَّ تمييز ذلك وإيضاحه متوقع، وقوله: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا﴾ عطف على ﴿جَهَدُوا﴾ فهو داخل - أيضاً - في الصلة، فكأنه قيل: ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله.

والوليعة: فعيلة من ولج، كالدخيلة من دخل.

والمراد بنفي العلم بنفي المعلوم، كما يقال: ما علم الله ما قيل في فلان، أي: ما وجد ذلك منه.

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى
 أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ
 خَالِدُونَ ﴿٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ
 فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾

﴿مَا﴾ صَحَّ ﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾ وما استقام لهم ﴿أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾
 يعني: عمارة المسجد الحرام، وإثما جمع لأن كل موضع منه مسجد، أو لآتة قبله
 المساجد كلها فعامره كعامر جميع المساجد، أو أريد جنس المساجد فيدخل فيه ما
 هو صدرها ومقدمها. وقرئ: مسجد الله.

﴿شَاهِدِينَ﴾ حال من الواو في ﴿يَعْمُرُوا﴾، ومعنى شهادتهم
 ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾: ظهور كفرهم، وأنهم نصبوا أصنامهم حول البيت
 وطافوا حول البيت عراة، وكلما طافوا شوطاً سجدوا لها، وقيل: هو قولهم: لبيك
 لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك. وروي: أَنَّ المهاجرين والأنصار
 عَيَّرُوا أَسَارَى بَدْر، وَوَبَّخَ عَلِيٌّ الْعَبَّاسَ بِقَتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ، فَقَالَ
 الْعَبَّاسُ: تَذْكُرُونَ مَسَاوِئَنَا وَتَكْتُمُونَ مَحَاسِنَنَا؟ فَقَالُوا: أَوْ لَكُمْ مَحَاسِنٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ،
 إِنَّا لَنَعْمَرُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَنَحْجِبُ الْكَعْبَةَ وَنَسْقِي الْحَجَّاجِجَ وَنَفَكُ الْعَانِي، فَتَزَلَّتْ^(١).
 ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ التي هي العمارة والسقاية والحجابة وفك

العنة.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ﴾ أي: إنما يستقيم عمارة هؤلاء، والعمارة تتناول بناءها، ورم ما استرم منها، وكنسها وتنظيفها، وتنويرها بالمصابيح، وزيارتها للعبادة والذكر. ومن الذكر درس العلم بل هو أفضله وأجله. وصيانتها عن فضول الكلام. وفي الحديث: ((يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد يقعدون فيها حلقاتاً، ذكرهم الدنيا وحب الدنيا، لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة))^(١).

﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ يعني: الخشية والتقوى في أبواب الدين، وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره.

أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ
لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ
أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾

التقدير: ﴿أَجَعَلْتُمْ﴾ أهل ﴿سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ] ويعضده قراءة من قرأ: سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام^(٢)، وهو إنكار تشبيه المشركين بالمسلمين، وتشبيه أعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم، وجعلت تسويتهم ظلماً بعد ظلمهم بالكفر.

(١) معجم الطبراني الكبير ج ١٠: ١٩٩، تنبيه الخواطر: ٧٧ باختلاف يسير.

(٢) ساقطة من ج.

أي: هم ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ من غيرهم من المؤمنين الذين لم يفعلوا هذه الأشياء ﴿وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْفَازُونَ﴾ المختصون بالفوز.

ونكر المبشر به من الرحمة والرضوان والنعيم المقيم، لوقوع ذلك وراء صفة الواصف وتعريف المعرف.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ
إِنْ أَسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَيْلٌ لَّكُمْ
فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ
وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ
تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ
اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٣١﴾

لما أمر المؤمنون بالهجرة وأرادوا أن يهاجروا، فمنهم من تعلقت به زوجته، ومنهم من تعلقت به أبواه وأولاده، فكانوا يمنعونهم من الهجرة فيتركونها لأجلهم، فبين سبحانه أن أمر الدين مقدم على النسب، وإذا وجب قطع قرابة الوالدين والولد فالأجنبي أولى.

﴿إِنْ أَسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ﴾ أي: اختاروه ﴿عَلَى الْإِيمَانِ﴾. وفي الحديث: ((لا يجد أحدكم طعم الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله))^(١). وقرئ: عشيرتكم على الواحد.

﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ وعيد، عن الحسن: (بعقوبة عاجلة أو

آجلة^(١). وهذه آية شديدة كَلَفَ المؤمن فيها أن يتجرد من الآباء والأبناء والعشائر وجميع حظوظ الدنيا لأجل الدين.

اللهم وفقنا لما يوافق رضاك حتى نحبّ فيك الأبعدين ونبغض فيك الأقربين.

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ
إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا
وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ
مُذَرِّبًا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى
الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾

﴿مَوَاطِنَ﴾ الحرب: مقاماتها ومواقفها.

و﴿حُنَيْنٍ﴾: واد بين مكة والطائف، كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفاً، منهم عشرة آلاف حضروا فتح مكة، وقد انضم إليهم من الطلقاء ألفان؛ وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف في من انضوى إليهم من أمداد العرب، فلما التقوا قال رجل من المسلمين: لن تغلب اليوم من قلة، فسأت مقاتله رسول الله ﷺ، وقيل: إن قائلاً أبو بكر^(٢)، وذلك قوله: ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾. فاقتلوا قتالاً شديداً، وأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة فانهمزوا حتى بلغ فلهم مكة، وبقي رسول الله ﷺ في مركزه لا يتحلحل، وبقي علي^(٣) ومعه

(١) تفسير الماوردي ج ٢: ٣٤٩.

(٢) مغازي الواقدي ج ٣: ٨٩٠.

الراية يقاتلهم، والعباس بن عبد المطلب أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ عن يمينه وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب عن يساره في تسعة من بني هاشم وعاشرهم أيمن بن أم أيمن، وقتل يومئذ، وقال ﷺ للعباس - وكان صديقاً^(١) -: صح بالناس، فنادى: يا معشر المهاجرين والأنصار، يا أهل بيعة الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، إلى أين تفرون؟ هذا رسول الله، فكروا وهم يقولون: لبيك لبيك، ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق، فنظر رسول الله إلى قتال المسلمين فقال: ((الآن حيي الوطيس، أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب)) ونزل النصر من عند الله وانهمزمت هوازن^(٢).

قوله: ﴿بِمَا رَحِبْتَ﴾: (ما) مصدرية، والباء بمعنى (مع)، أي: مع رحبها، والجار والمجرور في موضع الحال، والمعنى: لا تجدون موضعاً تستصلحونه لهربكم إليه لفرط رعبكم، فكأنها ضاقت عليكم ﴿ثُمَّ وَلَيْسْتُمْ مُدِيرِينَ﴾ ثم انهزمت. ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ رحمته التي سكنوا بها ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين ثبتوا معه ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر وسبي النساء والذراري وسلب الأموال.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ﴾ أي: يسلم من بعد ذلك ناس منهم، وقيل: إنه سبي يومئذ ستة آلاف نفس، وأخذ من الإبل والبقر ما لا يحصى^(٣).

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَءُوا
الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً

(١) صديقاً: شديد الصوت. (الصحيح: مادة صوت)

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام ج ٤: ٨٠ وما بعدها.

(٣) سيرة ابن هشام ج ٤: ١٣١.

فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾

التَّجَسُّسُ مصدر، ومعناه: ذو نجس، لأنَّ معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس، أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها، وعن ابن عباس: (أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير)^(١)، وعن الحسن: (من صافح مشركاً توضاً)^(٢). وعن الصادق عليه السلام: ((من صافح الكافر ويده رطبة غسل يده، وإلا مسحها بالخائط))^(٣).

﴿فَلَا يَقْرَءُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ فلا يحجّوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية ﴿بَعْدَ﴾ حج ﴿عَامِهِمْ هَذَا﴾ وهو عام تسع من الهجرة. ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ أي: فقراً بسبب منع المشركين من الحج، وما كان لكم في قدومهم عليكم من الإرفاق والمكاسب ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من عطائه وتفضله على وجه آخر، فأسلم أهل جدة وصنعاء وجرش وتبالة فحملوا الطعام إلى مكة، فكان ذلك أعود عليهم، وأرسل السماء عليهم مدراراً أكثر بها خيرهم.

فَقِيلُوا الَّذِينَ لَا بُلُغَ لَهُمْ فِي الْقُرْآنِ أَلَّا يَدْعُونَ إِلَى التَّوْبَةِ وَلَا يُخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا يَتَذَكَّرُونَ
أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٩﴾

عن ابن عباس: (ألقى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال: من أين تأكلون؟

(١) تفسير الطبري ج ١٠: ٧٤.

(٢) تفسير الطبري ج ١٠: ٧٤.

(٣) لم أعر عليه عنهم، وإنما هو معنى عبارة الشيخ في تهذيب الأحكام ج ١: ٢٦٢.

فأمرهم الله تعالى بقتال أهل الكتاب، وأغناهم بالجزية وبفتح البلاد والغنائم^(١).

﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بيان لـ ﴿الَّذِينَ﴾ مع ما في حيزه، نفى عن اليهود والنصارى الإيمان بالله، لأنهم أضافوا إليه ما لا يليق به، ونفى عنهم الإيمان ﴿بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لأنهم في ذلك على خلاف ما ينبغي، ونفى عنهم تحريم ﴿مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ لأنهم لا يحرمون ما حرّم في الكتاب والسنة.

وسميت الجزية: جزية، لأنها قطعة مما على أهل الذمة أن يجزوه أي يقضوه. ﴿عَنْ يَدٍ﴾: إما أن يراد يد المعطي، أو يد الآخذ، فمعناه على الأول: حتى يعطوها عن يد مؤاتية غير ممتنعة، كما يقال: أعطى بيده: إذا أصحب وانقاد، أو حتى يعطوها عن يد إلى يد نقداً غير نسيئة ولا مبعوثاً على يد أحد. ومعناه على إرادة يد الآخذ: حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية، أو عن إنعام عليهم.

﴿وَهُمْ صَغِيرُونَ﴾ أي: تؤخذ منهم الجزية على الصغار والذل، وهو أن يأتي بها بنفسه ماشياً غير راكب، ويسلمها وهو قائم والآخذ جالس، وأن يؤخذ بتلبسه^(٢) ويقال له: أدها.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ
ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَعِّفُونَ قَوْلَ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَسَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّكَوْا
(٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا

(١) الدر المنثور ج ٣: ٢٢٧.

(٢) لَبَّيْتُ الرجل تلبياً، إذا جمعت ثيابه عند صدره ونحره في الخصومة ثم جررته. (الصحاح: مادة لب)

إِنَّهَا وَحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

﴿عَزَّوَجَلَّ إِنَّ اللَّهَ﴾ مبتدأ وخبر، وهو اسم أعجمي، ولعجمته وتعريفه امتنع من الصرف، ومن نونه جعله عربياً. وإنما قال ذلك جماعة من اليهود ولم يقله كلهم. ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ معناه: إنهم اخترعوه بأفواههم لم يأتيهم به كتاب، وما لهم به حجة ﴿يُضَاهِيهِمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: يضاهي قولهم قوهم، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. والمعنى: إن الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم، يريد أنه كفر قديم فيهم، أو يضاهي قولهم قول المشركين: إن الملائكة بنات الله. وقرئ: يضاهئون - بالهمزة - من قولهم: امرأة ضهياً على فَعِيلٍ، وهي التي ضاهأت الرجال في أنها لا تحيض.

﴿قَالَهُمْ اللَّهُ﴾ أي: لعنهم ﴿أَنَّهُ يُؤْفِكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الحق. ﴿اتَّخَذُوا أَعْبَادَهُمْ وَرُءُسَهُمْ أَزْكَاءَ﴾ بأن أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله، كما يطاع الأرباب في أوامرهم ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ أهلوه للعبادة حين جعلوه ابناً لله. ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَحِدًا﴾ أمرتهم بذلك أدلة العقل والنصوص في التوراة والإنجيل.

﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيه له عن الإشراف واستبعاد له.

﴿تُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ مثل سبحانه حالهم في طلبهم إبطال نبوة محمد ﷺ بتكذيبه، بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم، يريد الله أن يبلغه الغاية القصوى من الإضاءة والإنارة ليطفئه بنفخه.

﴿يُظْهِرُهُ﴾ أي: ليظهر الرسول على أهل الأديان كلهم، أو ليظهر دين الحق على كل دين.

وقد جرى (أبي) مجرى لم يرد، ولذلك قابل ﴿تُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا﴾ بقوله: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ﴾، فكانه قال: ولا يريد الله إلا أن يتم نوره.

يَتَأْبَى الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ يَوْمَ يُخْمَلُ عَلَيْهِمَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكَوَّنُ بِهَا جِاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٢﴾

أكل المال ﴿بِالْبَاطِلِ﴾: عبارة عن أخذه وتناوله من الجهة التي يحرم منها أخذه. والمعنى: إنهم كانوا يأخذون الرشا في الأحكام وفي تخفيف الشرائع عن عوامتهم.

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾ يحتمل أن يكون إشارة إلى الكثير من الأحبار والرهبان، ويحتمل أن يكون المراد به المسلمين الكانزين غير المنفقين، قرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى.

وعنى بترك الإنفاق في سبيل الله: منع الزكاة. وفي الحديث: ((ما أدي زكاته فليس بكنز وإن كان باطناً، وما بلغ أن يزكى فلم يزك فهو كنز وإن كان ظاهراً))^(١).
﴿وَلَا يُفْقَوْنَهَا﴾ الضمير يرجع إلى المعنى، لأن كل واحد من الذهب والفضة جملة وافية دنائير ودراهم، فهو كقوله: ﴿وَأَنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾^(٢)، وقيل: معناه: ولا ينفقونها والذهب، كما أن معنى قوله:

فَأِنِّي وَفَيَّارٌ بِهَا لَعْرِبٌ^(٣)

فإنني بها لغريب وقيار كذلك.

وإنما خصّ الذهب والفضة من بين الأموال بالذكر، لأنها قانون التمول وأثمان الأشياء، ولا يكتزهما إلا من فضلا عن حاجته.

﴿يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي: يوقد على الكنوز أو على الذهب والفضة حتى تصير ناراً ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا﴾ أي: بتلك الكنوز المحماة ﴿جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ﴾ خصّت هذه الأعضاء لأنهم لم يطلبوا بترك الإنفاق إلا الأغراض الدنيوية، من وجاهة عند الناس، وأن يكون ماء وجوههم مصوناً، ومن أكل طيبات يتصلعون منها فينفخون جنوبهم، ومن لبس ثياب ناعمة يطرحونها على ظهورهم، وقيل: لأنهم كانوا يعبسون وجوههم للفقير ويولونه جنوبهم في المجالس وظهورهم^(٤).

﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾ على إرادة القول.

(١) أمالي الشيخ الطوسي ج ٢: ١٣٣، سنن البيهقي الكبرى ج ٤: ٨٣.

(٢) الحجرات: ٩.

(٣) البيت لضابي: بن حارث البرجمي. الأصمعيات: ١٨٤، وصدرة: ومن يك امسى بالمدينة رحله.

(٤) عن أبي بكر الوراق. معالم التنزيل ج ٢: ٨٠.

﴿لَا أَنْفُسَكُمْ﴾ لانتفاع أنفسكم ﴿فَذُوقُوا﴾ وبال الذي كنتم تكتزون به، أو وبال كونكم كافرين.

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقِمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِّلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ، أو في القرآن، أو فيما أثبتته من حكمه ورآه حكمة وصواباً.

﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ ثلاثة سرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وواحد فرد وهو رجب، ومنه قوله صلوات الله عليه في خطبته في حجة الوداع: ((ألا إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم))^(١). والمعنى: رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه، وعاد الحج في ذي الحجة، وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية.

﴿ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقِمُ﴾ يعني: إنَّ تحريم الأشهر الأربعة هو الدين المستقيم دين إبراهيم وإسماعيل، وكانت العرب قد تمسكت به وراثته منها، وكانوا يعظمون الأشهر الحرم، ويحرمون القتال فيها، حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه لم يهجه. وسموا رجباً: الأصم، ومنصل الأسنة حتى أحدثوا النسيء فغيروا. وقيل: ذلك الحساب القيم لا ما أحدثوه من النسيء.

﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ بأن تجعلوا حرامها حلالاً.

﴿كَافَّةً﴾ حال من الفاعل أو المفعول.

﴿مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: ناصرهم، حثهم على التقوى بضمان النصرة لأهلها.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ
عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا
مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿النَّسِيءُ﴾ تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر، وذلك أنهم كانوا أصحاب
حروب، فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شقّ عليهم ترك المحاربة، فكانوا
يحلّونه ويمحّرون مكانه شهراً آخر، وذلك قوله: ﴿لِيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾
أي: ليوافقوا العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوها، وقد خالفوا تخصيص الأشهر
الحرم بالتحريم، وربما زادوا في عدة الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر شهراً ليتسع لهم
الوقت، ولذلك قال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ يعني: من غير
زيادة زادوها.

والضمير في ﴿يُحِلُّونَهُ﴾ و﴿يُحَرِّمُونَهُ﴾ لـ ﴿النَّسِيءِ﴾ أي: إذا أحلّوا
شهراً من الأشهر الحرم ﴿عَامًا﴾ رجعوا فحرموه في العام القابل.
وقرئ: ﴿يُضَلُّ﴾ على البناء للمفعول، وقرئ: يُضِلُّ، على أنّ الفعل لله
تعالى، وَيُضِلُّ قراءة الأكثرين. وقرئ: النسيء - بالتشديد - وهو تخفيف الهمزة في
النسيء، وعن الصادق عليه السلام: النسيء على وزن الهدى، وهو على إبدال الياء من الهمزة،
وهو مصدر نساء: إذا أخره، يقال: نساء نساء ونسيئاً نحو منته مساً ومسيئاً.

﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ معناه: فيحلّوا بمواطأة العدة وحدها ﴿مَا حَرَّمَ
اللَّهُ﴾ من القتال.

﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوُّ أَعْمَالِهِمْ﴾ خذلهم الله فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة
﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: لا يطف بهم بل يخذلهم.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَنَّا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا
نَفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا
تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

أصله: تناقلتم، فأدغمت التاء في التاء ثم أدخلت همزة الوصل، أي: تباطأتم،
وضمن معنى الميل فعدي بـ ﴿إِلَى﴾. والمعنى: ملتم إلى الدنيا ولذاتها، وكرهتم
مشاق السفر، ونحوه: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾^(١)، وقيل: ملتم إلى الإقامة
بأرضكم ودياركم^(٢). وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من
الطائف، استنفروا في وقت قحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق ذلك
عليهم، وقيل: إنه صلوات الله عليه ما خرج في غزوة إلا ورى عنها غيرها إلا في
غزوة تبوك، ليستعد الناس تمام العدة^(٣).

﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾ بدل الآخرة، ونحوه: ﴿لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً﴾^(٤).

﴿فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

﴿إِلَّا نَفِرُوا﴾ سخط عظيم على المتأقلين، حيث هددهم بعذاب عظيم

(١) الأعراف: ١٧٦.

(٢) تفسير الطبري ج ١٠: ٩٤.

(٣) سيرة ابن هشام ج ٤: ١٥٩.

(٤) الزخرف: ٦٠.

مطلق يتناول عذاب الدارين، وأنه يهلكهم ﴿وَسَتَبَدِّلُ﴾ بهم ﴿قَوْمًا﴾ آخرين خيراً منهم وأطوع، وأنه غني عنهم في نصره دينه، لا يؤثر ثقلهم فيها ﴿شَيْئًا﴾. وقيل: الضمير للنبي ﷺ^(١)، أي: لا تضروه شيئاً لأن الله وعد أن يعصمه من الناس ولا يخذله بل ينصره، ووعد الله كائن لا محالة.

إِلَّا تَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
ثَافًفٍ أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا
تَخْزَنْ إِنَّا بِكَ اللَّهُ مَعْنًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ
وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ
كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

أي: إن تركتم نصرته فإن الله قد أوجب له النصره، وجعله منصوراً حين لم يكن معه إلا رجل واحد، فلن يخذله من بعد.

﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أسند الإخراج إلى الكفار كما في قوله: ﴿مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾^(٢)، لأنهم حين هموا بإخراجه أذن الله له في الخروج عنهم، فكأنهم أخرجوه.

﴿ثَافًفٍ أَتَيْنَ﴾ أحد اثنين كقوله: ﴿ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾^(٣)، وهما رسول الله ﷺ وأبو بكر. وانتصابه على الحال، و﴿إِذْ هُمَا﴾ بدل من ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ﴾، و﴿إِذْ يَقُولُ﴾ بدل ثان. و﴿الْفَارِ﴾: الثقب العظيم في الجبل، وهو هاهنا غار ثور،

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ٢: ٤٤٨.

(٢) محمد: ١٣.

(٣) المائدة: ٧٣.

جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة.

﴿لَا تَحْزَنْ﴾ أي: لا تحف ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ مطلع علينا وعالم بحالنا يحفظنا وينصرنا. ولما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله، والعنكبوت فنسجت عليه، وقال رسول الله ﷺ: ((اللهم أعم أبصارهم)) فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفتنون، أخذ الله بأبصارهم عنه^(١).

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ قرأ الصادق عليه السلام: على رسوله. وسكينته: ما ألقى في قلبه من الأمانة التي سكن إليها، وأيقن أنهم لا يصلون إليه. والجنود: الملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين، أو ذلك اليوم صرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه.

و﴿كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ دعوتهم إلى الكفر و﴿كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ دعوته إلى الإسلام، وقرئ: وَكَلِمَةَ اللَّهِ - بالنصب - و﴿هِيَ﴾ فصل، وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلو، وأنها المختصة به دون سائر الكلم.

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَنْهُمْ الشَّقَّةُ وَسَيِّئَ حِلْهُنَّ لِلَّهِ لَوْ أَسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾

﴿خِفَافًا﴾ في النفور لنشاطكم له ﴿وَّثِقَالًا﴾ عنه لمشقته عليكم، أو

(١) انظر قصة الهجرة السيرة الحلبية ج ٢: ٤٤ وما بعدها.

﴿خَفَافًا﴾ من السلاح ﴿وَفَقَالَا﴾ منه، أو ﴿خَفَافًا﴾ لقلّة عيالكم ﴿وَفَقَالَا﴾ لكثرتهم، أو ركبانا ومشاة، أو شباباً وشيوخاً، أو صحاحاً ومراضاً. عن ابن عباس: (نسخت بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمُرْضَى﴾^(١)).

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ إيجاب للجهاد بهما إن أمكن، أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة.

والعرض: ما عرض لك من منافع الدنيا. والمعنى: ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما دعوا إليه غنماً ﴿قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ أي: وسطاً مقارباً ﴿لَآتَبَعُوكَ﴾. و﴿الشُّقَّةُ﴾: المسافة الشاقة.

وسيحلف المتخلفون عند رجوعك من غزوة تبوك ﴿بِاللَّهِ﴾ يقولون: ﴿لَوْ أَسْتَطَعْنَا﴾. وقوله: ﴿لَخَرَجْنَا﴾ سدّ مسدّ جواب (لو) وجواب القسم جميعاً، والإخبار بما سوف يكون بعد فقوله من حلفهم واعتذارهم، وقد كان من جملة المعجزات، والمراد بـ﴿لَوْ أَسْتَطَعْنَا﴾: استطاعة العدة، أو استطاعة الأبدان كأنهم تمارضوا.

﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ بدل من ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾، أو حال بمعنى: مهلكين، أي: يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ هذا من لطيف المعاتبة، بدأه بالعفو قبل العتاب، ويجوز العتاب من الله فيما غيره منه أولى لاسيما للأنبياء.

ولا يصحّ ما قاله جار الله: (إِنَّ ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ كناية عن الجناية)^(٣).

(١) التوبة: ٩١.

(٢) الكشف ج ٢: ٢٧٣.

(٣) الكشف ج ٢: ٢٧٤.

حاشا سيد الأنبياء وخير بني حواء من أن ينسب إليه جنابة.

لَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُنْقِيَةِ ﴿١١﴾ إِنَّمَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَازْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿١٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا تُضْعَفُوا لَلِإِنشَاءِ لِكُمْ فِيكُمْ أَفْنَةً وَلَكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْظَالِمِينَ ﴿١٧﴾ لَقَدْ ابْتَغُوا الْقِتْلَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُوا ﴿١٨﴾

أي: ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في ﴿أَنْ يُجَاهِدُوا﴾، أو كراهة أن يجاهدوا.

﴿إِنَّمَا يَسْتَعِذُّكَ﴾ المنافقون.

﴿يَتَرَدَّدُونَ﴾ عبارة عن التحير، لأن التردد صفة المتحير كما أنَّ الثبات صفة المستبصر.

﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ خروجهم إلى الغزو لعلهم بأنهم لو خرجوا لكانوا يمشون بالنميمة من المسلمين.

﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ أي: بطأ بهم وكسلهم وخذلهم لما علم منهم من الفساد. وإنما وقع الاستدراك بـ (لكن) لأن قوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ يعطي معنى النفي، فكأنه قيل: لم يخرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج، لأن الله كره انبعاثهم فضعف

رغبتهم في الانبعاث.

﴿وَقِيلَ أَقْعُدُوا مَعَ﴾ النساء والصبيان، وهو إذن رسول الله ﷺ لهم في القعود. وفي هذا دلالة على أن إذنه ﷺ لهم غير قبيح، وإن كان الأولى أن لا يأذن ليظهر للناس نفاقهم.

ثم بين سبحانه وجه الحكمة في تثبيطهم عن الخروج فقال: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ﴾ أي: لو خرج هؤلاء معكم إلى الجهاد ﴿مَا زَادُوكُمْ﴾ بخروجهم ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ أي: فساداً وشرّاً، وتقديره: ما زادوكم شيئاً إلا خبالاً.

﴿وَلَا وَضَعُوا لَكُمْ﴾ أي: ولسعوا بينكم بالتفريق والنائم وإفساد ذات البين، يقال: وضع البعير وضعا: إذا أسرع، وأوضعتة أنا، والمعنى: ولأوضعوها ركائبهم بينكم، والمراد: الإسراع بالفساد، لأن الراكب أسرع من الماشي.

﴿بَعُوثُكُمْ أَلْفَنَّةً﴾ أي: يحاولون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم، ويفسدوا نياتكم في غزواتكم.

﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَهُمْ﴾ أي: عيون نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم، أو فيكم قوم يسمعون قول المنافقين ويقبلونه ويطيعونهم، يريد من كان ضعيف الإيمان من جملة المسلمين.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ المصّرّين على الفساد.

﴿لَقَدْ ابْتِغَوْا لَفِتْنَةً مِنْ قَبْلُ﴾ الفتنة: اسم يقع على كل شرّ وفساد، أي: نصبوا لك الغوائل وسعوا في تشتيت شملك، وعن سعيد بن جبیر: (وقفوا الرسول الله ﷺ في غزوة تبوك على الثنية ليلة العقبة ليفتكوا به وهم اثنا عشر رجلاً^(١)).

(١) لم أعر عليه عن ابن جبیر وفي الكشف ج ٢: ٢٧٧ عن ابن جریر.

﴿وَقُلُّوا لَكَ الْأُمُورُ﴾ أي: ودبروا لك الحيل والمكائيد، واحتالوا في إبطال أمرك ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ﴾ وهو تأييدك ونصرتك ﴿وَوَظَّهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وغلب دينه وعلا أهله. ﴿وَهُمْ كَذِبُونَ﴾ في موضع الحال.

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُلُ أَذْنَ لِي وَلَا تَفْتِيَّ إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ
سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥١﴾
إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ
يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِخُونَ
﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ
اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا
إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ
بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْتِيَنَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ
مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾

ومن هؤلاء المنافقين ﴿مَنْ يَكْفُلُ أَذْنَ لِي﴾ في القعود عن الجهاد ﴿وَلَا تَفْتِيَّ﴾ ولا توقعي في الفتنة وهي الإثم بأن لا تأذن لي، فإني إن تخلفت بغير إذنك أثمت، وقيل: هو الجدل بن قيس^(١) قال: قد علمت الأنصار أنني مستهتر^(٢) بالنساء فلا تفتني بنات الأصفر، يعني: نساء الروم، ولكنني أعينك بهال فاتركني^(٣).
﴿إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ أي: إن الفتنة هي التي سقطوا فيها، وهي فتنة

(١) الجدل بن قيس بن صخر الأنصاري السلمي، كان ممن يغمص عليه النفاق، قيل: إنه مات في زمن عثمان. ينظر: الاستيعاب ج ١: ٢٥٠.

(٢) مستهتر به: مولع به لا يبالي ما قيل فيه. (الصحيح: مادة هتر)

(٣) أسباب النزول: ١٧٢.

التخلف.

﴿وَلَنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي: بهم يوم القيامة، أو محيطة بهم الآن، لأن أسباب إحاطتها بهم معهم، فكأنهم في وسطها.

﴿إِنْ تُصِيبَكَ﴾ في بعض غزواتك ﴿حَسَنَةٌ﴾ أي: ظفر وغنم ونعمة من الله ﴿تَسُوْهُمْ وَلِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ﴾ شدة وبلية ونكبة، نحو ما كان يوم أحد ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ الذي نحن متمسون به من الحذر والعمل بالحزم ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ ما وقع هذا البلاء، وتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له ﴿وَهُمْ فَرِحُوا﴾ مسرورون.

وقرأ عبد الله: هل يصيبنا. واللام في قوله: ﴿مَا كُنَّ اللَّهُ لَنَا﴾ للاختصاص، أي: ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا﴾ اختصنا الله بإثباته وإيجابه من النصرة أو الشهادة. ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ يتولانا ونتولاه.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله تعالى فليفعلوا ما هو حقهم.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾ هل تتوقعون ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ أي: إحدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب، وهما: النصرة والشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ إحدى السواتين من العواقب، وإتباعها: ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ أي: من السماء كما نزل على عاد وثمود ﴿أَوْ﴾ عذاب ﴿يَأْتِيَنَا﴾ وهو القتل على الكفر ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ بنا ما ذكرنا من عواقبنا ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ﴾ فلا بد أن يلقي كلنا ما يتربصه لا يتجاوزة.

قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّا كُنْتُمْ
قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٧﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا
أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ
كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٨﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ
أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٩﴾

﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ حال، أي: طائعين أو مكرهين، وهو أمر في معنى الخبر،
والمعنى: ﴿لَّنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ﴾ أنفقتم طوعاً أو كرهاً، ونحوه قوله: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ
لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(١) وقول كثير:

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةً لَّدَيْنَا وَلَا مَقْلِبَةَ إِنْ تَقَلَّتْ^(٢)

أي: لن يغفر الله لهم أستغفرت لهم أو لم تستغفر لهم، ولا نلومك أسأت إلينا
أو أحسنت، وإنا يجوز هذا إذا دلّ الكلام عليه، كما جاز عكسه في قولك: رحم
الله زيداً وغفر له.

﴿إِنَّا كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ تعليل لرد إنفاقهم.

﴿أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ فاعل (منع)، أي: لم يمنع المنافقين قبول نفقاتهم إلا
كفرهم ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾. وقرئ: ﴿تُقَبَّلُ﴾ بالطاء والياء.

والإعجاب بالشيء أن تسرّ به سرور راض به متعجب من حسنه، والمعنى:
فلا تستحسن ما أوتوا من زينة الدنيا، فإن الله أعطاهم ذلك للعذاب، بأن عرضه

(١) التوبة: ٨٠.

(٢) ديوان كثير: ١٠١.

للغنائم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب، وكلفهم الإنفاق منه في أبواب الخير ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ على رغم أنوفهم، وأذاقهم أنواع الكلف في جمع الأموال وتربية الأولاد.

وقوله: ﴿وَتَزَهَّقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ مثل قوله: ﴿إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾^(١) ومعناه: الاستدراج بالنعم، أي: و﴿يُرِيدُ﴾ أن يديم عليهم نعمته إلى أن يموتوا ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ مشغولون بالتمتع عن النظر للعاقبة.

وَيَحْفَرُونَ بِاللَّهِ إِلَهُهُمْ لِمَنْكُم مَّا هُمْ بِمَنكُورٍ وَلِكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَحْدُوثُ مَلْجَأٌ أَوْ مَغْرَبٌ أَوْ مَدْخَلٌ لَّوَلُوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾

﴿لِمَنْكُم﴾ أي: من جملة المسلمين.

﴿يَفْرُقُونَ﴾ يخافون القتل والأسر فيتظاهرون بالإسلام تقية.

﴿لَوْ يَحْدُوثُ﴾ مكاناً يلجؤون إليه متحصنين به من رأس جبل أو قلعة ﴿أَوْ مَغْرَبٌ﴾ أي: غيراً ﴿أَوْ مَدْخَلٌ﴾ وهو: مفتعل من الدخول، وأصله: مدخل، يبدل التاء بعد الدال دالاً. وقرئ: مَدْخَلًا، أي: موضع دخول يأوون إليه ونفقاً ينحشرون فيه.

﴿لَّوَلُوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء، من الفرس

الجموح.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ﴾ أي: يعيبك ﴿فِي﴾ قسمة ﴿الصَّدَقَتِ﴾ ويطعن عليك، ثم وصفهم بأنّ رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدين، و﴿إِذَا﴾ للمفاجأة، أي: فإن لم يعطوا منها فاجزؤا السخط.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا﴾ جواب (لو) محذوف، تقديره: ولو أنّهم رضوا ﴿مَا﴾ أعطاهم ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الغنيمة والصدقة وطابت به نفوسهم ﴿وَقَالُوا﴾ مع ذلك: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ سيعطينا ﴿اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وإنعامه ﴿وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ﴾ في أن يوسّع علينا من فضله لراغبون لكان خيراً لهم.

إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ
فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ
فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

﴿إِنَّمَا﴾ لقصر الصدقات على هذه الأصناف الثمانية، وأنها مختصة بها لا تتجاوزها إلى غيرها، ونحوه: إنّما السخاء لحاتم، أي: ليس لغيره، ويحتمل أن تصرف إلى بعضها. وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة أنّهم قالوا: (في أي صنف منها وضعتها أجزأك)^(١)، وهو مذهبنا^(٢).

والفقراء: هم المتعففون الذين لا يسألون، ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ الذين يسألون، وقيل بالعكس^(٣)، والأوّل أصحّ. وقيل: الفقير: الذي لا شيء له، والمسكين: الذي

(١) ينظر: الدر المنثور ج ٣: ٢٥٠.

(٢) ينظر: الوسائل ج ٦: باب ٢٨ من ابواب المستحقين للزكاة.

(٣) عن الصادق عليه السلام تفسير العياشي ج ٢: ٩٠، ورواه ابو هريرة مرفوعاً. الكشف والبيان ج ٥: ٥٧.

له بلغة من العيش لا تكفيه^(١)، وقيل بالعكس^(٢).

والعاملون عليها: هم السعاة الذين يقبضونها.

﴿وَالْمُؤَلَّفَةُ فُلُوقُهُمْ﴾ أشراف من العرب كان رسول الله ﷺ يتألفهم على أن يسلموا فيرضخ لهم شيئاً منها حين كان في المسلمين قلة.

و﴿الرِّقَابِ﴾ المكاتبون يعاونون منها في فك رقابهم من الرق، والعبيد إذا كانوا في شدة يشتررون ويعتقون ويكون ولاؤهم لأرباب الزكاة.

﴿وَالْغَرَمِينَ﴾ وهم الذين ركبهم الديون في غير معصية ولا إسراف.

﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهو الجهاد وجميع مصالح المسلمين.

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ وهو المسافر المنقطع به عن ماله فهو فقير حيث هو، غني حيث ماله.

﴿فَرِيضَةً﴾ في معنى المصدر المؤكد، لأن قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ معناه: فرض الله الصدقات لهم، وإنما عدل عن (اللام) إلى (في) في الأربعة الأخيرة، ليدل على أنهم أحق بأن توضع فيهم الصدقات ممن سبق ذكره، لأن (في) للوعاء. وإنما وقعت الآية في أثناء ذكر المنافقين، لتدل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة، على أن أهل النفاق ليسوا من مستحقيها، وأنهم بعداء من مصارفها، فما لهم وللتكلم فيها ولن قاسمها؟!.

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا

(١) الاقتصاد: ٢٨٢.

(٢) (الصحيح: مادة فقر، سكن)

مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَخْلِفُونَ
بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ
كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ
الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾

الأذن: الرجل الذي يصدّق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد، سمي
بالعضو الذي هو آلة السماع، كأن جملته أذن سامعة كما سموا الربيثة^(١) بالعين.

و﴿أَذْنُ خَيْرٍ﴾ كقولك: رجل صدق، تريد الجودة والصلاح، كأنه سبحانه
قال: نعم هو أذن ولكن نعم الأذن، أو يريد: هو أذن في الخير وفيما يجب سماعه،
وليس بأذن في غير ذلك، ويدلّ عليه قراءة حمزة: وَرَحْمَةً - بالجر - عطفاً عليه، أي:
هو أذن خير لكم ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله. ثم فسّر كونه أذن خير بأنّه
يصدّق ﴿بِاللَّهِ﴾ ويقبل من ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ ويصدّقهم فيما يخبرونه به، ولهذا عدّى
الأول بالباء والثاني باللام، كما في قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾^(٢).

وهو ﴿رَحْمَةٌ﴾ لمن آمن ﴿مِنْكُمْ﴾ أي: أظهر الإيمان أيها المنافقون، حيث
يسمع منكم ويقبل إيمانكم ولا يفضحكم مراعاة لما رأى الله سبحانه من المصلحة
في الإبقاء عليكم، فهو أذن - كما قلتم - إلا أنّه أذن خير لكم لا أذن سوء. فسلم لهم
قولهم فيه، إلا أنّه فسّر بما هو مدح له وإن كانوا قصدوا به المذمة، وأنّه من أهل
سلامة القلب. وروي: أنّ جماعة ذمّوه وبلغه ذلك، فقال بعضهم: لا عليكم، فإنّها

(١) الربيثة: الطليعة. (الصحاح: مادة ربأ)

(٢) يوسف: ١٧.

هو أذن سامعة، يسمع كلام المبلغ ونحن نأتيه فنعتذر إليه فيسمع عذرنا أيضاً^(١).
وقرئ: أذن خير لكم، وهو خبر مبتدأ محذوف، وخير مثله، أي: هو أذن هو خير
لكم، يعني: إن كان كما تقولون فهو خير لكم، لأنه يقبل عذرکم ولا يكافئكم على
سوء دخلتكم.

﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ﴾ الخطاب للمسلمين، وكان المنافقون
يتكلمون بالمطاعن، ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويخلفون ليرضوا عنهم، ف قيل
لهم: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ كما تزعمون [فأحق من أَرْضَيْتُمْ] ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾
بالطاعة والموافقة، وإنما وُحِدَ الضمير^(٢) لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورسوله، فهما
في حكم مرضي واحد، أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك.

المحادة: مفاعلة من الحد، أي: المنع.

﴿فَأَن لَّهُ﴾ أي: فحق أن له ﴿نَارَ جَهَنَّمَ﴾، ويجوز أن يكون ﴿فَأَن لَّهُ﴾
معطوفاً على ﴿أَنَّهُ﴾ على أن جواب (من) محذوف، والتقدير: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ
مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَهْلِكُ﴾ ﴿فَأَن لَّهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾.

يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا
فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا إِلَّكَ اللَّهُ خُجِرٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾
وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ
أَبِاللَّهِ وَإِلَيْهِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا
فَدَكَّرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ
طَائِفَةً بَأْتَهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾

(١) أسباب النزول: ١٧٣.

(٢) ساقطة من ج.

كانوا يستهزئون بالإسلام وأهله، وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم.

والضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و﴿نُنَبِّئُهُمْ﴾ للمؤمنين، وفي ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ للمنافقين، وصحَّ ذلك لأنَّ المعنى يقود إليه، ويجوز أن يكون الضمير في الكل للمنافقين، لأنَّ السورة إذا نزلت في معانهم فهي نازلة عليهم، والمعنى: أنها تذيب أسرارهم فكأنَّها تخبرهم بها، وقيل: معناه ليحذر ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾ على الأمر.

﴿قُلِ اسْتَهِزَّؤُاْ﴾ وعيد بلفظ الأمر ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ أي: مظهر ﴿مَا تَحْذَرُونَ﴾ إظهاره من نفاقكم. وكان النبي ﷺ يسير منصرفه من غزوة تبوك وبين يديه أربعة نفر يسرون ويضحكون ويقولون: انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه، هيهات هيهات، فأخبره جبرئيل ﷺ بذلك، فقال لعمار: إنَّ هؤلاء يستهزئون بي وبالقرآن ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا﴾ نتحدث بحديث الركب، فاتبعهم عمار وقال لهم: ممَّ تضحكون؟ قالوا: كنا نتحدث بحديث الركب، فقال عمار: صدق الله ورسوله احترقتم أحرقكم الله، فأقبلوا إلى رسول الله ﷺ يعتذرون، فنزلت الآيات^(١). وقيل: نزلت في اثني عشر رجلاً وقفوا على العقبة ليفتكوا برسول الله ﷺ، وقال بعضهم لبعض: إن فطن نقول: إنَّنا كنا نخوض ونلعب^(٢).

﴿لَا تَعْتَذِرُواْ﴾ لا تستغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فأنتا لا تنفعكم بعد ظهور أسراركم ﴿فَدَكَّرْتُمْ﴾ [قد أظهرتم كفركم]^(٣) ﴿بَعْدَ﴾ إظهاركم الإيمان.

(١) ينظر: الكشف والبيان ج ٥: ٦٥.

(٢) تفسير العياشي ج ٢: ٩٥، وينظر: الكشف والبيان ج ٥: ٦٤.

(٣) ساقطة من ج.

﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾ بإحداثهم الإيذان بعد النفاق ﴿نُعَذِّبَ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ مصرّين على النفاق، أو إن نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ﷺ ولم يستهزئوا به نعذب طائفة بأنهم كانوا مؤذنين لرسول الله ﷺ مستهزئين. وقرئ: إِنْ يَغْفُ عَنْ طَائِفَةٍ يُعَذِّبُ طَائِفَةً - على البناء للفاعل - وهو الله عز وجل.

الْمُتَفَقِّهُونَ وَالْمُنْفِقُونَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ
نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ
﴿٦٨﴾ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَالًا وَأُولَئِكَ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ
كََمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي
خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ
مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾

﴿بَعْضُهُمْ مِنْ﴾ جملة ﴿بَعْضٍ﴾ وبعضهم منضاف إلى بعض، وهو تكذيب لهم فيما حلفوا: ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، وتحقيق لقوله: ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾^(١).

ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين بقوله: ﴿يَأْمُرُونَ
بِالْمُنْكَرِ﴾ وهو الكفر والمعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ من الإيمان
والطاعات ﴿وَيَقِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ شحاً بالخيرات والصدقات والإنفاق في
سبيل الله ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ أغفلوا ذكره ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ فتركهم عن رحمته وفضله.

﴿إِنَّ الْمُتَفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في
الكفر والانسلاخ عن كل خير.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: مقدراً لهم الخلود فيها ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ دلالة على عظم
عذابها، وأنه لا شيء أبلغ منه، نعوذ بالله منها.

﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم من خيره وأهانهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ سوى
الصلي بالنار، ودائم كعذاب النار، أو عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون منه،
وهو ما يقاسونه من تعب النفاق وما يخافونه أبداً من الفضيحة.

وحمل الكاف رفع تقديره: أنتم مثل ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، أو نصب تقديره:
فعلتم مثل فعل ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وهو أنكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا
وخاضوا، وقوله: ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ﴾ تفسير لتشبيههم بهم، وتمثيل لفعلهم
بفعلهم.

والخلاق: النصيب، وهو ما خلق للإنسان أي: قدر، كما قيل: له قسم
ونصيب، لأنه قسم له ونصب أي: أثبت.

﴿وَحُضِّتُمْ﴾ أي: دخلتم في الباطل واللغو ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ كالفوج
الذي خاضوا، أو كالخوض الذي خاضوا. وعن ابن عباس: (هؤلاء بنو إسرائيل
شبهنا بهم، والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب

لدخلتموه^(١).

﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ مدائن قوم لوط أهلكها الله بالخشف وقلبها عليهم،

من الإفك وهو القلب والصرف.

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فما صح منه أن يظلمهم، لأنه حكيم لا

يجوز أن يفعل القبيح ويعاقب بغير جرم.

﴿وَلَكِنَّ﴾ ظلموا ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر فاستحقوا العقاب.

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ
عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
﴿٧٢﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَا لَهُمْ بِهِمْ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في مقابلة قوله: ﴿بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ أي: يلزم كل

واحد منهم موالاة بعض ونصرته، وهم يد واحدة على من سواهم.

﴿سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ السين تفيد وجود الرحمة لا محالة وتؤكد الوعد، ونحوه:

﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(١)، و﴿نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾^(٢).

﴿عَزِيزٌ﴾ غالب على كل شيء قادر عليه، فهو يقدر على الثواب والعقاب
﴿حَكِيمٌ﴾ واضح كل شيء موضعه.

﴿وَمَسْكَنَ طَيِّبَةً﴾ يطيب العيش فيها، بناها الله من اللؤلؤ والياقوت
الأحمر والزبرجد الأخضر.

و﴿عَدِنٍ﴾ علم بدليل قوله: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ
بِالْغَيْبِ﴾^(٣)، ويدل عليه ما رواه أبو الدرداء^(٤) عن النبي ﷺ: ((عدن: دار الله التي
لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر، لا يسكنها غير ثلاثة: النبيون والصدّيقون
والشهداء، يقول الله عز وجل: طوبى لمن دخلك))^(٥)، وقيل: هي مدينة في الجنة^(٦).
﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: وشيء من رضوان الله ﴿أَكْبَرُ﴾ من ذلك
كله، لأنّ رضاه سبب كل سعادة وموجب كل فوز، وبه ينال تعظيمه وكرامته،
والكرامة أكبر أصناف الثواب.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما وعد الله أو إلى الرضوان، أي: ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
وحده دون ما يعدّه الناس فوزاً.

(١) مريم: ٩٦.

(٢) التوبة: ٦٦.

(٣) مريم: ٦١.

(٤) عويمر بن عامر، وقيل عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي الصحابي المشهور، شهد
الحنديق وما بعدها من المشاهد، قيل: توفي في زمن عثمان، وقيل: إنه مات بعد صفين. ينظر: الاستيعاب
ج ٣: ١٥.

(٥) تفسير الطبري ج ١٠: ١٢٤.

(٦) عن الضحاك. تفسير الطبري ج ١٠: ١٢٥.

﴿جَهْدَ الْكُفَّارِ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بالحقبة. الصادق عليه السلام: جاهد الكفار بالمنافقين. وقال: ((هل سمعتم أن رسول الله ﷺ قاتل منافقاً؟! إنها كان يتألفهم))^(١).

﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ ولا تحاربهم، وعن الحسن: (جهاد المنافقين إقامة الحدود عليهم)^(٢).

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا
بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَعَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَوِلُوا يُعَذِّبْهُمْ
اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

حلفوا ﴿بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ ما حكي عنهم ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام.

﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ وهموا بالفتك برسول الله ﷺ، وذلك عند مرجعه من تبوك، تواتق اثنا عشر رجلاً - وقيل: خمسة عشر - على أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة بالليل، فأخذ عمار بن ياسر بخطام ناقته يقودها، وحذيفة خلفها يسوقها، فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقة السلاح، فالتفت فإذا قوم مثلثون، فقال: إليكم يا أعداء الله، وضرب وجوه رواحلهم حتى نحاهم، فلما نزل رسول الله ﷺ قال لحذيفة: من عرفت منهم؟ قال: لم أعرف منهم أحداً، فقال ﷺ: إنه فلان وفلان، حتى عدّهم كلهم، فقال

(١) مجمع البيان ج ٩ - ١٠: ٦٠.

(٢) تفسير الطبري ج ١٠: ١٢٦.

حذيفة: ألا تقتلهم يا رسول الله؟ فقال: أكره أن تقول العرب: لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم^(١). وعن الباقر عليه السلام: ((كان ثمانية منهم من قريش وأربعة من العرب))^(٢). ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ أي: وما أنكروا وما عابوا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ والمعنى: إنهم جعلوا موضع شكر النعمة كفرانها، وكان الواجب عليهم أن يقابلوها بالشكر.

وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَيْتَ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا ءَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سَرَّهُمْ وَنَجَوْنَهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾

هو ثعلبة بن حاطب^(٣) قال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالا، فقال: ((يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه))، فقال: والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه، فدعا له، فاتخذ غنما، فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة، فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة، وبعث رسول الله ﷺ إليه المصدق ليأخذ الصدقة فأبى وبخل، فقال: وما هذه إلا أخت الجزية، فقال عليه السلام: ((يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة))^(٤).

(١) ينظر: مغازي الواقدي ج ٣: ١٠٤٢ وما بعدها.

(٢) التبيان ج ٥: ٣٠٣.

(٣) ثعلبة بن حاطب بن عمرو الأنصاري مانع الصدقة، شهد بدرأً وأحدأً، مات في زمن عمر، وقيل في زمن عثمان. ينظر: الاستيعاب ج ١: ٢٠٠.

(٤) أسباب النزول: ١٧٦.

﴿ فَأَعْقَبَهُمْ ﴾ عن الحسن: (أَنَّ الضمير للبخل)^(١)، أي: فأورثهم البخل ﴿يَفْأَقًا﴾ متمكناً ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لَأَنَّهُ كَانَ سَبَبًا فِيهِ وداعياً إليه. والظاهر أَنَّ الضمير لله عزَّ وجل، أي: فخذلهم حتى نافقوا وتمكَّن النفاق في قلوبهم فلا ينفك عنها حتى يموتوا بسبب إخلافهم ما وعدوا الله من التصديق والصلاح، وبكونهم كاذبين، ومنه جعل خُلف الموعد ثلث النفاق^(٢). وعن علي عليه السلام: ((سَرَّهُمْ ونجواهم: ما أسَرَّوه من النفاق والعزم على إخلاف ما وعدوه، وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية))^(٣).

الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي
الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ
سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ
لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾

﴿الَّذِينَ يَلْمُزُونَ﴾ في محلِّ النصب أو الرفع على الذم، والمطَّوع: المتبرع، وأصله: المتطوع، أي: يعيبون المتطوعين بالصدقة ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ويطعنون عليهم ﴿فِي الصَّدَقَاتِ﴾ ويعيبون ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا طاقهم فيتصدقون بالقليل﴾ ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ ويستهزئون. ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ هو مثل قوله: ﴿اللَّهُ يُسْتَهْزَأُ بِهِمْ﴾^(٤) في أنه خبر غير دعاء.

(١) الكشاف ج ٢: ٢٩٣.

(٢) ينظر: من لا يحضره الفقيه ج ٤: ٣٦١، صحيح البخاري ج ١: ١٥.

(٣) لم أعثر عليها رواية عنه عليه السلام وهي عين عبارة صاحب الكشاف فلا حظ.

(٤) البقرة: ١٥.

وقوله: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾ أمر في معنى الخبر، والمعنى: لن يغفر الله لهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، وفيه معنى الشرط. والسبعون جار في كلامهم مجرى المثل للتكثير، قال علي عليه السلام:

لَأَصْبَحَنَّ الْعَاصِي وَابْنُ الْعَاصِي سَبْعِينَ أَلْفًا عَاقِدِي النَّوَاصِي^(١)

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ
يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ
قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا
وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى
طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَدْنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَّنْ نَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَكِنْ
نُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ
الْخُلَفَاءِ ﴿٨٣﴾

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ الذين خلفهم النبي ﷺ ولم يخرجهم معه إلى تبوك،
لما استأذنوه في التأخر فأذن لهم.

﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ بقعودهم عن الغزو.

و﴿خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ﴾: خلفه، يقال: أقام خلاف الحي أي: بعدهم، وقيل:
هو بمعنى المخالفة، لأنهم خالفوه حيث قعدوا ونهض. وانتصب بأنه مفعول له أو
حال، أي: قعدوا لمخالفة رسول الله ﷺ أو مخالفين له.

﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ هو تعريض بالمؤمنين وبتحملهم
المشاق العظيمة لوجه الله في بذل أموالهم ونفوسهم ﴿وَقَالُوا﴾ لهم أو قال بعضهم

لبعض: لا تخرجوا إلى الغزو ﴿فِي﴾ هذا ﴿الْحَرِّ﴾.

﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ استجهال لهم، فَإِنَّ من تصوّن من مشقة ساعة فوق بذلك التصوّن في مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ معناه: فسيضحكون قليلاً وييكون ﴿كَبِيرًا جَزَاءً﴾ إلا أنه أخرج على لفظ الأمر، للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره.

وإنما قال: ﴿إِلَّا طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ لأنّ منهم من تاب وندم على التخلف أو اعتذر بعذر صحيح.

﴿فَأَسْتَفْذُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ إلى غزوة بعد غزوة تبوك.

﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ هي الخرجة إلى غزوة تبوك.

﴿مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ مرّ تفسيره^(١).

وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ
وَأَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ
وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

﴿مَاتَ﴾ صفة لـ ﴿أَحَدٍ﴾، وإنما قيل بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على

تقدير الكون والوجود، لأنّه كائن موجود لا محالة.

﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ تعليل للنهي. وكان ﷺ يصليّ عليهم ويجري عليهم أحكام

المسلمين، وكان إذا صلى على ميت وقف على قبره ساعة ويدعو له، فنهي عن الأمرين بسبب كفرهم بالله وموتهم على النفاق.

(١) ينظر: تفسير الآية ٤٦ من السورة.

وأعيد قوله: ﴿تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ﴾ لأن تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده، لاسيما إذا تراخى ما بين النزولين، ويجوز أن يكون النزولان في فريقين من المنافقين.

وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ
أُولُوا الظُّلُمِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾
رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا
يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَيْكِنَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُقْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

يجوز أن يراد السورة بتمامها وأن يراد بعضها، كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه.

﴿أَنْ ءَامِنُوا﴾ هي (أن) المفسرة.

﴿أُولُوا الظُّلُمِ﴾ ذوو الفضل والسعة، من طال عليه طولاً.

﴿مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ الذين لهم عذر في التخلف.

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ وهم النساء والصبيان والمرضى ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ما في الجهاد من السعادة والفوز، وما في التخلف من الشقاوة.

﴿لَيْكِنَ الرَّسُولُ﴾ إن تخلف هؤلاء فقد نهد إلى الغزو مع المؤمنين، ونحوه: ﴿فَإِنْ يَخْضَرِبْهَا هَؤُلَاءِ... الآية﴾^(١).

﴿الْحَيَّرْتُ﴾ الجنة ونعيمها، وقيل: منافع الدارين^(١).

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾

﴿الْمُعَذِّرُونَ﴾ المقصرون، من عذر في الأمر: إذا توانى ولم يجده فيه، وحقيقته: أن يوهم أن له عذراً فيما يفعل ولا عذر له، أو: المعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين، ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم يثبت بهما قراءة؛ وهم: الذين يعتذرون بالباطل. وقرئ: الْمُعَذِّرُونَ - بالتخفيف - وهو الذي يجتهد في العذر ويبالغ فيه.

﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في ادعائهم الإيثار، فلم يجيئوا ولم يعتذروا، وعن أبي عمرو بن العلاء: (كلا الفريقين كان مسيئاً، جاء فريق فعذروا وجنح آخرون ففعدوا)^(٢).

﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ من الأعراب ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بالقتل في الدنيا وبالنار في الآخرة.

لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا
يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى
الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَا عَلَى
الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَتَحمِلَهُمْ ثِقَلٌ لَا أَحَدٌ مَّا أَهْلَكُكُمْ
عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا

(١) الكشف ج ٢: ٣٠٠.

(٢) معالم التنزيل ج ٢: ٩٧.

يُنْفِقُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَنْذِرُونَكَ وَهُمْ
أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

﴿الضَّعَفَاءُ﴾ الزمنى والهرمى، و﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ﴾ الفقراء، والنصح
﴿لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: الإيثار والطاعة في السر والعلانية.

﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: المذورين الناصحين ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ ومعنى
لا سبيل عليهم: لا جناح عليهم ولا طريق للعتاب عليهم.

﴿قُلْتَ لَا أَحَدٌ﴾ حال من الكاف في ﴿أَتَوْكَ﴾، وقد مضى قبله، والمعنى:
ولا على الذين إذا ما أتوك وأنت قائل: لا أحد ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾.
(من) للبيان، والجار والمجرور في محل نصب على التمييز، أي: تفيض دمعاً،
وهو أبلغ من قولك: يفيض دمعها، لأن العين جعلت كأنها كلها دمع فائض.

﴿أَلَا يَجِدُوا﴾ أي: لأن لا يجدوا، ومحله نصب لأنه مفعول له وناصبه
المفعول له الذي هو ﴿حَزَنًا﴾.

و﴿رَضُوا﴾ استئناف، كأنه قيل: ما بالهم استأذنوا ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾؟
فقيل: رضوا بالدناءة والانتظام في جملة ﴿الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يعني:
إن السبب في استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله إياهم.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ
لَكُمْ قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَى عِلَلِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْزِلُكُمْ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ

إِلَيْهِمْ لِنُغْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ
جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ
لِنَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ ﴿١٦﴾

﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ علة للنهي عن الاعتذار، لأنَّ غرض المعتذر أن يصدق
فيما يعتذر به، فإذا علم أنَّه مكذب فينبغي أن يترك الاعتذار. وقوله: ﴿قَدْ بَيَّأْنَا اللَّهُ
مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ علة لانتفاء تصديقهم، لأنَّ الله سبحانه إذا أعلم بأخبارهم
وأحوالهم وأسرارهم لم يستقم تصديقهم في معاذيرهم.

﴿وَسَرَّيَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ أتتوبون أم تثبتون على كفركم؟.

﴿ثُمَّ تَرُدُّوهُ﴾ إليه وهو ﴿عَلِيٍّ﴾ كل غيب وشهادة وسرّ وعلن،
فيجازيكم على حسب ذلك.

﴿لِنُغْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ لتصفحوا عن جرمهم ولا توبخوهم ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾
فأعطوهم طلبتهم.

﴿إِنَّهُمْ رَجِسٌ﴾ تعليل لترك معاتبتهم، والمراد: أنَّ العتاب لا ينجع فيهم
ولا يصلحهم، (إنَّما يعاتب الأديم ذو البشرة)^(١)، ويوبَّخ المؤمن على الزلة ليطهره
التوبيخ بالحمل على التوبة، وهؤلاء أرجاس لا سبيل إلى تطهيرهم.

﴿لِنَرْضُوا عَنْهُمْ﴾ أي: غرضهم في الحلف طلب رضاكم لينفعهم ذلك في
دنياهم، ولا ينفعهم رضاكم إذا كان الله ساخطاً عليهم.

الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ. وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ
 يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُومِ الدُّوَابِّ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ
 وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتُ
 الرَّسُولِ إِلَّا إِنَّا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ
 عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩﴾

﴿الْأَعْرَابُ﴾ أهل البدو ﴿أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل الخضر لقسوة
 قلوبهم وجفائهم، ونشوتهم في بعد من مشاهدة العلماء وسماع التنزيل ﴿وَأَجْدَرُ
 أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من الشرائع والأحكام.
 ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بحال أهل الوبر والمدر ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يحكم به عليهم.
 ﴿مَغْرَمًا﴾ أي: غرامة وخسراناً، فلا ينفق إلا تقية من أهل الإسلام ورياء،
 لا لوجه الله ﴿وَيَتَرَبَّصُّ بِكُومِ الدُّوَابِّ﴾ دوائر الزمان وحوادث الأيام، لتذهب غلبتكم عليه
 فيتخلص من إعطاء الصدقة.
 ﴿عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ دعاء معترض، وقرئ: السوء - بالضم - وهو
 العذاب، و﴿السَّوْءِ﴾ بالفتح ذم للدائرة، كما يقال: رجل سوء، ونقيضه رجل
 صدق، قال:

وَكُنْتُ كَذِئْبِ السَّوْءِ لَمَّا رَأَيْ دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدِّمِ ^(١)
 ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم.

﴿قُرْنَتِ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿يَتَّخِذُ﴾ والمعنى: أن ما ينفقه سبب لحصول القربات ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾، لأن الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم، كقوله: ((اللهم صل على آل أبي أوفى))^(١) لما أتاه أبو أوفى بصدقة. فلما كان ما ينفق سبباً لذلك قيل: ﴿يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾ قربات وصلوات.

﴿إِلَّا إِنَّمَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ هذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقده من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه، على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذين بثبات الأمر وتحقيقه، و﴿سَيَذِلُّهُمُ اللَّهُ﴾ كذلك لما في السين من تحقق الوعد، وقرئ: قربة - بضم الراء ..

وَالسَّيْقُوتِ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾

﴿وَالسَّيْقُوتِ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ﴾ هم الذين صلّوا إلى القبلتين، وقيل: الذين شهدوا بدرًا^(٢)، ومن الأنصار أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا اثني عشر رجلاً، وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلاً، والذين آمنوا حين قدم عليهم مصعب بن عمير فعلمهم القرآن. وقرئ: الأنصار - بالرفع - عطفاً على ﴿وَالسَّيْقُوتِ﴾.

وارتفع ﴿السَّيْقُوتِ﴾ بالابتداء وخبره ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾. وقرأ ابن كثير: من تحتها.

(١) صحيح البخاري ج ١: ٢٦١.

(٢) عن عطاء بن أبي رباح. معالم التنزيل ج ٢: ٩٨.

وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ^{١٠١} وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
مَرَدُّوْا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ تَحَنُّنًا لِّعَلَّاهُمْ سَنَعْدُهُمْ^{١٠٢} مَرَّتَيْنِ
ثُمَّ يَرْدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ^{١٠٣} وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ
خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ رَّحِيمٌ^{١٠٤}

ومن جملة من حول بلدتكم وهي المدينة ﴿مِّنَ الْأَعْرَابِ﴾ الذين يسكنون
البدو ﴿مُنْفِقُونَ﴾ وهم جهينة وأسلم وغفار وأشجع ومزينة، كانوا نازلين حول
المدينة.

﴿وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ عطف على خبر المبتدأ الذي هو ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾،
ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت: ومن أهل المدينة قوم
﴿مَرَدُّوْا عَلَى الْإِنْفَاقِ﴾ على أن يكون ﴿مَرَدُّوْا﴾ صفة موصوف محذوف كقوله:

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعِ النَّتَائِبِ^(١)

أي: ابن رجل وضح أمره.

و﴿مَرَدُّوْا عَلَى الْإِنْفَاقِ﴾ تمهروا فيه، من قولهم: مرد فلان على عمله، ومرد
عليه: إذا درب به حتى لان عليه ومهر فيه، ودلّ على مهارتهم فيه بقوله: ﴿لَا
تَعْلَمُهُمْ﴾ أي: يخفون عليك مع فطنتك وصدق فراستك، لفرط تنوقهم في تحامي
ما يشكك في أمرهم، ثم قال: ﴿تَحَنُّنًا لِّعَلَّاهُمْ﴾ أي: لا يعلمهم إلا الله المطلع على
البواطن، لأنهم يطنون الكفر في ضمايرهم ويظهرون لك الإيثار وظاهر الإخلاص
الذي لا تشك معه في أمرهم.

(١) البيت لسحيم بن وثيل الرياحي. الأصمعيات: ٣، وبقية: متى أضع العمامة تعرفوني.

﴿سَتَعْلَمُهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾ هما: ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم، وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرْدُّوكَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ في النار.

﴿وَأَخْرُونَ أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة كغيرهم، وهم ثلاثة نفر من الأنصار: أبو لبابة بن عبد المنذر، وأوس بن حزام، وثعلبة بن دبيعة.

﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ فيه دلالة على بطلان القول بالإحباط، لأنه لو كان أحد العاملين محبطاً لم يكن لقوله: ﴿خَلَطُوا﴾ معنى، لأن الخلط يستعمل في الجمع مع امتزاج كخلط الماء واللبن، وبغير امتزاج كخلط الدنانير والدراهم. ﴿وَأَخَرَ﴾ أي: وعملاً آخر.

خَذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرُدُّوكَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ صفة لـ ﴿صَدَقَةً﴾، والتاء فيه للخطاب أو للتأنيث، أي: ﴿صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ أنت ﴿وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ فيكون كلا الفعلين مسنداً إلى النبي ﷺ، أو ﴿صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ تلك الصدقة ﴿وَتُزَكِّيهِمْ﴾ أنت ﴿بِهَا﴾ أي: تنسبهم إلى الزكاة. والتزكية: مبالغة في التطهير وزيادة فيه، أو بمعنى الإنماء والبركة في المال.

﴿وَصَلَّى عَلَيْهِمْ﴾ أي: وترحم عليهم بالدعاء لهم بقبول صدقاتهم.

﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ إن دعواتك يسكنون إليها وتطمئن قلوبهم بها.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ يسمع دعاءك لهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعلم ما يكون منهم.

وقرئ: ﴿صَلَوْتُكَ﴾ على التوحيد هنا وفي هود^(١).

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾ إذا صَحَّت وَيَقْبَلُ ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ إذا

صدرت عن خلوص النية. و﴿هُوَ﴾ للتخصيص والتأكيد، و﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ من شأنه قبول توبة التائبين.

﴿وَوَلِّ﴾ لهؤلاء التائبين: ﴿اعْمَلُوا﴾ فَإِنَّ ﴿عَمَلَكُمْ﴾ لا يخفى على الله وعلى

رسوله وعلى المؤمنين، خيراً كان أو شراً. وروى أصحابنا: ((أَنَّ أَعْمَالَ الْأُمَّةِ تعرض على النبي ﷺ في كل اثنين وخميس فيعرفها، وكذلك تعرض على الأئمة القائمين مقامه وهم المعنيون بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾))^(٢).

﴿وَسَرُّدُوكَ﴾ سترجعون ﴿إِلَى﴾ الله الذي يعلم السرّ والعلانية ﴿فَيُنْشِئُكُمْ﴾

بأعمالكم ويمجزيكم عليها.

وَأَخْرُوكَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

قرئ: ﴿مُرْجُونَ﴾، ومرجؤون من أرجيته وأرجأته: إذا أخرته.

أي: ﴿وَأَخْرُوكَ﴾ من المتخلفين موقوف أمرهم: ﴿إِمَّا﴾ أن ﴿يُعَذِّبُهُمْ﴾

الله إن بقوا على الإصرار ولم يتوبوا، ﴿وَإِمَّا﴾ أن ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إن تابوا، وهم

(١) الآية: ٨٧.

(٢) ينظر: الكافي ج ١: ٢١٩، بصائر الدرجات: ٤٢٤.

ثلاثة: كعب بن مالك^(١) وهلال بن أمية^(٢) ومرارة بن الربيع^(٣). أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يكلموهم ففعلوا ذلك، ثم تاب الله عليهم بعد خمسين يوماً، وتصدق كعب بثلث ماله شكراً لله على توبته.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ
إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا نَقُومَ فِيهِ
أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ
فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾
أَقَمْنَا اسْتِسْكَ بَيْنَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ
مَنْ أَسْكَسَ بَيْنَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَاتَّهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُدِّعَهُمُ الَّذِينَ بَنَوْا
رِبْعَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

قرأ أهل المدينة والشام: الذين اتخذوا - بغير واو - وكذلك هو في مصاحفهم
لأنها قصة برأسها.

روي: أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا وصلى فيه رسول الله ﷺ
حسدتهم أخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا: بنينا مسجداً نصلي فيه ولا نحضر
جماعة محمد. فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قبا، وقالوا الرسول الله ﷺ وهو يتجهز

(١) كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري السلمي، أحد شعراء النبي ﷺ شهد العقبة، توفي سنة ٥٠
هـ. ينظر: الاستيعاب ج ٣: ٢٨٦.

(٢) هلال بن أمية بن عامر الأنصاري الواقفي، شهد بدرًا وما بعدها، عاش إلى زمن معاوية. ينظر:
الإصابة ج ٣: ٦٠٦.

(٣) مرارة بن الربيع الأنصاري الأوسي، شهد بدرًا. ينظر: الإصابة ج ٣: ٣٩٦.

إلى تبوك: إِنَّا نَحْبُ أَنْ تَأْتِنَا فَتَصْلِي لَنَا فِيهِ، فَقَالَ ﷺ: إِنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ. وَلَمَّا انصَرَفَ مِنْ تَبُوكِ نَزَلَتْ، فَأَرْسَلَ مِنْ هَدَمَ الْمَسْجِدَ وَأَحْرَقَهُ، وَأَمَرَ أَنْ يَتَّخِذَ مَكَانَهُ كِنَاسَةً تَلْقَى فِيهَا الْجَيْفَ وَالْقِمَامَةَ^(١).

﴿ضَرَارًا﴾ مضارة لإخوانهم أصحاب مسجد قبا، معازة ﴿وَكُفْرًا﴾ وتقوية للنفاق ﴿وَتَقَرِّبًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم كانوا يصلّون مجتمعين في مسجد قبا، فأرادوا أن يتفرّقوا عنه وتختلف كلمتهم.

﴿وَأَرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: وإعداداً لأجل من حارب الله ورسوله، وهو أبو عامر الراهب، وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح، فلما قدم النبي ﷺ المدينة حسده وحزّب عليه الأحزاب، ثم هرب بعد فتح مكة وخرج إلى الروم وتنصّر، وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة^(٢)، قتل يوم أحد وكان جنباً فغسلته الملائكة، وكان هؤلاء يتوقعون رجوع أبي عامر إليهم، وأعدّوا هذا المسجد له ليصلّي فيه ويظهر على رسول الله ﷺ.

يتعلّق ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ بـ ﴿اتَّخَذُوا﴾ أي: اتخذوا مسجداً من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف، أو يتعلّق بـ ﴿حَارَبَ﴾ أي: لأجل من حارب الله ورسوله من قبل أن يتخذوا المسجد.

﴿وَلِيَحْلِفُنَّ﴾ يعني هؤلاء المنافقين: ما ﴿أَرَدْنَا إِلَّا﴾ الفعلية ﴿الْحُسْنَى﴾ أو الإرادة الحسنى وهي: الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين.

﴿لَا نَقُصُّ فِيهِ أَبَدًا﴾ أي: لا تصلّ فيه أبداً، يقال: فلان يقوم بالليل أي:

(١) ينظر: سيرة ابن هشام ج ٤: ١٧٣.

(٢) حنظلة بن أبي عامر الانصاري الأوسي شهد أحداً وهو جنب واستشهد بها، فقال النبي ﷺ: إن صاحبكم تغسله الملائكة. ينظر: الإصابة ج ١: ٣٦١.

يصلي.

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ هو مسجد قبا أسسه رسول الله ﷺ وصلى فيه أيام مقامه بقبا، وقيل: هو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة^(١).
﴿مِنَ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ من أيام وجوده ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ أي: أولى بأن تصلي فيه.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ روي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لهم: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ أَتَنَّى عَلَيْكُمْ فإِذَا تَفَعَّلُونَ فِي طَهْوَرِكُمْ؟ قالوا: نَغْسِلُ أَثَرِ الْغَائِطِ، فَقَالَ: أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكُمْ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾))^(٢) أي: المتطهرين، ومحبتهم للتطهر: أَنَّهُمْ يُوَثِّرُونَهُ وَيَحْرِصُونَ عَلَيْهِ، وَحُبَّةُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ: أَنَّهُ يَرْضَى عَنْهُمْ وَيَحْسِنُ إِلَيْهِمْ كَمَا يَفْعَلُ الْمَحَبِّ بِمُحِبِّهِ.

وقرئ: ﴿أُسِّسَ بُنْيَانُهُ﴾، وأسس بنيانه، وفي الشواذ: أُسِّسَ بُنْيَانُهُ - على الإضافة - وهو جمع أساس. والمعنى: أفمن أسس بنيان دينه ﴿عَلَى﴾ قاعدة محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنَ﴾ أسسه ﴿عَلَى﴾ قاعدة هي أضعف القواعد وأقلها بقاءً، وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل ﴿شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ في قلة الثبات.

والشفا: الشفير، وجرف الوادي: جانبه الذي ينحفر أصله بالماء وتجرفه السيول، والهار: الهائر الذي أشفى على السقوط والتهدم، ووزنه (فَعِلْ) قصر عن هائر كخلف عن خالف، ونظيره: شاك وصات من شائك وصات، وألفه ليست بألف فاعل، وأصله هَوْرٌ وَشَوْكٌ وَصَوْتُ.

(١) عن زيد بن ثابت وغيره. تفسير الطبري ج ١١: ٢١.

(٢) التبيان ج ٥: ٣٤٦، تاريخ المدينة المنورة ج ١: ٤٧.

ولما جعل الجرف الهار مجازاً عن الباطل قيل: ﴿فَأْتَاهَا بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾. والمعنى: فهو يبه الباطل في نار جهنم، فكأن المبطل أسس بنياناً على شفير جهنم فطاح به إلى قعرها.

﴿رِيَّةٌ﴾ أي: شكاً في الدين ونفاقاً. والمعنى: ﴿لَا يَزَالُ﴾ هدم ﴿بُنْيَانَهُمُ الَّذِي﴾ بنوه سبب شك ونفاق ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لا يضمحل أثره ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَعَ﴾ أي: تنقطع ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ قطعاً وتنفق أجزاء، فحيث يسلون عنه، والريبة باقية فيها مادامت سالمة. وقرئ: تقطع، بالتخفيف والتشديد. ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها بقتلهم أو في النار. وقرئ: إلى أن، وروي ذلك عن الصادق عليه السلام، وفي قراءة عبد الله: ولو قطعت قلوبهم. وقيل: معناه: إلا أن يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم ندماً على تفریطهم.

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ
لَّهُمُ الْجَنَّةَ يُقَدِّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ
وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ
أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيْبَعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ
بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٠﴾ التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ
الْحَمِيدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّكُّعُونَ السَّاجِدُونَ
الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ
لِحُدُودِ اللَّهِ وَيَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾

عبر سبحانه عن إثابتهم بالجنة على بذلهم ﴿أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ في سبيله: بالاشتراء، وجعل الثواب ثمناً وأعمالهم الحسنة ثمناً تمثيلاً، وروي: أنه تاجرهم

فَأَعْلَى لَهْمِ الثَّمَنِ^(١). وعن الصادق عليه السلام: ((ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة، فلا تبيعوها إلا بها))^(٢). وعن الحسن: (أنفساً هو خلقها، وأموالاً هو رزقها)^(٣). وروي: أَنَّ الْأَنْصَارَ حِينَ بَايَعُوهُ عَلَى الْعُقْبَةِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ^(٤): (اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال: أشرت لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم، قال: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: لكم الجنة، قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل)^(٥).

﴿يَقْتُلُونَ﴾ فيه معنى الأمر، كقوله: ﴿مُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ (ثم قال) يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ^(٦)، وقرئ: (فَيَقْتُلُونَ وَيَقْتُلُونَ). على العكس..

﴿وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد، يعني: أَنَّ الْوَعْدَ الَّذِي وَعَدَهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ وَعَدَ ثَابِتٌ قَدْ أَثْبَتَهُ ﴿فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ كما أَثْبَتَهُ فِي ﴿الْقُرْآنِ﴾.

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أوفى بعهد من الله، لأنَّ الخلف قبيح لا يقدم عليه الكريم [من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم]^(٧)، فكيف بالكريم الغني الذي لا يجوز عليه فعل القبيح.

﴿فَأَسْتَبْشِرُوا﴾ أي: فافرحوا بهذه المبايعة إذ بعتم فانياً بباقي وزائلاً بدائم.

(١) عن الحسن وغيره. تفسير الطبري ج ١١: ٢٧.

(٢) الكافي ج ١: ١٩ عن الكاظم عليه السلام، الكشف والبيان ج ٥: ٩٧.

(٣) الكشف ج ٢: ٣١٣.

(٤) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، الصحابي الجليل، كان أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرًا وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة، وكان أحد أمراء تلك الغزوة. ينظر: الإصابة ج ٢: ٣٠٦.

(٥) أسباب النزول: ١٨١.

(٦) الصف: ١١، ١٢.

(٧) ساقطة من أ.

﴿وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ﴾ والظفر ﴿الْعَظِيمُ﴾ ولا ترغيب في الجهاد أحسن وأبلغ منه.

﴿التَّائِبُونَ﴾ رفع على المدح، أي: هم التائبون، يعني: المؤمنين المذكورين، ويدلّ عليه قراءة أبي وعبد الله والباقر والصادق عليهم السلام: التائبين - بالياء - إلى قوله: والحافظين نصباً على المدح، أو جرّاً على الصفة لـ ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾. ويجوز أن يكون ﴿التَّائِبُونَ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿الْعَاصُونَ﴾، وما بعده خبر بعد خبر، أي: التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال.

﴿الْعَاصُونَ﴾ هم الذين أخلصوا في عبادة الله.

﴿السَّائِحُونَ﴾ الصائمون، شتّوا بذوي السباحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم، وقيل: هم طلاب العلم يسيحون في الأرض يطلبونه من مظانه ^(١).

﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ القائمون بأوامره، المجتنبون لنواهيه.

مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ
وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ
مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ
إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

عن الحسن: (إنّ المسلمين قالوا: ألا نستغفر لأبائنا الذين ماتوا في الجاهلية؟ فنزلت).

أي: لا ينبغي لنبي ولا مؤمن أن يدعو لكافر ويستغفر له، ولا يصحّ ذلك

في حكمة الله ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ قرابتهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ﴾ ماتوا على الشرك.

﴿إِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ أي: وعدها إبراهيم أباه وهو قوله: ﴿لَاَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾^(١)، ويدل عليه قراءة الحسن: وعدها أباه.

﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ﴾ من جهة الوحي ﴿أَنَّهُ﴾ لن يؤمن ويموت كافراً، وانقطع رجاءه عن إيمانه ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾.

والأواه: فعال من أوه، وهو الذي يكثر التآوه والبكاء والدعاء، ويكثر ذكر الله عز اسمه.

وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يَسِيرَ لَهُمْ
مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾

أي: لا يؤاخذ ﴿اللَّهُ﴾ عباده الذين ﴿هَدَيْتَهُمْ﴾ للإسلام، ولا يسميهم ضاللاً ولا يخذلهم بارتكاب المحظورات إلا بعد أن ﴿يُسَيِّرَ لَهُمْ﴾ حظرها عليهم، ويعلمهم أنها واجبة الاتقاء والاجتناب، فأما قبل البيان فلا سبيل عليهم. والمراد بـ﴿مَا يَتَّقُونَ﴾: ما يجب اتقاؤه للنهي، فأما ما يعلم بالعقل من القبائح فغير موقوف على التوقيف.

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ

مَنْ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ يَهْدِيهِمْ رُفُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى
الْثَلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ
وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ
ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ بِتَأْيِيدِهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾

إنما ذكر النبي ﷺ استفتاحاً باسمه ولأنه سبب توبتهم، وإلا فمن المعلوم أنه
لم يكن منه ما أوجب التوبة، وروي عن الرضا عليه السلام أنه قرأ: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ بِالنَّبِيِّ عَلَى
الْمُهَاجِرِينَ. وهو بعث للمؤمنين على التوبة، وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى
الاستغفار والتوبة.

﴿فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ في وقتها، وقد تستعمل الساعة في معنى الزمان
المطلق كما يستعمل الغداة والعشية واليوم، نحو قوله:

عَشِيَّةً قَارَعْنَا جُذَامَ وَجْهِرًا^(١)

غَدَاةً طَفَّتْ عَلَمَاءُ بَكْرُبْنُ وَإِلَّ^(٢)

أي: على الماء.

و﴿الْعُسْرَةُ﴾: حالهم في غزوة تبوك، كان يعتقب العشرة على بعير واحد،
وكان زادهم الشعير المسوس والتمر المدود والإهالة السنخة^(٣)، وبلغت الشدة بهم

(١) البيت لزفر بن الحارث الكلابي. شرح ديوان الحماسة ج ١: ٧٩، وفيه: وكنا حسبنا كل بيضاء
شحمة لبالي لاقينا...

(٢) البيت لقطري بن الفجاءة. شرح ديوان الحماسة ج ١: ٥، وبقية: وعجنا صدور الخيل نحو تميم.

(٣) الإهالة السنخة: دسم اللحم الفاسد. (الصحاح: مادة سنخ)

أن اقتسم التمرة اثنان، وربّما مصّها الجماعة ليشربوا عليها الماء، وكانوا في حمارة القيط^(١) وفي الضيقة الشديدة من القحط وقلة الماء كاد تزيف قلوب فريق منهم عن الثبات على الإيمان، أو عن اتباع الرسول ﷺ في تلك الغزوة. وفي ﴿كَادَ﴾ ضمير الأمر والشأن، وشبهه سبويه بقولهم: ليس خلق الله مثله^(٢). وقرئ: ﴿يَزِيغُ﴾ - بالياء .. قيل: إنّ قوماً منهم همّوا بالانصراف من غزاتهم بغير استئذان، فعصمهم الله تعالى حتى مضوا ثم تاب عليهم من بعد ذلك الزيف.

﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ تداركهم برأفته ورحمته.

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، خلفوا عن قبول التوبة بعد قبول توبة من قبل توبتهم، وقيل: خلفوا عن غزوة تبوك لما تخلّفوا. وقراءة أهل البيت (عليهم السلام) وأبي عبد الرحمن السلمي^(٣): خالفوا. ﴿بِمَا رَحِمْتَ﴾ أي: برحبها، والمعنى: مع سعتها، وهو مثل لحيرتهم في أمرهم، كأنهم لا يجدون في الأرض موضع قرار.

﴿وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: قلوبهم من فرط الوحشة والغم ﴿وَوَطَّنُوا﴾ وعلموا ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى ليستقيموا]^(٤) على توبتهم ويثبوا، أو ليتوبوا أيضاً في المستقبل إن فرطت منهم خطيئة، علماً منهم بأن الله تواب على من تاب ولو

(١) حمارة القيط: شدة حره. (الصحاح: مادة حر).

(٢) الكتاب ج ١: ٧٠.

(٣) عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمن السلمي قارئ الكوفة، ولد في حياة النبي ﷺ، توفي سنة ٧٤هـ على قول. ينظر غاية النهاية في طبقات القراء ج ١: ٤١٣.

(٤) ساقطة من ج.

عاد في اليوم سبعين مرة.

﴿مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ الذين صدقوا في دين الله نية وقولاً وعملاً، وعن الباقر عليه السلام: ((كونوا مع آل محمد))^(١). وقرأ ابن عباس: من الصادقين، وروي أيضاً ذلك عن الصادق عليه السلام.

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ، ذَلِكَ أَنْهُمْ لَا
يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا
يَقْطَعُونَ مَوَاطِنًا يَغِيْطُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ
نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا
يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِحَاجَتِهِمْ اللَّهُ أَحْسَنُ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣١﴾

ظاهره خبر ومعناه نهي، مثل قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾^(٢).
﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أمروا بصحبة رسول الله ﷺ على البأساء
والضراء، ويأن يكابدوا معه الشدائد برغبة ونشاط.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما دلّ عليه قوله: ما كان لهم أن يتخلفوا، من وجوب
مشايعته، أي ﴿ذَلِكَ﴾ الوجوب بسبب ﴿أَنْهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ﴾ شيء من عطش
ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد، ولا يضعون أقدامهم ولا يدوسون بحوافر
خيولهم وأخفاف رواحلهم موضعاً ﴿يَغِيْطُ الْكُفَّارَ﴾ وطوهم إياه، ولا

(١) تفسير القمي ج ١: ٣٠٧، الكشف والبيان ج ٥: ١٠٩.

(٢) الأحزاب: ٥٣.

يَتَصَرَّفُونَ فِي أَرْضِهِمْ تَصَرَّفًا يَضِيقُ صُدُورَهُمْ ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا﴾
ولا يبرزونهم شيئاً بقتل أو أسر أو أمر يغتهمهم ﴿لَا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾
واستوجبوا الثواب عند الله.

والموطئ: إما مصدر كال مورد وإما مكان. والنيل: يجوز أن يكون مصدرًا
مؤكدًا وأن يكون بمعنى النيل، وهو عام في كل ما يسوؤهم ويضرهم.

﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ أي: أرضاً في ذهابهم ومجيئهم. والوادي: كل
منعرج بين جبال وآكام يكون منفذاً للسليل، وهو في الأصل فاعل من ودى: إذا
سال، ومنه الودي.

﴿لَا كُتِبَ لَهُمْ﴾ ذلك الإنفاق وقطع الوادي.

وتعلق ﴿لِيَجْزِيََهُمْ﴾ بـ ﴿كُتِبَ﴾ أي: أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء.

وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَسْفَرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرٌ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ
مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَسْفَرَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا
إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَلِيلًا الَّذِينَ
يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ
أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا
وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ
رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾

﴿لِيَسْفَرُوا﴾ اللام لتأكيد النفي. والمعنى: أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب

الفقه والعلم غير صحيح ولا ممكن، وفيه: أنه لو صح وأمكن ولم يؤد إلى مفسدة
لوجب على الكافة، لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم.

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ فحين لم يمكن نفرير الكافة فهلا نفر ﴿مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ أي: جماعة كثيرة ﴿طَائِفَةٌ﴾ أي: جماعة قليلة منهم ﴿لَيَسْفَفَهُوا فِي الدِّينِ﴾ ليتكلفوا الفقاهة فيه، ويتجشموا المشاق في تحصيلها ﴿وَلَيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ وليجعلوا غرضهم بالتفقه إنذار قومهم وإرشادهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عقاب الله ويطيعونه.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ أي: يقربون منكم، فإن القتال واجب مع جميع الكفار، ولكن الأقرب فالأقرب أوجب، ونظيره: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١). وقد حارب رسول الله ﷺ قومه ثم غيرهم من العرب، وقيل: هم قريظة والنضير وفدك وخيبر^(٢). والأول أصح، لأن السورة نزلت في سنة تسع، وقد فرغ النبي من أولئك.

﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ أي: شدة وصبراً على جهادهم، ونحوه: ﴿وَاغْلِظْ عَلَيْهِمْ﴾^(٣).

﴿فَيَنْهَهُم مَّن يَقُولُ﴾ فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ﴾ السورة ﴿إِيْمَنًا﴾ استهزاء باعتقاد المؤمنين زيادة الإيمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي.

﴿فَزَادَتْهُمْ إِيْمَنًا﴾ أي: تصديقاً و يقيناً وثلجاً لصدورهم. وقوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ أي: كفرة مضموماً إلى كفرهم، لأنهم بتجديد الوحي جددوا كفراً ونفاقاً فازداد كفرهم عنده واستحكم.

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) عن ابن عباس. معالم التنزيل ج ٢: ١١١.

(٣) التحريم: ٩.

أَوَّلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ
ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ
سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَذَا يَرَبُّكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ
انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ
جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ
حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ
تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ
رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

قري: ﴿أَوَّلَا يَرَوْنَ﴾ بالتاء أيضاً ﴿يُفْتَنُونَ﴾ أي: يبتلون ويمتحنون بالمرض
والقحط وغيرهما من البلايا ﴿ثُمَّ﴾ لا يتتهون و﴿لَا يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم ﴿وَلَا
هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ لا يعتبرون، أو يبتلون بالجهاد مع رسول الله ﷺ ويعاينون
أمره وما ينزل الله عليه من النصر والتأييد، أو يفتنهم الشيطان فينقضون عهودهم
مع رسول الله ﷺ فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون.

﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ أي: تغامزوا بعيونهم إنكاراً للوحي قائلين: ﴿هَذَا
يَرَبُّكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ من المسلمين لنصرف فإننا لا نصبر على استماعه، أو ترامقوا
يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال.

﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ دعاء عليهم بالخذلان، أو بصرف
قلوبهم عما في قلوب أهل الإيذان من الانسراح بسبب ﴿أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا
يتدبرون حتى يفقهوا ويعلموا.

﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم، شديد
﴿عَلَيْهِ﴾ - لكونه بعضاً منكم - عنتكم ولقاؤكم المكروه، فهو يخاف عليكم سوء

العاقبة والوقوع في العذاب.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ حتى لا يخرج أحد منكم عن الاستسعاد به وبدينه الذي جاء به.

﴿يَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ منكم ومن غيركم ﴿رُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. وقرئ: مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَي: من أشرفكم وأفضلكم، وقيل: هي قراءة رسول الله ﷺ وفاطمة عليها السلام. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان بك فاستعن بالله وفوض إليه، فإنه يكفيك أمرهم وينصرك عليهم. وقيل: هي آخر آية نزلت من السماء^(١)، وهذه السورة آخر سورة كاملة نزلت^(٢).

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: (سألته عن سورة التوبة؟ فقال: تلك الفاضحة، ما زال ينزل منهم ومنهم، حتى خشينا أن لا يبقى منا أحد إلا ذكر)^(٣).

(١) عن أبي بن كعب. تفسير الطبري ج ١١: ٥٧.

(٢) عن البراء. الدر المنثور ج ٣: ٢٠٨.

(٣) الدر المنثور ج ٣: ٢٠٨.

سورة يونس

مكية، وهي مائة وتسع آيات.

وفي حديث أبي: ((من قرأها أعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد من صدق بيونس وكذب به، وبعدد من غرق مع فرعون))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأها في كل شهرين لم يخف عليه أن يكون من الجاهلين، وكان يوم القيامة من المقرّين))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّءِىكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ لِلنَّاسِ عَجَبٌ أَنَّ أُوحِيَْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَيِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ مِثْلُ ﴿٢﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات.

﴿الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ اللوح المحفوظ، أو القرآن ذي الحكمة لاشتغاله عليها،

أو نطقه بها.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ الهمة لإنكار التعجب والتعجب منه، و﴿أَنَّ

(١) الكشف والبيان ج ٥: ١١٦.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٦.

أَوْحِيْنَا ﴿ اسم (كان)، و﴿عَجَبًا﴾ خبره. ومعنى اللام في ﴿لِّلنَّاسِ﴾: إنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها، والذي تعجبوا منه: أن يوحى ﴿لِّلنَّاسِ﴾ بشر يكون رجلاً من جنس رجالهم دون أن يكون عظيماً من عظمائهم. وهذا ليس بعجيب، لأن الله إنما يختار من يستقل بما اختير له من أعباء الرسالة.

﴿أَنْ أَنْذِرَ النَّاسَ﴾: (أن) هي المفسرة، لأن ﴿أَوْحِيْنَا﴾ فيه معنى القول، ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة، وأصله: أنه أنذر الناس، على معنى: أن الشأن قولنا: أنذر الناس ﴿أَنْ لَهُمْ﴾ أي: بأن لهم، فحذف الباء.

﴿قَدَّمَ صِدْقٍ﴾ أي: سابقة وفضلاً ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، ولما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدماً، كما سميت النعمة يداً وباعاً، لأنها تعطى باليد وصاحبها يبيع بها. وإضافته إلى ﴿صِدْقٍ﴾ دلالة على زيادة فضل، وأنه من السوابق العظيمة.

﴿إِنَّا هَذَا﴾ الكتاب لسحر. وقرئ: ﴿لَسَحَرٌ﴾ فعلى هذه القراءة يكون ﴿هَذَا﴾ إشارة إلى رسول الله ﷺ، وهو دليل عجزهم واعترافهم بذلك، وإن كانوا كاذبين في تسميته سحراً.

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّكُمْ يَسُدُّوْنَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١﴾

﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ﴾ يقضيه ويقدره ويرتبه في مراتبه على أحكام عواقبه، كما يفعل الناظر في أدبار الأمور، والأمر: أمر الخلق كله. وقد دلّ سبحانه بالجملة قبلها على عظمة ملكوته بخلق ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي﴾ وقت يسير مع بسطتها واتساعها، وبالاستواء ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾، ثم أتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة في أنّه لا يخرج شيء من قضائه وتقديره، وكذا قوله: ﴿مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ دليل على العزة والكبرياء.

﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى المعلوم بتلك العظمة، أي: ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ﴿اللَّهُ﴾ الذي يستحقّ العبادة منكم، وهو ﴿رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ﴾ وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو إنسان فضلاً عن جحد لا يضر ولا ينفع ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وأصله تتذكرون، يعني: أنّ أدنى تذكّر ينبه على الخطأ فيما أنتم عليه.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: إليه رجوعكم جميعاً في العاقبة فاستعدوا للقاءه.

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكد لقوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾، و﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾.

﴿إِنَّهُمْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ استئناف معناه التعليل لجوب المرجع إليه، وهو أنّ الغرض بابتداء الخلق وإعادته جزاء المكلفين على أعمالهم. وقرئ: أنّه - بالفتح - بمعنى: لآته، أو هو منصوب بالفعل الذي نصب ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ أي: وعد الله وعداً بإيداء الخلق ثمّ إعادته، والمعنى: إعادة الخلق بعد إيدائه.

﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل، وهو متعلّق بـ(يَجْزِي) والمعنى: ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم، أو بقسطهم وعدلهم حين ﴿أَمَاتُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لأنّ الشرك

ظلم، ويؤيد هذا الوجه أنه يقابل قوله: ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ
لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا
بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَسْتَقُوبُونَ ﴿٦﴾

الباء في ﴿ضِيَاءً﴾ منقلبة عن واو ضواء لكسرة ما قبلها، والضياء أقوى
من النور.

﴿وَقَدَرَهُ﴾ أي: قدر القمر، ﴿مَنَازِلَ﴾ أي: ذا منازل، أو قدر مسيره منازل،
كقوله: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾^(١).

﴿وَالْحِسَابَ﴾ حساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالي، ﴿ذَلِكَ﴾
إشارة إلى المذكور، أي: ما خلقه ﴿إِلَّا﴾ ملتبساً ﴿بِالْحَقِّ﴾ الذي هو الحكمة البالغة
ولم يخلقه عبثاً.

وخص المتقين لأنهم يحذرون العاقبة فيدعوهم ذلك إلى التأمل والنظر.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ نَارُ
يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِآيَاتِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ

فِي جَنَّتِ الْعِيمِ ① دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا
سَلَامٌ ② وَءَاخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ③

أي: لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء، ولا يخافون سوء لقائنا ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فنعوا بها من الآخرة، واختاروا القليل الغاني على الكثير الباقي ﴿وَأَطْمَأَنَّنُوا بِهَا﴾ وسكنوا إليها سكون من لا يزجج عنها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَائِلَتِنَا غَافِلُونَ﴾ ذاهبون عن تأملها، ذاهلون عن النظر فيها.

﴿تَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ يوفقهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك الطريق الموصل إلى الثواب، ولذلك جعل قوله: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ بياناً له وتفسيراً، لأن التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها، أو ﴿تَهْدِيهِمْ﴾ في الآخرة بنور إيمانهم إلى سبيل الجنة، نحو قوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾^(١).

﴿دَعَوْنَهُمْ﴾ أي: دعاؤهم ﴿فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ﴾. ومعناه: اللهم إنا نسبحك، كما ورد في دعاء القنوت: ((اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد))^(٢). ويجوز أن يراد بالدعاء العبادة على معنى: أنه لا تكليف في الجنة ولا عبادة، وما عبادتهم إلا أن يسبحوا الله ويحمدوه، وينطقون بذلك تلذذاً من غير كلفة.

﴿وَأَخِرُ دَعْوَانَهُمْ﴾ وخاتمة دعائهم ﴿أَن﴾ يقولوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ معناه: إن بعضهم يحیی بعضاً بالسلام، وقيل: هي تحية الملائكة إياهم^(٣)، فيكون المصدر مضافاً إلى المفعول، وقيل: هي

(١) الحديد: ١٢.

(٢) (٢) المزار: ١٢١، مصنف ابن أبي شيبة ج ٢: ٢١٣.

(٣) عن الضحاك. تفسير السمرقندي ج ٢: ١٠٥.

تحيه الله لهم^(١). و(أن) هي المخففة من الثقيلة، وأصله: أنه الحمد لله.

وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ
إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ
قَاعِدَا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى
ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

وضع ﴿وَيُخَيِّمُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ موضع تعجيله لهم الخير إشعاراً بسرعة إجابته لهم حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل له، والمراد قول من قال: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِمَارًا مِنَ السَّمَاءِ﴾^(٢). والمعنى: ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيهم إليه ﴿لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ لأميتوا وأهلكوا. وقرئ: لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ، وتنصره قراءة عبد الله: لقضينا إليهم أجلهم.

[﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ معناه: فلا نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم]^(٣)، فنذرهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ أي: فتمهلهم ونملي لهم إلزاماً للحجة عليهم.

وقوله: ﴿لِجَنبِهِ﴾ في موضع الحال أي: مضطجعا، والمعنى: أنه لا يزال داعياً لا يفتر في الدعاء حتى يزول عنه ﴿الضُّرُّ﴾ فهو يدعو في حالاته كلها يستدفع البلاء. و﴿الْإِنْسَانَ﴾ للجنس.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ أي: أزلنا ﴿عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ أي: مضى على طريقته الأولى قبل

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ٣: ٨.

(٢) الأنفال: ٣٢.

(٣) ساقطة من ج.

أن يمسه الضرّ، أو مرّ عن موقف الدعاء والتضرّع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به.

﴿كَأَنَّ﴾ تخفيف (كأنّ) وحذف ضمير الشأن منه، قوله:

كَأَنَّ ظَنِيَّةً تَعْطُوا إِلَى وَارِقِ السَّلَمِ^(١)

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك التزيين ﴿زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ زين الشيطان بوسوسته

لهم ترك الدعاء عند الرخاء واتباع الشهوات والأمانى الباطلة.

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ
﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿لَمَّا﴾ ظرف لـ ﴿أَهْلَكْنَا﴾، والواو في ﴿وَجَاءَتْهُمْ﴾ للحال، أي: ﴿وَجَاءَتْهُمْ﴾

بالتكذيب وقد جاءتهم ﴿رُسُلُهُمْ﴾ بالمعجزات والدلالات.

﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ اللام لتأكيد النفي، أي: وما كانوا يؤمنون حقاً. والمعنى:

إنّ السبب في إهلاكهم تكذيبهم الرسل، وعلم الله إصرارهم على الكفر، وآتاه لا
فائدة في إمهالهم بعد أن ألزمهم الحجّة بإرسال الرسل.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء يعني الإهلاك ﴿نَجْزِي﴾ المشركين في

المستقبل إذا لم يؤمنوا، وهو وعيد لأهل مكة.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ﴾ أي: استخلفناكم ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ﴾ بعد القرون

التي أهلكناها ﴿لِنَنْظُرَ﴾ أتعملون خيراً أم شراً فنعاملكم على حسب أعمالكم.

(١) البيت لعلاء بن أرقم البشكري. الأصمعيات: ١٥٧. وقيل لغيره، ينظر: خزانة الأدب ج ١٠:

و﴿كَيْفَ﴾ في محل نصب ب﴿تَعْمَلُونَ﴾: إما حالاً وإما مصدرأ. والنظر هنا مستعار بمعنى العلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجوداً، شبه بنظر الناظر وعيان المعاین في تحققه.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَنْتِ بِشَرِّهِمْ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآئِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾

أي: قالوا: ﴿أَنْتِ بِشَرِّهِمْ﴾ آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذم عبادة الأوثان والوعيد لعابديها ﴿أَوْ بَدَّلَهُ﴾ بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة، وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها، فأمر بأن يجب عن التبديل لأنه داخل تحت مقدور الإنسان، فأما الإتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للإنسان.

﴿مَا يَكُونُ لِي﴾ ما ينبغي لي ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآئِ نَفْسِي﴾ من قبل نفسي، من غير أن يأمرني بذلك ربي ﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ لا آتي ولا أدر شيئاً من نحو ذلك إلا متبعاً لوحي الله، إن نسخت آية أو بدلت مكان أخرى تبعت ذلك، وليس إليّ تبديل ولا نسخ ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ في التبديل والنسخ من عند نفسي ﴿عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: إن تلاوته ليست إلا بمشيئة

الله وإحداثه أمراً عجيباً خارقاً للعادة، وهو أن يخرج رجل أمي لم يتعلم ساعة من عمره، ولا نشأ في بلد فيه العلماء، فيقرأ عليكم كتاباً بهر بفصاحته كل كلام فصيح، مشحوناً بعلوم الأصول والفروع والإخبار بما كان ويكون لا يعلمها إلا الله، وقد نشأ فيكم لم تسمعوا منه حرفاً من ذلك منذ أربعين سنة.

﴿وَلَا أَدْرِيكُمْ بِهِ﴾ أي: ولا أعلمكم به على لسان. وقرئ: ولأدراكم به على إثبات الإدراء، واللام لام الابتداء، والمعنى: لو شاء الله ما تلوته أنا عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري، ولكنه خصني بهذه الكرامة.

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ أي: فقد أقمت فيكم بينكم ناشئاً وكهلاً فلم تعرفوني متعاطياً شيئاً من نحوه فتتهموني باختراعه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعلموا أنه ليس إلا من عند الله تبارك وتعالى.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ
وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا
لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾

كان أهل الطائفت يعبدون اللات، وأهل مكة العزى ومناة وهبل وإسافاً ونائلة، وكانوا يقولون: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ﴾ أنخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو إخبار ﴿بِمَا﴾ ليس بمعلوم لله، وإذا لم يكن معلوماً له - وهو العالم بالذات المحيط بجميع المعلومات - لم يكن شيئاً، لأن الشيء ما يصح أن يعلم وقد أخبرتم بما لا يدخل تحت الصحة.

وقوله: ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ تأكيد لنفيه، لأن ما لا يوجد فيهما فهو منتف معدوم.

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (ما) موصولة أو مصدرية، أي: عن الشركاء الذين يشركونهم به، أو عن إشراكهم. وقرئ: تشركون - بالتاء..

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ متفقين على ملة واحدة ودين واحد من غير أن يختلفوا بينهم، وذلك في عهد آدم إلى أن قتل قابيل هابيل، وقيل: بعد الطوفان^(١).

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا﴾ اختلفوا ﴿فِيهِ﴾ ويميز المحق من المبطل، ولكن الحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار للتكليف وتلك للثواب والعقاب.

وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٦١﴾

أرادوا ﴿آيَةٌ﴾ من الآيات التي كانوا يفترحونها ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ هو المختص به، والصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه إلا هو ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ نزول ما اقترحتموه.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ لما يفعل الله بكم لعنادكم وتماديكم في جحود الآيات الباهرة التي لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها، ومن جلتها القرآن المعجز الباقي على وجه الدهر.

﴿إِذَا﴾ الأولى للشرط، والأخيرة جوابها، وهي ظرف مكان. والمكر: إخفاء المكيدة وطيتها، من الجارية الممكورة: المطوية الخلق.

و﴿مَسْتَهْم﴾ خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم، وهو أنه سبحانه سلط على أهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون، ثم لما رحمهم بالحيا صاروا يطعنون في آيات الله ويعادون رسوله ويكيدونه، فلذلك وصفهم بسرعة المكر حتى أتى بكلمة المفاجأة، فكأنه قال: فاجأوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه. ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ يدبر عقابكم ويوقعه بكم قبل أن تدبروا في إطفاء نور الإسلام.

﴿إِنْ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمَكُرُونَ﴾ إعلام بأن ما يظنونه خافياً غير خاف عند

الله.

هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رَيْحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَئِنْ آمَنَّا مِنْ هَذَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَجَسَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْتُلُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيَّمُوا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

قري: ينشركم، من النشر، ومثله: ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾^(١). والمعنى: ﴿هُوَ الَّذِي﴾ يمكنكم من السير بما هيا لكم من أسباب السير ﴿فِي الْبَرِّ﴾ بخلق الدواب وتسخيرها لكم وفي ﴿الْبَحْرِ﴾ بإرسال الرياح التي تجري السفن في

الجهات المختلفة ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ خصّ الخطاب براكبي البحر، أي: إذا كنتم في السفن.

﴿وَجَرَيْنَ بِهِمُ﴾ عدل عن الخطاب إلى الغيبة للمبالغة، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها، أي: وجرت الفلك أي: السفن بالناس ﴿بِرِيحٍ طَبَّيْرٍ﴾ لينة يستطيعونها.

وجواب ﴿إِذَا﴾ قوله: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ أي: شديدة الهبوب هائلة. ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ من أمكنة الموج ﴿وَوُظِنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ وهو مثل في الهلاك، ﴿دَعَوْا اللَّهَ﴾ هو بدل من ﴿وَوُظِنُوا﴾ لأنّ دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك، وهو ملتبس به. والجملة الشرطية الواقعة بعد ﴿حَتَّى﴾ بما في حيزها غاية للتفسير، فكأنه قال: هو الذي يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء بالإنجاء.

وقال: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ لأنهم لا يدعون حينئذ غيره معه ﴿لَئِنْ أَجَبْنَاهُ﴾ على إرادة القول، أو لأنّ ﴿دَعَوْا﴾ من جملة القول.

﴿يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يفسدون فيها ويعيثون ممعنين في ذلك.

وقرئ: ﴿مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ بالنصب، والفرق بين القراءتين أنّك إذا رفعت كان المتاع خبر المبتدأ الذي هو ﴿بَغْيِكُمْ﴾، و﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ صلته كقوله: ﴿بَغْيَ عَلَيْهِمْ﴾^(١). ومعناه: إنّما بغيتكم على أمثالكم، أي: بغى بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها. وإذا نصبت فالخبر ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ والمعنى: إنّما

بغيتكم وبال على أنفسكم، و﴿مَتَّعَ﴾ مصدر مؤكد. وفي الحديث: ((لا تمكر ولا تعن ماكرأ، ولا تبغ ولا تعن باغياً، ولا تنكث ولا تعن ناكثاً، وكان يتلوها))^(١).
وروي: ((ثنتان يعجلهما الله في الدنيا: البغي، وعقوق الوالدين))^(٢).

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَرَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىهَا أَنَّهَا أَمْرًا لَيَالًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَنْسِ كَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَنْفَكُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾

شبه حال ﴿الدُّنْيَا﴾ في سرعة انقضائها بحال ﴿نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ في جفافه بعد خضرته ونضرتة.

﴿فَأَخْلَطَ بِهِ﴾ فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً.

﴿إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ مثل الأرض بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون، فاكتستها وتزينت بغيرها من أنواع الزين، وأصل ﴿ازَّيَّنَتْ﴾: تزينت.

﴿قَدِرُوا عَلَىهَا﴾ متمكنون منها محصلون لمنفعتها.

﴿أَنَّهَا أَمْرًا﴾ وهو ضرب زروعها ببعض العاهات والآفات بعد

(١) كتاب الزهد والرفائق: ٢٥٢.

(٢) التاريخ الكبير ج ١: ١٦٦.

أمنهم وإيقانهم أنه قد سلم ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: فجعلنا زرعها ﴿حَصِيدًا﴾ شبهاً بها يحصد من الزرع من قطعه واستئصاله ﴿كَأَنَّ لَمْ تَغْنِ﴾ [أي: كأن لم تغن] ^(١) زرعها، فحذف المضاف، أي: لم ينبت، ولا بد من حذف المضاف - الذي هو الزرع - في هذه المواضع وإلا لم يستقم المعنى. وعن الحسن: كأن لم يغن - بالياء - على أن الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع.

والأمس: مثل في الوقت القريب، كأنه قيل: كأن لم يوجد من قبل.

﴿كَارِ السَّلَيرِ﴾ الجنة، أضافها إلى اسمه. وقيل: السلام: السلامة ^(٢)، لأن أهلها سالمون من كل مكروه، وقيل: لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم ^(٣). ﴿وَيَهْدِي﴾ ويوفق ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ وهم الذين لهم في المعلوم لطف يجدي عليهم.

و﴿الْحُسْنَى﴾: المثوبة الحسنَى ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ وما يزيد على المثوبة وهي التفضل، ويدل عليه قوله: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ^(٤)، وعن علي عليه السلام: ((الزيادة: غرفة من لؤلؤة واحدة)) ^(٥)، وعن ابن عباس: (الزيادة: عشر أمثالها) ^(٦)، وعن مجاهد: (الزيادة: مغفرة من الله ورضوان) ^(٧).

(١) ساقطة من ط.

(٢) معاني القرآن وإعراجه ج ٣: ١٥.

(٣) عن الحسن. الكشف والبيان ج ٥: ١٢٨.

(٤) فاطر: ٣٠.

(٥) تفسير الطبري ج ١١: ٧٥.

(٦) تفسير الطبري ج ١١: ٧٦.

(٧) تفسير الطبري ج ١١: ٧٦.

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾ ولا يغشاها ﴿قَتَرٌ﴾ غبرة فيها سواد ﴿وَلَا ذَلَّةٌ﴾ ولا أثر هوان. والمعنى: لا يرهقهم ما يرهق أهل النار، كقوله: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾^(١)، و﴿تَرْهَقُهُمْ ذَلَّةٌ﴾^(٢).

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذَلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ زَلِّيلٍ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَوَلَّيْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِِنَّا نَاعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَفْلَةٍ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا﴾ إما أن يكون معطوفاً على قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ كأنه قيل: وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها، وإما أن يكون تقديره: وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها. والمعنى: جزاؤهم أن تجازى سيئة واحدة بمثلها لا يزداد عليها. وهذا أوجه لأن في الأول عطفاً على عاملين، وفي هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل.

﴿مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ﴾ أي: لا يعصمهم أحد من سخط الله وعذابه، أو ما لهم من جهة الله من يعصمهم كما يكون للمؤمنين.

﴿مُظْلِمًا﴾ حال من الليل، ومن قرأ: قِطْعًا - بالسكون - جعله صفة له.

﴿مَكَانَكُمْ﴾ إلزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم، و﴿أَنْتُمْ﴾

(١) عبس: ٤١.

(٢) المعارج: ٤٤.

تأكيد للضمير في ﴿مَكَانَكُمْ﴾، لآته سدّ مسدّ إلزموا، ﴿وَشُرَكَاءُكُمْ﴾ عطف عليه.
 ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ ففرّقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم في الدنيا.
 ﴿مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ إنّما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن
 تتخذوا لله أنداداً فأطعتموهم.

﴿إِنْ كُنَّا﴾ هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة، وهم الملائكة والمسيح
 ومن عبده من دون الله من أولي العقل، وقيل: هم الأصنام ينطقها الله عز وجل
 بذلك مكان الشفاعة التي رجوها منهم^(١).

﴿هَٰذَا لَكَ﴾ أي: في ذلك [المقام، أو في ذلك]^(٢) الوقت على الاستعارة
 ﴿تَبَلَّوْا﴾ أي: تختبر وتذوق ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ من العمل فتعرف كيف هو،
 أنافع أم ضار؟ أو مقبول أو مردود؟، ومنه ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾^(٣).

وقرئ: تتلوا، أي: تتبع ما أسلفت، لأنّ عمله هو الذي يهديه إلى طريق الجنة
 أو إلى طريق النار، أو تقرأ في صحيفتها ما قدّمت من خير أو شرّ.

﴿مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ﴾ ربهم الصادق ربوبيته، أو الذي يتولى حسابهم العدل
 الذي لا يجوز.

﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنّهم شركاء
 لله تعالى.

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ١١: ٧٩.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) الطارق: ٩.

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ
الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ
فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ
كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

أي: ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ منهما جميعاً؟ لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته.

﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ من يستطيع خلقهما وتسويتها على الحد الذي هما عليه من الفطرة العجيبة؟ أو من يحميها ويحصنها من الآفات؟ ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ ومن يلي تدبير أمر العالم كله؟ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقابه في عبادة غيره.
﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ﴾ إشارة إلى من هذه صفته وأفعاله ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ﴾ الثابت ربوبيته وإلهيته ثباتاً لا ريب فيه لمن نظر ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ لأن الحق والضلال لا واسطة بينهما، فمن تعدى الحق وقع في الضلال ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ عن الحق؟.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الحق ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال، فكذلك حقت كلمة ربك ﴿عَلَى الَّذِينَ﴾ تمرّدوا في الكفر وخرجوا إلى الغاية القصوى فيه.

﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بدل من الكلمة، أي: حق عليهم انتفاء الإيمان وعلم الله ذلك منهم، أو أراد بالكلمة: العذاب، و﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تعليل، بمعنى: لأنهم لا يؤمنون.

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَسْبُدُّ الْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تَوَفَّكُونَ ﴿٢٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ
قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا
يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَأَمْ لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ
إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٦﴾

وضع سبحانه إعادة الخلق موضع ما يكون دافعه مكابراً لظهور برهانه، ثم
قال لنبيه: ﴿قُلِ اللَّهُ يَسْبُدُّ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أمره أن ينوب عنهم في الجواب، إذ لا
يدعهم لجاحهم ومكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق.

هداه للحق وإلى الحق لغتان، فجمع سبحانه بين اللغتين، ويقال: هدى نفسه،
بمعنى: اهتدى، كما يقال: شرى بمعنى: اشترى، ومنه قراءة من قرأ: آمن لا يهدي.
[وقرى: لا يهدي] ^(١) بفتح الهاء وبكسرهما، وبكسر الهاء والياء، وأصله: يهتدي،
فأدغم وفتحت الهاء لحركة التاء، أو كسرت لالتقاء الساكنين، وكسرت الياء
لاتباع ما بعدها. ومعناه: إن الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين
من العقول، ومكنهم من النظر في الأدلة ووقفهم [ووقفهم] ^(٢) على الشرائع، فهل
من شركائكم الذين جعلتموهم لله أنداداً أحد ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ مثل هداية الله؟
ثم قال: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ هذه الهداية ﴿أَحَقُّ﴾ بالاتباع أم الذي ﴿لَا
يَهْدِي﴾ أي: لا يهتدي بنفسه، أو لا يهدي غيره ﴿إِلَّا أَنْ﴾ يهديه الله، أو لا يهتدي
إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيواناً [مكلفاً] ^(٣) فيهديه؟! ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ

(١) ساقطة من ج.

(٢) ساقطة من أ، ج، وفي ط: وأعلمهم الشرائع.

(٣) ساقطة من أ، ط.

تَحْكُمُونَ ﴿٣٧﴾ بالباطل.

﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ﴾ في إقرارهم بالله ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ لأنه قول لا يسند إلى دليل ﴿إِنَّ الظَّنَّ﴾ في معرفة الله ﴿لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾ وهو العلم ﴿شَيْئًا﴾. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ وعيد.

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾

أي: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ افتراء ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ﴾ كان ﴿تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة، لأنه معجز دونها، وهو عيار عليها وشاهد بصحتها.

ومعنى ﴿وَمَا كَانَ... أَنْ يُفْتَرَىٰ﴾: وما صحَّ وما استقام وكان محالاً أن يكون مثله في إعجازه وعلو شأنه مفترى.

﴿وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ﴾ وتبيين ما شرع وفرض من الأحكام، من قوله: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(١).

﴿وَلَكِنْ﴾ كان القرآن تصديقاً للكتب السماوية وتفصيلاً للأحكام

الشرعية، منتفياً عنه الريب كائناً ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ بل يقولون: اختلقه؟! والهمزة: إما تقرير لإلزام الحجة عليهم، أو استبعاد لقولهم وإنكار، والمعنيان متقاربان.

﴿قُلْ﴾ إن افتريته كما زعمتم ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ أنتم ﴿بِسُورَةِ﴾ مفتراة ﴿مِثْلِهِ﴾ في البلاغة وحسن النظم، كما أنتم مثلي في العربية والفصاحة ﴿وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ للاستعانة به على الإتيان بمثله ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: إن الله وحده هو القادر على أن يأتي بمثله، لا يقدر على ذلك أحد غيره، فاستعينوا بكل من دونه على ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنه افتراء.

﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾ بالقرآن قبل أن يعلموا كنه أمره، ويقفوا على ﴿تَأْوِيلِهِ﴾ ومعانيه، لنفورهم عما يخالف ما ألفوه من دين آبائهم. وقيل: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أي: ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب - أي عاقبته - حتى تبين لهم أنه كذب أم صدق، يعني: إنه كتاب معجز من جهتين: إعجاز نظمه، وما فيه من الإخبار بالغائبات، فسارعوا إلى التكذيب قبل أن ينظروا في بلوغه حد الإعجاز، وقبل أن يختبروا إخباره بالمغيبات.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ في نفسه ويعلم أنه حق، ولكنه يعاند ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَصَدَّقُ بِهِ﴾، أو ومنهم من سيؤمن به في المستقبل، ومنهم من يصّر على الكفر ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ بالمعاندين، أو المصرين.

وإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ
وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ
الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ

تَهْدِي أَعْمَى وَلَوْ كَانَُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ

النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٤﴾

﴿وإن﴾ يثبت من إجابتهم وأصرّوا على تكذيبك فتراهم وخلصهم، فقد أعذرت إليهم، ومثله: ﴿فإنَّ عَصْوَكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١)، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ... إلى آخر السورة﴾^(٢)، وقيل: هي منسوخة بآية القتال^(٣).

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [أي: ناس يستمعون إليك]^(٤) إذا قرأت القرآن وعلمت الأحكام، ولكنهم لا يقبلون ولا يعون؛ وناس ينظرون إليك ويعاينون دلائلك وأعلام نبوتك، ولكنهم لا يصدقون.

ثم قال: أتقدر على إسماع ﴿أَلْصَمَّ﴾ ولو انضم إلى صممهم عدم العقل؟! لأنّ الأصم العاقل ربّما استدلّ وعلم، وأتطمع أن تقدر على هداية ﴿أَلْعَمَى﴾ ولو انضم إلى فقد البصر فقد البصيرة؟! يعني: إنهم في اليأس من قبولهم وتصديقهم كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ لا ينقصهم شيئاً مما يتصل بمصالحهم، أو لا يظلمهم في تعذيبهم يوم القيامة، بل العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستحقاق.

(١) الشعراء: ٢١٦.

(٢) سورة الجحد.

(٣) الناسخ والمنسوخ: ١٣١.

(٤) ساقطة من ج.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّهُ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ
خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّمَا تَرِيكَ بَعْضَ
الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَوْفَيْكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ
﴿١٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ
بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٧﴾

يستقربون أيام لبثهم في الدنيا لقلة انتفاعهم بها، وقيل: في القبور لهول ما
يرون^(١).

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتعارفوا إلا قليلاً، وذلك
عند خروجهم من القبور، ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الأمر عليهم.

وقوله: ﴿كَأَن لَّهُ يَلْبِسُوا﴾ حال من (هم) أي: نحشرهم مشابة أحوالهم
أحوال من لم يلبث ﴿إِلَّا سَاعَةً﴾، و﴿يَتَعَارَفُونَ﴾ جملة مبيّنة لقوله: ﴿كَأَن لَّهُ يَلْبِسُوا إِلَّا
سَاعَةً﴾، لأنّ التعارف لا يبقى مع طول العهد ويصير تناكراً، أو يتعلّق بالظرف.

﴿قَدْ خَسِرَ﴾ على إرادة القول، أي: يتعارفون بينهم قائلين ذلك، أو هو
شهادة من الله على خسرانهم. والمعنى: قد خسروا في تجارتهم وبيعهم الإيمان
بالكفر.

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ للتجارة عارفين بها، وهو استئناف فيه معنى التعجب،
كأنه قال: ما أخسرهم!

﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ جواب [﴿نُوفَيْكَ﴾، وجواب^(٢) [﴿تَرِيكَ﴾ محذوف

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ٣: ٢٢.

(٢) ساقطة من ج.

كأنه قال: وإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك، أو نتوفيك قبل أن نريك فنحن نريك في الآخرة.

﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ ذكر الشهادة والمراد مقتضى الشهادة وهو العقاب، فكأنه قال: ثم الله معاقب ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ يبعث إليهم ﴿فَإِذَا جَاءَ رُسُلَهُمْ﴾ بالمعجزات فكذبوه ﴿فُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين النبي ومن كذبه ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، فأنجي الرسول وعذب المكذبون، وقيل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ يوم القيامة ﴿رَّسُولٌ﴾ تنسب إليه ﴿فَإِذَا جَاءَ رُسُلَهُمْ﴾ الموقف فيشهد عليهم بالكفر والإيمان ﴿فُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾^(١).

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ اتَّخَذْتُمْ عَذَابَكُمْ يَوْمَ بَيْنَا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنٌ مِّنْهُمْ يَوْمَ عَاثَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾

﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ استعجال لما وعدوا من العذاب على سبيل التكذيب والاستبعاد.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾ من فقر أو مرض ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ من غنى أو صحة ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء منقطع، أي: ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ في عذابهم وحدّ محدود من الزمان ﴿إِذَا جَاءَ﴾ ذلك الوقت أنجز وعدكم فلا تستعجلوه.

﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْنَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ﴾ ظرف، أي: وقت بيات فيبيتكم وأنتم نائمون ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ أي: في وقت أنتم فيه مشتغلون بطلب معاشكم، والبيات بمعنى التبييت، كالسلام بمعنى التسليم.

﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: أي شيء يستعجلون من العذاب؟ وليس شيء منه يوجب الاستعجال، ويجوز أن يكون معناه التعجب، كأنه قال: أي هول شديد يستعجلون منه؟! وقيل: الضمير في ﴿مِنْهُ﴾ لله تعالى، وتعلّق الاستفهام بـ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾. والمعنى: أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون، وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال، أو تعرفوا الخطأ فيه.

ويجوز أن يكون ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ جواباً للشرط، كقولك: إن أتيتك ماذا تطعمني؟ ثم تعلّق الجملة بـ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾، وأن يكون ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ أمّنتم به، وجواب الشرط، و﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ اعتراضاً. والمعنى: إن أتاكم عذابه أمّنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان به.

ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله: ﴿أَفَأَمِنَ﴾^(١)، ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾^(٢).

﴿ءَأَلَقْنَ﴾ على إرادة القول، أي: قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب: الآن أمّنتم به وقد كنتم تكذبون به؟ لأنّ استعجالهم كان للتكذيب.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ عطف على (قيل) المضمر قبل ﴿ءَأَلَقْنَ﴾.

(١) الأعراف: ٩٧.

(٢) الأعراف: ٩٨.

وَيَسْتَدِثُّونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَيْفَ إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ. وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾

أي: ويستخبرونك فيقولون: ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾، وهو استفهام على وجه الإنكار والاستهزاء.

﴿قُلْ إِي﴾ ومعناه: نعم في القسم، كما كان (هل) بمعنى (قد) في الاستفهام خاصة.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين العذاب، وهو لاحق بكم لا محالة. ﴿ظَلَمَتْ﴾ صفة ﴿نَفْسٍ﴾ أي: ﴿لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ ﴿مَا فِي﴾ الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها على كثرتها ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ لجعلته فدية لها، يقال: فداه فافتدى.

﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ لأنهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوا، عاينوا من تفاقم الأمر ما سلبهم قواهم فلم يطبقوا عنده بكاء ولا صراخاً سوى إسرار الندامة في القلوب، وقيل: أسر الرؤساء منهم الندامة من أتباعهم حياء منهم وخوفاً من توبيخهم^(١)، وقيل: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ أخلصوها، لأن سر الشيء خالصه، وقيل: معناه: أظهروها^(٢).

(١) معاني القرآن للفراء ج ١: ٤٦٩.

(٢) عن أبي عبيدة. معالم التنزيل ج ٢: ١١٩.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الظالمين والمظلومين.

ثم ذكر سبحانه أن له الملك كله، وآته الميثب والمعاقب، وأن ما وعده ﴿حَقٌّ﴾، وهو القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر عليهما غيره، وإلى حسابه وجزائه المرجع، ليعلم أن الأمر كذلك فيخاف ويرجى.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُلُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَلِلَّهِ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ءِذَا لَدُوْهُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾

أي: قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من ﴿مَوْعِظَةٌ﴾ وتنبيه على التوحيد ﴿وَشِفَاءٌ﴾ أي: دواء ﴿لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ من العقائد الفاسدة ﴿وَهُدًى﴾ أي: دلالة تؤدي إلى الحق ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ لمن آمن به وعمل بما فيه.

الأصل: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ فليفرحوا ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾، والتكرير للتأكيد والتقرير، وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا، وأحد الفعلين حذف لدلالة الآخر عليه، ودخلت الفاء معنى الشرط، أي: إن فرحوا بشيء فليخصّوهما بالفرح فإنه لا مفروح به أحقّ منهما. وقرئ: فلتفرحوا - بالتاء - على الأصل والقياس. وقيل: فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن^(١). وعن الباقر عليه السلام: ((فضل الله: رسول الله ﷺ، ورحمته: علي بن

أبي طالب عليه السلام^(١).

﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني، و﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ﴾: ﴿مَّا﴾ منصوب ب﴿أَنزَلَ﴾ أو ب﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ في معنى: أخبروني.

﴿فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ أي: أنزله الله رزقاً حلالاً كله، فجعلتم بعضه حلالاً وبعضه حراماً، كقولهم: ﴿هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾^(٢).

﴿قُلْ مَّا لِلَّهِ أَدْنَى لَّكُمْ﴾: [﴿قُلْ﴾ تكرير، و﴿مَّا لِلَّهِ أَدْنَى لَّكُمْ﴾ تعلق ب﴿أَرَأَيْتُمْ﴾، أي أخبروني: الله أذن لكم^(٣) في التحريم والتحليل ﴿أَمْ﴾ تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه؟ ويجوز أن تكون ﴿أَمْ﴾ منقطعة، بمعنى: بل أنفتمون على الله؟ تقريراً للافتراء. وكفى بهذه الآية زاجرة عن التجوز فيما يسأل عنه من أحكام الشرع، وباعثة على وجوب الاحتياط فيه، وأن لا يقال: جائز وغير جائز إلا بعد الإيقان والإتقان، حتى لا يكون مفترياً على الله.

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ﴾ وأي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه؟ وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة، وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بما فعل بهم من ضروب الإنعام ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ نعمه.

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ
إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ

(١) تفسير القمي ج ١: ٣١٣.

(٢) الأنعام: ١٣٨.

(٣) ساقطة من ج.

مِنْقَالٍ ذَرَوْ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ
إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ إِلَّا آيَاتِ أَوْلِيَائِهِ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾
لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ
لِكُلِّ شَيْءٍ ذَلِكُ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٤﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ
قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٥﴾

﴿مَا﴾ نافية، والخطاب لرسول الله ﷺ، والشأن: الأمر، وهو من شأنه
شأنه، ومعناه: قصدت قصده، والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ للشأن، لأن تلاوة القرآن شأن
من معظم شأن رسول الله، أو للتنزيل. أي: ﴿وَمَا تَلَوْا﴾ من التنزيل ﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾،
وهو إضمار قبل الذكر للتفخيم.

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ أنتم جميعاً ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ شاهدين، به
عالمين.

﴿إِذَا تُفِضُونَ فِيهِ﴾ من أفاض في العمل: إذا اندفع فيه.

﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ قرئ بالضم والكسر، أي وما يغيب وما يبعد ﴿عَنْ﴾ علم
﴿زَيْكَ﴾.

﴿مِنْ مِّنْقَالٍ ذَرَوْ﴾ في موضع رفع ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ قرئ
بالنصب والرفع، فالرفع على الابتداء ليكون كلاماً برأسه، والنصب على نفي
الجنس. فأما العطف على موضع ﴿مِنْ مِّنْقَالٍ ذَرَوْ﴾ في الرفع، والعطف على لفظ
﴿مِّنْقَالٍ﴾ في النصب، إذا جعلته فتحاً في موضع الجر؛ فليسا بالوجه، لأن قولك:
لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب لا وجه له.

﴿إِلَّا آيَاتِ أَوْلِيَائِهِ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهم الذين يتولونه

بالطاعة ويتولاهم بالحفظ والكرامة، وقد أبان عنهم بقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾. وعن سعيد بن جبير، قال: سئل النبي ﷺ عن أولياء الله، فقال: ((هم الذين يُذكر الله برويتهم))^(١)، يعني: في السمات والهيئات، وقيل: هم المتحابون في الله^(٢).

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نصب أو رفع على المدح أو الابتداء، والخبر: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾. والبشرى ﴿فِي الدُّنْيَا﴾: ما بشر الله المتقين في غير موضع من كتابه. وعن النبي ﷺ: ((هي في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو ترى له، وفي الآخرة الجنة))^(٣). وعنه ﷺ: ((ذهبت النبوة وبقيت المبشرات))^(٤). وعن عطاء: (لهم البشرى عند الموت يأتيهم الملائكة بالرحمة)^(٥)، قال الله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا... الآية﴾^(٦). وأما البشرى في الآخرة فتلقّي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وغير ذلك من البشارات، نحو إعطاء الصحف بأيامهم، وما يرون من بياض وجوههم.

﴿لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَتِ اللَّهِ﴾ لا تغيير لأقواله، ولا إخلاف لمواعيده.
﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين، وكلتا الجملتين اعتراض.
﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ تكذيبهم وتدبيرهم في إبطال أمرك وسائر ما

(١) تفسير الطبري ج ١١: ٩١.

(٢) عن أبي هريرة مرفوعاً. تفسير الطبري ج ١١: ٩٢.

(٣) صحيح مسلم ج ٢: ٤٨، الكافي ج ٨: ٩٠ باختصار.

(٤) سنن ابن ماجه ج ٢: ١٢٨٣، ح ٣٨٩٦.

(٥) الكشف والبيان ج ٥: ١٣٩.

(٦) فصلت: ٣٠.

يتكلمون به في شأنك.

﴿إِنَّ الْهَرَّةَ لِلَّهِ﴾ استئناف فيه تعليل، كأنه قال: مالي لا أحزن؟ فأجيب:
﴿إِنَّ الْهَرَّةَ لِلَّهِ جَبِيْعًا﴾ أي: إن الغلبة والقهر جميعاً لله وفي ملكته، لا يملك أحد
شيئاً منهما، لا هم ولا غيرهم، فهو يغلبهم وينصرك عليهم، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾^(١).
﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقولون ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يعزمون عليه، فيكافئهم بذلك.

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ
الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ
إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا
سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا
لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
لَا يُفْلِحُونَ ﴿١٩﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثَمَرَ إِنِّنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ
نُذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢٠﴾

﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ هم العقلاء المميزون من الملائكة
والإنس والجن، وإنا خصهم لبيان أنهم إذا كانوا عبيده وفي ملكته ولا يصلح أحد
منهم للإلهية، فما وراءهم ما لا يعقل ولا يميز أحق أن لا يكون شريكاً له.

ومعنى ﴿وَمَا﴾ يتبعون ﴿شُرَكَاءَ﴾: وما يتبعون حقيقة الشركاء، لأن
شركة الله في الإلهية محال ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا﴾ ظنهم أنهم شركاء ﴿وَلِنْ هُمْ إِلَّا﴾

يَحْرُصُونَ ﴿يَقْدِرُونَ تَقْدِيرًا بَاطِلًا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ﴾ اسْتِفْهَامًا، أَيْ: وَأَيُّ شَيْءٍ يَتَّبِعُونَ؟ وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ ﴿شُرَكَاءَ﴾ نَصَبًا بِ﴿يَدْعُونَ﴾، وَعَلَى الْأَوَّلِ بِ﴿وَمَا يَتَّبِعُ﴾، وَكَانَ حَقُّهُ: وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ، فَاقْتَصَرَ عَلَى أَحَدِهِمَا لِلدَّلَالَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ ﴿مَا﴾ مَوْصُولَةً عَطْفًا عَلَى ﴿مَنْ﴾، بِمَعْنَى: وَلِلَّهِ مَا يَتَّبِعُهُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ، أَيْ: وَلَهُ شُرَكَاءُؤُهُمْ.

ثُمَّ نَبَّهَ عَلَى عَظِيمِ نِعْمَتِهِ بِأَنَّهُ جَعَلَ ﴿أَلَيْلَ﴾ مَظْلَمًا ﴿وَالنَّهَارَ﴾ مُضِيًّا ﴿مُبْصِرًا﴾ لِيَسْكُنُوا فِي اللَّيْلِ، وَيَبْصُرُوا فِي النَّهَارِ مُطَالِبَ أَرْزَاقِهِمْ.

﴿سُبْحَنَهُ﴾ تَنْزِيهِهُ لَهُ عَنْ اتِّخَاذِ الْوَلَدِ ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عِلَّةُ لِنَفْسِ الْوَلَدِ، لِأَنَّ مَا يَطْلُبُ بِهِ الْوَلَدُ مِنْ يَلَدٍ، وَمَا يَطْلُبُهُ لَهُ، السَّبَبُ فِي كُلِّ الْحَاجَةِ، وَإِذَا كَانَتْ عَنْهُ مُنْتَفِيَةً كَانَ الْوَلَدُ عَنْهُ مُنْتَفِيًّا.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنْ اتِّخَاذِ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَدًا.

﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنِ﴾ أَيْ: مَا عِنْدَكُمْ مِنْ حُجَّةٍ ﴿بِهَذَا﴾ الْقَوْلِ، وَلَمَّا نَفَى عَنْهُمْ الْحُجَّةَ جَعَلَهُمْ غَيْرَ عَالِمِينَ، فَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ كُلَّ قَوْلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ بَرَهَانٌ فَهُوَ جَهْلٌ وَلَيْسَ بِعِلْمٍ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بِإِضَافَةِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ.

﴿مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ أَيْ: افْتَرَاؤُهُمْ هَذَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَمُنْفَعَةٌ سِيرَةٌ فِي الدُّنْيَا ﴿ثُمَّ﴾ يَلْقَوْنَ الشَّقَاءَ الْمَوْجِبَ بَعْدَهُ.

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ
مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِمَا نَبَّأْتُ اللَّهَ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ

وَشُرَكَاءُكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا
تُنْظِرُونِ ﴿٧٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ
إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٧﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَنَجَّيْتَهُ وَمَنِ مَعَهُ فِي الْفَلَكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُذَرِّينَ ﴿٧٨﴾

﴿إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: شق وثقل عليكم ﴿مَقَامِي﴾ مكاني، يعني: نفسه،
كما يقال: فعلت كذا لمكان فلان، ومنه: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾^(١) يعني: خاف
ربه، أو يريد: قياسي ومكثي بين أظهركم مدداً طوالاً، أو مقامي ﴿وَتَذَكَّرِي﴾
لأنهم كانوا إذا وعظوا قاموا على أرجلهم ليكون كلامهم مسموعاً.

﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ من أجمع على الأمر وأجمع الأمر وأزمعه: إذا عزم عليه،
والواو بمعنى (مع) أي: فأجمعوا أمركم مع شركائكم واحتشدوا فيها تريدون
من إهلاكه، وابدلوا وسعكم فيه ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: ولا يكن
قصدهم إلى إهلاكه مستوراً عليكم ولكن مكشوفاً مشهوراً تجاهر ونني به. والغمة:
السترة، من غمته: إذا ستره، ومنه الحديث: ((لا غمة في فرائض الله))^(٢) أي: لا
تستر، ولكن يجاهر بها. ويجوز أن يكون المعنى: ثم أهلكوني لثلاث يكون عيشكم
بسببي غمة، أي: غماً وهمماً، والغمة والغم بمعنى الكربة والكرب.

﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ ذلك الأمر الذي تريدون بي، أي: أدوا إلي ما هو حق
عليكم عندكم، من إهلاكه كما يقضي الرجل غريمه ﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ ولا تمهلوني.
﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ فإن أعرضتم عن نصيحتي وعن اتباع الحق.

(١) الرحمن: ٤٦.

(٢) كتاب الشفاعة: ١: ٧٦.

﴿فَمَا سَأَلْتَهُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ فما كان عندي ما ينقرم عني من طمع في أموالكم، وطلب أجر على مو عظتكم.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ وهو الثواب الذي يثيني في الآخرة.

﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ المستسلمين لأمر الله، أو الذين لا يطلبون على تعليم الدين أجراً ولا يأخذون به دنيا، يريدون: أن ذلك مقتضى الإسلام. ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ﴾ أي: فتموا على تكذيبه، وكان تكذيبهم له في آخر المدة الطويلة كتكذيبهم في أولها.

﴿فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ﴾ وجعلناه خليفاً خلفاء لمن هلك بالغرق.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُذْذِرِينَ﴾ هذا تعظيم لما جرى عليهم، وتحذير لمكذبي رسول الله ﷺ عن مثله.

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ يَتْلِيَانَا فَاستَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

أي: ﴿بَعَثْنَا مِنْ﴾ بعد نوح ﴿رَسُولًا﴾ يعني: هوداً وصالحاً وإبراهيم ولوطاً

وشعياً ﴿فَجَاءَهُمْ﴾ بالمعجزات والحجج المبيّنة لدعواهم.

﴿فَمَا كَانُوا لِلْيُؤْمِنُوا﴾ أي: فما كان إيمانهم إلا ممتنعاً لتصميمهم على الكفر ﴿بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ يريد: أنهم كانوا أهل جاهلية قبل بعثة الرسل، فلم يكن بين حالتهم فرق قبل البعثة وبعدها.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الطبع ﴿نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ كَأَنَّ الطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم، لأنّ الخذلان يتبعه، ألا ترى أنّه وصفهم بالاعتداء وأسندته إليهم.

﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد الرسل.

﴿فَأَسْتَكْبَرُوا﴾ عن قبول الآيات بعد تبيينها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا تُجْرِمِينَ﴾ كفاراً ذوي آثام عظام، فلذلك استكبروا عنها واجترأوا على ردها.

﴿فَلَمَّا﴾ عرفوا أنّه هو ﴿الْحَقُّ﴾ وآنه ﴿مِنْ﴾ عند الله ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لَيْسَ خَرُّ مُبِينٌ﴾.

﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ﴾ أي: أتعيبونه وتطعنون فيه؟ ونحوه: ﴿سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ﴾^(١) [أي: يعيبيهم]^(٢).

﴿أَيْسَرُ هَذَا﴾ إنكار لما قالوه في عيبه والطعن عليه، ويجوز أن يكون مفعول ﴿أَتَقُولُونَ﴾ محذوفاً، وهو ما دلّ عليه قولهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَيْسَ خَرُّ مُبِينٌ﴾، ثم قال: ﴿أَيْسَرُ هَذَا﴾.

﴿لَتَلْفِنَنَّا﴾ لتصرفنا، واللفت والفتل مثلان، مطاوعهما: الالتفات والانفتال.

(١) الأنبياء: ٦٠.

(٢) ساقطة من ج.

﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِمَا آبَاءَنَا﴾ يريدون عبادة الأصنام.

﴿وَتَكُونُ لَكُمْ آلِكِرِيَّةً﴾ أي: الملك، لأن الملوك موصوفون بالكبر. وقرئ:

ويكون - بالياء ..

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ
مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ
بِهِ السِّحْرُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾
وَيُخَوِّئُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ ۖ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا ءَمَنَ
لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن
يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾

﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ﴾: ﴿مَا﴾ موصولة، و﴿السِّحْرُ﴾ خبر المبتدأ، أي: الذي

جئتم به هو السحر، لا الذي سميتموه سحراً من المعجزات، وقرئ: السحر - على

[الاستفهام - وعلى هذه القراءة تكون ﴿مَا﴾ استفهامية، بمعنى: أي شيء جئتم به؟

أهو] ^(١) السحر؟.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ سيظهر بطلانه إنه ﴿لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ لا يشبهه

ولا يديمه، بل يدمر عليه.

﴿وَيُخَوِّئُ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ ويشبهه ﴿بِكَلِمَتِهِ﴾ بقضاياه ووعد النضر.

﴿فَمَا ءَمَنَ لِمُوسَىٰ﴾ في أول أمره ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ أي: طائفة من

ذراري بني إسرائيل، كأنه قال: إلا أولاد من أولاد قومه، وذلك أنه دعا الآباء فلم

يجيبوه خوفاً ﴿مِّن فِرْعَوْنَ﴾، وقيل: هم بنو إسرائيل، وكانوا ستمائة ألف ^(٢)، وكان

(١) ساقطة من ج.

(٢) عن ابن عباس. الكشف والبيان ج ٥: ١٤٣.

يعقوب دخل مصر منهم باثنين وسبعين، وإنا سآهم ذرية على وجه التصغير لقلتهم بالإضافة إلى قوم فرعون، وقيل: الضمير في ﴿قَوْمِهِ﴾ لفرعون، والذرية: مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطة امرأته^(١).

والضمير في ﴿وَمَلَأْنَاهُمْ﴾ يرجع إلى فرعون، والمعنى: حزب آل فرعون كما يقال: ربيعة ومضر، ويجوز أن يرجع إلى الذرية، أي: على خوف من فرعون وخوف من أشراف بني إسرائيل، لأنهم كانوا يمنعونهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم، ويدل عليه قوله: ﴿أَنْ يَفْنِيَهُمْ﴾ أي: يعذبهم.

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ أي: قاهر ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ في الظلم والفساد، وفي الكبر والعتو.

وَقَالَ مُوسَى يَقُومِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ
 (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
 (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٨٦)

﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ أي: إليه أسندوا أموركم في العصمة من فرعون، ثم شرط في التوكل الإسلام، وهو أن يسلموا نفوسهم لله، أي: يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ لا جرم قبل الله توكلهم، وأجاب دعاءهم، ونجّاهم وأهلك أعداءهم، وجعلهم خلفاء في أرضه.

﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ أي: موضع فتنة لهم، أي: عذاب يعذبوننا أو يفتنوننا عن ديننا، أو فتنة لهم يفتنون بنا، يقولون: لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا.

(١) عن سعيد بن جبیر. تفسير الطبري ج ١١: ١٠٧.

﴿وَجَعَلْنَا بَرَحْمَتِكَ مِنْ﴾ قوم فرعون واستعبادهم إيتانا.

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾
 وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

تبوأ المكان: اتخذ مباءة، نحو توطنه: اتخذ وطنًا. والمعنى: اجعلوا ﴿بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ من بيوته مباءة ﴿لِقَوْمِكُمَا﴾ ومرجعاً يرجعون إليه ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ﴾ تلك ﴿قِبْلَةً﴾ أي: مساجد يذكر فيها اسم الله، وقيل: اجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضها^(١).

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ داوموا على فعلها.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ خطاب لموسى، وقيل: لمحمد ﷺ^(٢).

والزينة: ما يترزين به من لباس أو حلي أو فراش أو غير ذلك.

﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ قيل: هو دعاء بلفظ الأمر كقوله: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ﴾ لما لم يبق له طمع في إيمانهم، اشتد غضبه عليهم فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره، ليشهد عليهم أنهم لا يستحقون إلا الخذلان، وأن يخلي بينهم وبين ضلالهم.

(١) عن سعيد بن جبير. تفسير الطبري ج ١١: ١٠٧.

(٢) الكشف والبيان ج ٥: ١٤٤.

ومعنى الطمس على الأموال: تغييرها عن جهتها إلى جهة لا ينتفع بها، قيل: صارت جميع أموالهم حجارة^(١). والشّد على القلوب: عبارة عن الخذلان والطمع. ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ جواب للدعاء.

وقيل: إنّ (اللام) في ﴿لِيُضِلُّوا﴾ للتعليل على أنّهم جعلوا نعمة الله سبباً في الضلال فكأنّهم أعطوها ليضلوا، وقوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ عطف على ﴿لِيُضِلُّوا﴾، وقوله: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه، وكان موسى ﷺ يدعو وهارون يؤمن فسبّاهما داعيين. ﴿فَأَسْقِمْ﴾ فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزيادة في إلزام الحجة. الصادق ﷺ: ((مكث فرعون بعد هذا الدعاء أربعين سنة))^(٢).

﴿وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا تتبعنا طريق الجهلة ولا تعجلا. وقرئ: ولا تتبعان. بالنون الخفيفة وكسرها. لالتقاء الساكنين تشبيهاً بنون التثنية.

وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٠﴾ ءَأَلْفَنُ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ يَدْنِكَ لِيَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَعِيفُونَ ﴿١٢﴾

أي: عبرنا بهم ﴿الْبَحْرَ﴾ حتى جاوزوه سالمين ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾ لحقهم ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ يقال: تبعته حتى أتبعته.

(١) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ١١: ١٠٩.

(٢) تفسير العياشي ج ٢: ١٢٧.

قرئ: ﴿أَنَّهُ﴾ بالفتح على حذف الباء، وإثنه - بالكسر - على الاستئناف، بدلاً من ﴿آمَنْتُ﴾. كرر المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصاً على القبول، ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وقاله في وقت الإلجاء، وكانت المرة الواحدة كافية وقت الاختيار وبقاء التكليف.

﴿ءَالْتَنَ﴾ أي: أتؤمن الساعة في وقت الاضطراب حين أدركك الغرق؟ ويحكي: أنه حين قال: آمنت، أخذ جبرئيل من رمل البحر فدسّه في فيه.

﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: الضالين المضلين عن الإيمان.

قرئ: ﴿نَجِّيكَ﴾ بالتشديد والتخفيف، أي: نبعدك مما وقع فيه قومك، وقيل: نلقيك بنجوة من الأرض وهي المكان المرتفع^(١).

﴿بِدَنِكَ﴾ في موضع الحال، أي: في الحال التي لا روح فيك وإنما أنت بدن، أو بيدنك كاملاً سوياً لم ينقص منه شيء ولم يتغير، أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها.

﴿لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً﴾ لمن وراءك من الناس علامة، وهم بنو إسرائيل، وكان في أنفسهم أن فرعون أجل شأناً من أن يغرق، فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه، ومعنى كونه آية: أن يظهر للناس عبوديته ومهانتة، وأن ما كان يدعيه من الربوبية محال، وأن يكون عبرة يعتبر بها الأمم بعده فلا يجترئوا على ما اجترأ عليه.

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ

يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَيِّنَاتٍ
أَلَّهُ فَكَوْنُوا مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ
كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٧﴾

﴿مُبْرَأٌ صِدْقٍ﴾ منزلاً صالحاً مرضياً وهو بيت المقدس والشام.

﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ وهي الأشياء اللذيذة.

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ في دينهم، وما تشعبوا فيه شعباً ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بدين
الحق ولزمهم الثبات عليه، وقيل: العلم بمحمد ﷺ ونعته^(١)، واختلافهم فيه: أنه
هو أم ليس به.

﴿إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ﴾ أي: فإن وقع لك شك فرضاً وتقديراً ﴿فَسْأَلِ﴾ علماء
أهل الكتاب فإتهم محيطون علماً بصحة ما أنزل إليك، وعن الصادق عليه السلام: ((لم يشك
ولم يسأل))^(٢).

﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: ثبت عندك بالآيات والبراهين أن ما
أتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَيِّنَاتٍ أَلَّهُ﴾ أي: فاثبت على ما أنت عليه من
انتفاء المرية والتكذيب بآيات الله عنك، وقيل: خوطب رسول الله والمراد أمته^(٣).

(١) الكشف والبيان ج ٥: ١٤٨.

(٢) تفسير القمي ج ١: ٣١٧.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج ٣: ٣٢.

والمعنى: فإن كنتم في شك مما أنزلنا إليكم، كقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾^(١)، وقيل: الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك^(٢)، كقول العرب: (إذا عَزَّ أخوك فهن)^(٣). وقيل: (إن) للنفي^(٤)، أي: فما كنت في شك فاسأل. والمعنى: لا تأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقيناً، كما ازداد إبراهيم بمعينة إحياء الموتى.

﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفاراً، فلا يكون غيره، وتلك كتابة علم لا كتابة إرادة، تعالى الله عن ذلك.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا
كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَرْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٨﴾
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ
النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

فهلا ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ واحدة من القرى التي أهلكتها تابت عن الكفر، و ﴿ءَامَنَتْ﴾ وقت بقاء التكليف قبل معاناة البأس، ولم تؤخر التوبة كما أخرها فرعون إلى أن أدركه الغرق ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا﴾ بأن يقبله الله منها.

﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ استثناء من القرى، لأن المراد أهاليها، وهو استثناء منقطع بمعنى: ولكن قوم يونس، ويجوز أن يكون متصلاً والجملة في معنى النفي، كأنه قيل: ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس. وكان قد بعث إلى نينوى من

(١) النساء: ١٧٤.

(٢) عن القتيبي. تفسير السمرقندي ج ٢: ١٣٢.

(٣) مجمع الأمثال ج ١: ٣٥.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ج ٣: ٣٣.

أرض الموصل، فكذبوه، فذهب عنهم مغاضباً، فلما فقدوه خافوا نزول العذاب، فلبسوا المسوح وعجّوا وبكوا، فصرف الله عنهم العذاب وكان قد نزل وقرب منهم^(١)، وعن الفضيل بن عياض^(٢): (إِثْمُ قَالُوا: اللَّهُمَّ إِنَّ ذُنُوبَنَا قَدْ عَظُمَتْ وَجَلَّتْ، وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهَا وَأَجَلٌ، أَفْعَلْ بِنَا مَا أَنْتَ أَهْلُهُ، وَلَا تَفْعَلْ بِنَا مَا نَحْنُ أَهْلُهُ)^(٣).

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ مشيئة الإلجاء ﴿لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ﴾ على وجه الإحاطة والعموم ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين على الإيمان، يدلّ عليه قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾. يعني: إنّما يقدر الله على إكراههم لا أنت، لأنّه هو يقدر أن يفعل في قلوبهم ما يضطرونّ عنده إلى الإيمان، وليس ذلك في مقدور القدر، ولا يستطيعه البشر.

وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنْجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ﴾ من النفوس التي علم الله أنّها تؤمن.

﴿أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بتسهيله وتوفيقه له وتمكينه منه ودعائه

(١) الكشف والبيان ج ٥: ١٥١.

(٢) أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي، الزاهد المشهور، ولد بأبيورد ونشأ بها ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات سنة ١٨٧ هـ. ينظر: وفيات الأعيان ج ٣: ٢١٥، معجم رجال الحديث ج ١٤: ٣٥٢.

(٣) الكشف ج ٢: ٣٧٢.

إليه.

﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قابل الإذن بالرجس وهو الخذلان، والنفس المعلوم إيمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر، كقوله: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١). وسُمى الخذلان رجساً وهو العذاب لآفته سببه.

﴿مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من العبر والآيات.
 ﴿وَمَا نُنْفِئُ الْآيَاتِ وَالنَّذْرُ﴾ الرسل المندرون أو الإنذارات ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يتوقع إيمانهم، و﴿مَا﴾ نافية أو استفهامية.
 و﴿آيَاتِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وقائع الله فيهم، كما يقال: أيام العرب، لوقائعها.

﴿ثُمَّ نُنْفِئُ رُسُلَنَا﴾ عطف على كلام محذوف يدلّ عليه ما قبله، كأنه قال: نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا، على حكاية الأحوال الماضية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ معهم، وكذلك ﴿نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين.

و﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ اعتراض، يعني: حقّ ذلك علينا حقاً، وقرئ: نُنَجِّي - بالتشديد ..

قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ رَبِّي فَلَا آعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ آعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقْدِرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ
 فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا
 كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِذَا يُرِيكَ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ فَلَا رَأْيَ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ
 بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ
 قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ
 وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا
 يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ﴾ صحّة ﴿دِينِي﴾ فهذا ديني، وهو: آتي ﴿لَا أَعْبُدُ﴾
 الحجارة التي تعبدونها ﴿مِنْ دُونِ﴾ من هو ربكم وإلهكم ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي
 يَتَوَفَّنَكُمْ﴾ فهو الحقيق بأن يخاف ويرجى ويعبد ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ﴾ المصدقين
 بالتوحيد.

﴿وَأَنْ أَقِفَ﴾ والباء مراد فحذف، أي: بأن أكون وبأن أقم، فإن (أن) قد
 توصل بالأمر والنهي، وشبه ذلك بقولهم: أنت الذي تفعل - على الخطاب - لأن
 الغرض وصلها بما يكون معه في معنى المصدر، والأمر والنهي يدلان على المصدر
 كما يدلّ غيرهما من الأفعال.

﴿أَقِفْ وَجْهَكَ﴾ استقم والتفت إليه فلا تلتفت يمينا ولا شمالا.

و﴿حَنِيفًا﴾ حال من ﴿الَّذِينَ﴾ أو من الوجه.

﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ أي: فإن دعوت ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ فكنتي

عنه بالفعل إيجازاً.

﴿فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: ﴿إِذَا﴾ جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر، كأن

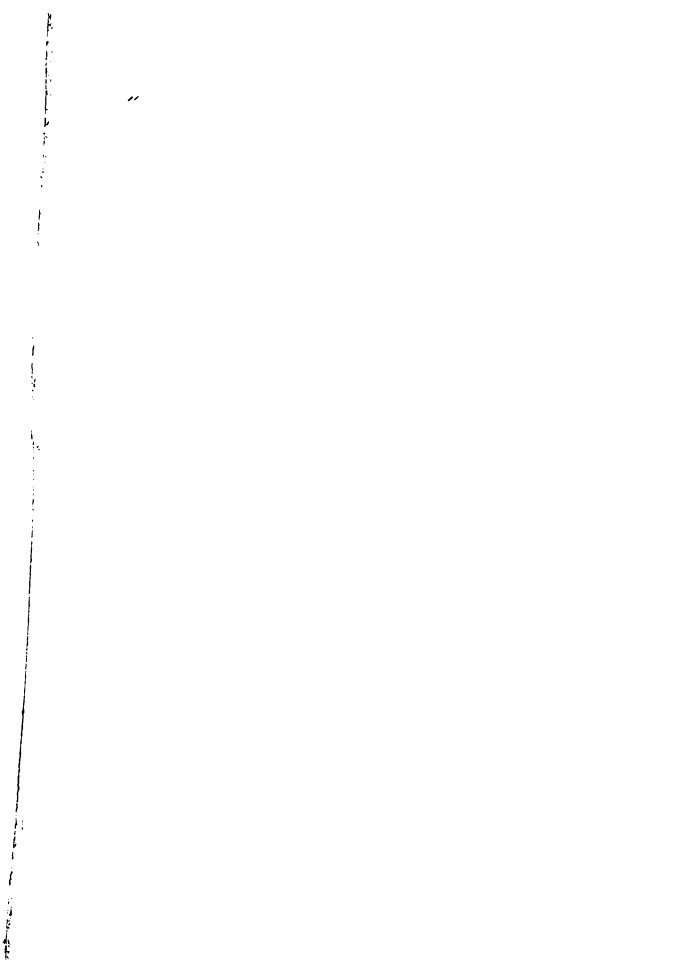
سائلاً سأل عن تبعة عبادة غير الله، فأعلم أنّ الشرك من أعظم الظلم.

ثم عقب النهي عن عبادة ما لا ينفع ولا يضرّ بأنّ الله هو الضار والنافع الذي إن أصابك ﴿يُضِرُّ﴾ لم يقدر على كشفه ﴿إِلَّا هُوَ وَإِنُّ﴾ أرادك ﴿يُخَيِّرُ﴾ لم يردّ أحد ما يريد بك من فضله فهو الحقيق بأن يعبد دون الأوثان.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ﴾ فلم يبق لكم عذر، ولا لكم على الله حجة ﴿فَعَنِ﴾ اختار الهدى واتباع الحق لم ينفع إلا نفسه ﴿وَمَنْ﴾ اختار الضلال لم يضر إلا نفسه. واللام وعلى دليلان على معنى النفع والضرر.

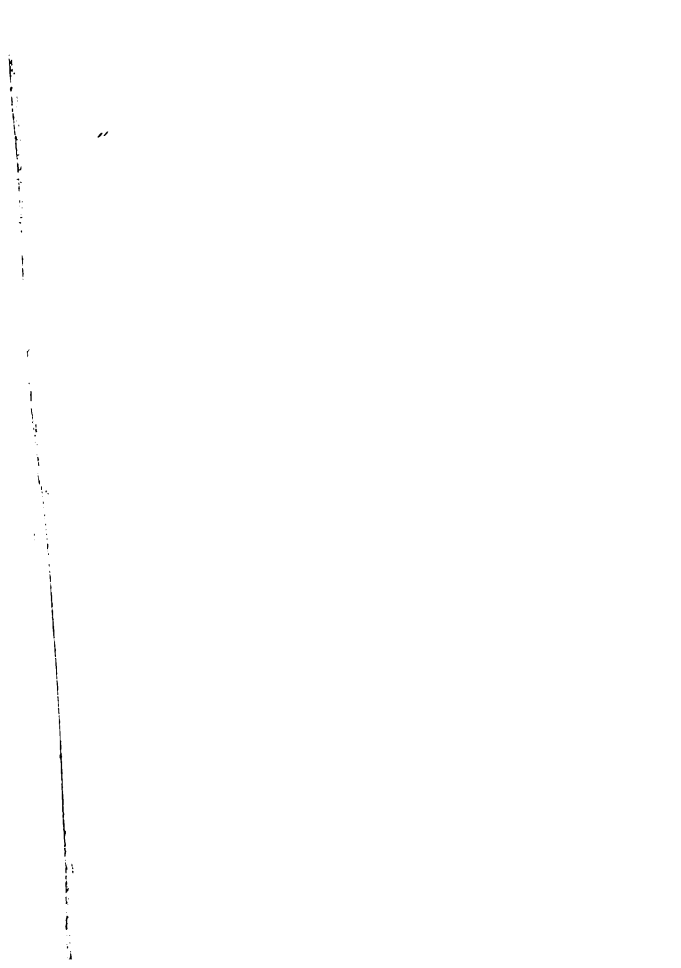
﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ بحفيظ موكل إليّ أمركم وحملكم على ما أريد، إنّما أنا بشير ونذير.

﴿وَأَصْرٍ﴾ على دعوتهم واحتمال أذاهم ﴿حَقَّ يَحْكُمُ اللَّهُ﴾ لك بالنصر عليهم والغلبة ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لآله لا يحكم إلا بالحق والعدل.



فهرس المحتويات





فهرس المحتويات

سورة المائدة	٥
سورة الأنعام	٨٦
سورة الأعراف	١٦٩
سورة الأنفال	٢٦٥
سورة التوبة	٣٠٥
سورة يونس	٣٧٣
فهرس المحتويات	٤١٩